الثقافة النفسية المتخصصة

العدد السابع والستون - المجلد السابع عشر-تموز/يوليو 2006

ملف العدد

المعرفة العلمية في نموذجها الأنثوي

"أنثوية المعرفة"

- جَلد الذات.. إلى متى؟
- سلّم القلق لهاميلتون
- علم النفس الاجتماعي/علاقة السحر بالاضطرابات النفسية
- التحليل النفسي/ما الذي تبقّى من المكبوت الفرويدي
- بعض قضايا علم النفس في العالم العربي
- علم النفس السياسي/قضايا من المجتمع العربي
- التراث النفسي العربي/العطاء والرمز وعظمة الرجال

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس - لبنان- شارع عزمي - بناية قاديشا ص.ب 3062 - التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps50@hotmail.com

الثقافة النفسية المتخصصة

WWW.psyinterdisc.com

Interdisciplinary Psychology **Psychologie Interdisciplinaire**

علم النفس الكوارث أدوية نفسية تحليل نفسي العلاج النفسي السيكوسوماتيك الطب النفسي

السمنة وعلاجها التفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر: دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من أشكال إدمان الأكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي....

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر: دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجراية

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف عاى البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتذبذب الأسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الإستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجة
دليل الموقع

الصفحة التالية

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتنوعة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين سلمى المصري دملج

سامر رضوان جليل شكور

الهيئة الاستشارية

أحمد عبد الخالق_جامعة الكويت. كلية الآداب.
احمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
أسامة الراضي مجمع الراضي للطب النفسي.
اليزابيث موسون عضو شرف في محافل عالمية.
انور الجراية مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس أمناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين شمس.
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار إبراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب.
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / أستراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد حمدي الحجار أستاذ الطب النفسي السلوكي / سوريا.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي- ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركياً

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990، ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة، والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع، يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدولة العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة، حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، والمشاريع التوثيقية التي يتبناها، ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنيت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

1- أن يكون متخصصاً في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات، إذ يعتبر عضواً متمرناً المنتسب الحائز على الليسانس. عضواً منتسباً الحائز على الماجستير، وعضواً مؤهلاً من كان حائزاً على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضواً عاملاً الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. وتمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة، كداعمين لاستمراريتها. وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

2- أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، والسماح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

3- الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص، بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

4- أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتمامه.

5- أن يشترك في مجلة المركز الثقافية النفسية المتخصصة. حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كمايلي:

- اشتراك عادي 40 دولار سنوياً (يحصل على أعداد المجلة).

- اشتراك شامل **100** دولار سنوياً (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).
- اشتراك مدى الحياة **500** دولار.

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبيناً فيه بوضوح: الاسم والعنوان، والمستوى الأكاديمي، ومكان العمل، وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية، الأوروبية المصرفية ش.م.ل/ فرع طرابلس رقم الحساب: (**1-01- 330384- 360 – 010-001**).

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي

قسيمة الاشتراك

الاسم:

التخصص:

التخصص الدقيق:

مكان العمل:

نوعية الاشتراك وقيمته:

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والالكتروني)

المحتـــويات

- عزيزي القارئ 7
- قضيـة العـدد 11

جلد الذات.. إلى متى؟ / أ.د: يحيى الرخاوي

- علـم النفـس حـول العالـم..... 13
- إختبـار العـدد 25

سـلم القلـق لهـاميلتـون

- النـدوات والمـؤتمرات 29
- علم النفـس الإجتمـاعي 53

علاقة السحر بالاضطرابات النفسية / أ.د: عبد الفتاح دويدار

- التحليل النفسـي..... 61

ما الذي تبقى من المكبوت الفرويدي/ أوليفيي بوستيلفيني - ترجمة: صابر أوبيري

- العلوم النفسية في العالم العربي..... 67

بعض قضايا علم النفس في العالم العربي / أ.د: عمر هارون الخليفة

- علـم النفـس السياسـي 95

قضايا من المجتمع العربي / أ.د: قدري حفني

- التراث النفسي العـربي 107

العطـاء والرمـز وعظمـة الرجـال / أ.د: عبد الستار إبراهيم

- مكتبـة العدد 117

- ملف العـدد 123

المعرفـــة العلمية في نموذجهـــا الأنثـــوي
-أنثوية المعرفة-

أ.د. عمـاد فوزي شعيبي

الافتتاحية

عزيزي القارئ

على طريقته المبدعة، يطرح البروفسور يحيى الرخاوي قضية حضارتنا الثقافية والعلمية، وقيم هذه الحضارة المهددة بسيرورة متصلة من جلد الذات وتحقيرها. هو لا ينكر قيمة ودقة المقاييس السائدة، لكنه ينبّه إلى ضرورة البحث عن طريق آخر، هو بالضرورة أصعب جداً، طريق ألمح إليه الرخاوي مراراً قبل ذلك، طريق يبين كيف يمكن أن نستلهم من ثقافتنا وتاريخنا، وتاريخ الإنسان، ما يهدينا إلى منهج آخر، وسبيل آخر، وقيم أخرى، ومقاييس أخرى، ونوعية للحياة مختلفة، لعلهم أحوج ما يكونون إليها معنا، ومثلنا، طوال الوقت.

من جهتنا نرجو ألا تمر هذه القضية الحيوية دون أن تستثير النقاش وتطرح الأسئلة. خاصة وأن الرخاوي عودنا على الإختصار المقتصد، المنطوي على تكثيف فكري يحتاج إلى وقفة، بل وقفات أمامه. ويسر أسرة التحرير في هذه المناسبة الإشارة إلى فوز البروفسور الرخاوي بجائزة مصطفى زيور للعلوم النفسية للعام 2005 بإجماع مجلس أمناء الجائزة.

وفي هذا العدد يشاركنا نخبة من الزملاء في المواضيع التالية: علم النفس السياسي، ويكتبه البروفسور قدري حفني، والسحر وعلاقته بالإضطرابات النفسية للبروفسور عبد الفتاح دويدار، ويترجم الأستاذ صابر أوبيري مقالة: ماذا تبقى من المكبوت الفرويدي؟. أما البروفسور عمر هارون الخليفة، فيعرض لنا بعض قضايا علم النفس في الوطن العربي، ويقف البروفسور عبد الستار ابراهيم وقفة عرفان لأستاذ الأساتذة المرحوم مصطفى زيور. بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: مكتبة العدد، واختبار العدد، وعلم النفس حول العالم.

أما ملف العدد فهو يناقش أنثوية المعرفة، الميدان الذي برع فيه البروفسور عماد شعيبي، وكنا قد عرضنا لمقدمة له في العدد الفائت.

آملين أن تسهم حركتنا هذه في طرح النقاش حول فعالية وجدوى الإختصاص وقدرته على تخليصنا من التوحد بالمعتدي ومازوشية جلد الذات. نحييك عزيزنا القارىء وإلى العدد القادم.

أسرة التحرير

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية

جائـزة مصطفى زيور للعلوم النفسيـة

2004

تتشرف الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية، وإدارة وأعضاء مركز الدراسات النفسية والنفسية-الجسدية ومجلس أمناء جائزة مصطفى زيور للعلوم النفسية، بمنح الجائزة للعام **2004** إلى:

البروفسور قادري حفني

وذلك بناء على قرار المجلس الإستشاري للجائزة، الذي استند إلى الفعالية الفائقة في تطوير الإختصاص وتطويعه لخدمة الإنسان والمجتمع العربيين. وهي مساهمات على مستوى التأليف والبحث والتدريس. واعترافاً بخدماته وأفضاله قرر مجلس الأمناء منحه هذه الجائزة التكريمية.

طرابلس في **2004/12/15**

رئيس المركز

أ. د. محمد أحمد النابلسي

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية

جائـــزة مصطفى زيور للعلوم النفسيـــة

2005

تتشرف الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية، وإدارة وأعضاء مركز الدراسات النفسية والنفسية-الجسدية ومجلس أمناء جائزة مصطفى زيور للعلوم النفسية، بمنح الجائزة للعام **2004** الى:

البروفسور يحيى الرخاوي

وذلك بناء على قرار المجلس الإستشاري للجائزة، الذي استند إلى الفعالية الفائقة في تطوير الإختصاص وتطويعه لخدمة الإنسان والمجتمع العربيين. وهي مساهمات على مستوى التأليف والبحث والتدريس.واعترافاً بخدماته وأفضاله، قرر مجلس الأمناء منحه هذه الجائزة التكريمية.

طرابلس في **2005/12/15**

رئيس المركز

أ.د. محمد أحمد النابلسي

الثقافة النفسية المتخصصة

فصلية متخصصة

الأفراد:

- اشتراك سنوي 40 دولاراً أميركياً.
- اشتراك سنوي شامل 100 دولار أميركي.
- اشتراك مدى الحياة 500 دولار أميركي.

المؤسسات

- اشتراك سنوي 100 دولار أميركي.
- اشتراك سنوي شامل 150 دولاراً أميركياً.

سعر النسخة الواحدة لعام سابق 10 دولار أميركي

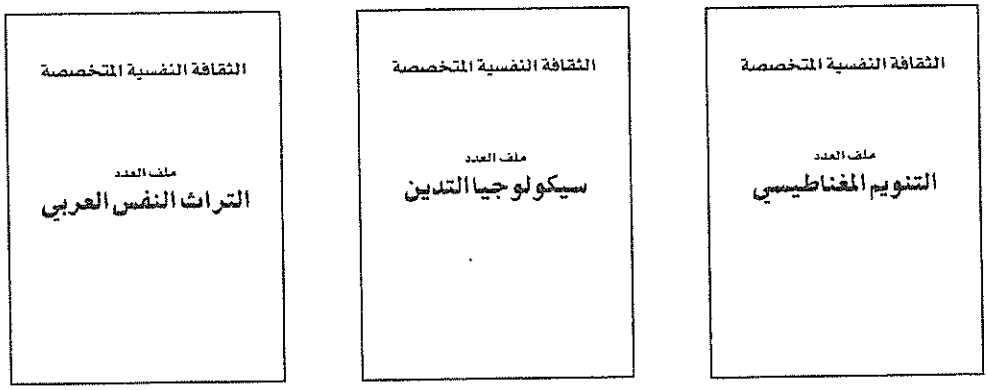

جلد الذات.. إلى متى؟

أ.د. يحيى الرخاوي

الخامس من حزيران/ يونيو، اليوم.. هل من سبيل إلى حذف هذا اليوم من التاريخ؟.. أو على الأقل أن يطل علينا كل عدة سنوات مثل يوم29 شباط/ فبراير؟

أنا أستاذ جامعي منذ أكثر من ثلاثين عاماً، أعلم ما آلت إليه جامعاتنا، سواء في التدريس أو البحث العلمي، ناهيك عن الإبداع والنشر العالمي، فحين أنبه إلى ضرورة التوقف عن جلد الذات بهذه الصرخات الحزينة، والتعليقات الساخرة، ونحن نناقش موقع ترتيب جامعاتنا بين جامعات العالم، لا أدافع عن إنجازات وهمية، أو أزعم أن ظلماً قد وقع علينا بهذا الترتيب المتدني، فأنا أعلم تمام العلم أننا لم نصل حتى إلى المرتبة التي وضعونا فيها.

برغم كل ذلك، فإنني أرفض هذا الجلد المتلاحق للذات، لأنه يعطلنا أكثر فأكثر.. هل ثم سبيل آخر لمواجهة هذا الواقع المر؟

إذا كانوا هم يسيرون بسرعة خمسين كيلومتراً في الساعة(أو في الثانية) فنحن نسير بسرعة خمسين متراً في اليوم، أو في السنة.. فالمسافة تزيد باطراد مادمنا على نفسها الطريق النظام نفسه، نقاس المقاييس نفسها. علينا، إذن، أن نتوقع أن يتراجع ترتيبنا باستمرار، سواء في ما هو دون صفر المونديال، أو ترتيب الجامعات، أو عضوية مجلس المنظمة الدولية الجديدة لحقوق الإنسان.. إلخ.

ومع ذلك، فقد يحق لنا أن نتعاطى بعض المسكنات - لا المخدرات - ونحن ننفخ في إنجاز شاب مصري حقق بطولة في الأسكواش، أو في المصارعة، أو حين نتملى تيهاً في النظر إلى عضلات فتاة مصرية صغيرة ترفع الأثقال، أو نتيه فرحاً بكأس الأمم الإفريقية، وننسى أنها إنجازات محدودة متباعدة، وفردية غالباً. هذا التسكين - على أي حال - هو أفضل من أن نستغرق في اتهامهم بأنهم السبب في تخلفنا الذي نصر عليه، وكأنه غاية في ذاته، نبرر به شعورنا بالاضطهاد والمؤامرة.

السبيل الآخر، مهما بدا هروباً، أو تبريرياً، أو صعباً، يبدأ بمراجعة المقاييس التي قيموا بها ترتيب الجامعات (كان آخرها الترتيب الصيني: جامعة شنغهاي)، فنلاحظ أن المعايير الموضوعة قد لا تكون أنسب المعايير التي علينا أن نحرص عليها للوفاء بشروطهم، لأن كثيراً منها مقول بالتشكيك، من أول شرط النشر العالمي، حتى جائزة نوبل نفسها.

واقع النقد المنهجي الجاري على مستوى العالم، ومن الشرفاء عندهم قبلنا، ينبه بأن العلم أخطر وأنبل وأهم من أن يترك للعلماء، وأن المعرفة أكبر من العلم وأشمل. لم يعد التقدم المأمول، من البشر وللبشر، مهمة الجامعات ومراكز الأبحاث دون سائر الناس، الشخص العادي مدعو عبر العالم للإسهام في توسيع وسائل وأدوات المعرفة، بل في توجيه مسار وعطاء العلماء. أغلب العلماء الآن - في كثير من بقاع العالم - بوعي أو بغير وعي، يستعملون لأغراض غير علمية، حتى وصل الأمر في بعض المجالات(السلاح والدواء مثلاً) إلى أن يبرمجوا كوقود للسعار الكمي، والحياة الاغترابية، والمزيد من العملقة الاحتكارية على حساب تطور الإنسان، كنوع له كل هذا التاريخ الرائع.

أنا لا أنكر قيمة ودقة المقاييس السائدة، لكنني أنبه إلى ضرورة البحث عن طريق آخر، هو بالضرورة أصعب جداً، طريق ألمحت إليه مراراً قبل ذلك، طريق يبين كيف يمكن أن نستلهم من ثقافتنا وتاريخنا، وتاريخ الإنسان، ما يهدينا إلى منهج آخر، وسبيل آخر، وقيم أخرى، ومقاييس أخرى، ونوعية للحياة مختلفة، لعلهم أحوج ما يكونون إليها معنا، ومثلنا، طوال الوقت.

أمل بعيد، لكن بغيره لن نحقق حتى أن نكون أدوات مصقولة، تقع في قاع جراب الآلات التي يشحذونها لتحقيق أغراض مغتربة، لم يعلن عن تفاصيلها، بخبث أو بغفلة.

الدعوة عامة، والتحدي شامل، والأمل قائم، وفرض المعرفة هو فرض عين على كل واحد من البشر على ظهر الأرض دون استثناء. هذا هو شرف الوجود وغايته معاً.. وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً.

إعداد: رمزية نعمان – سناء شطح – نشأت صبوح

مجس للشعور لمساعدة مرضى التوحد

يعكف العلماء على تطوير "سماعة للمشاعر" لاكتشاف ما إذا كان الشخص الذي تحادثه مهتم بكلامك، أم أنه يشعر بالملل. ويجري تطوير هذا الجهاز لمساعدة الأشخاص المصابين بمرض التوحد (الاسترسال في التخيل هروباً من الواقع) والذين يكونون أقل مهارة في التواصل مع الآخرين. وقالت مجلة نيو ساينتست: إن باحثين في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا طوروا السماعة. ويتم تثبيت كاميرا دقيقة على نظارة تتصل بكمبيوتر محمول في اليد يقوم "بقراءة" الأحاسيس لدى المستمع. وتستخدم السماعة برنامج (سوفتوير) لإدراك الصور، وبرنامج آخر لقراءة المشاعر، وذلك من أجل تحليل الصور. فإذا كان مرتدي الجهاز غير متجاوب مع مستمعه، فإن البرنامج يجعل كمبيوتر الجيب يصدر اهتزازاً. وكان بحث سابق لفريق العلماء نفسه قد أظهر أن الجهاز الجديد يمكن أن يرصد ما إذا كان شخص ما يوافق، أو يعترض، أو يركز، أو يفكر، أو غير متأكد، أو غير عابئ، خلال ثوان قليلة من بدء تشغيله. وكانت برامج الكمبيوتر السابقة قادرة فقط على تسجيل أحاسيس أولية، مثل السعادة والحزن والغضب والدهشة والاشمئزاز.

خطوة أولى

وتم تزويد الجهاز الجديد بمئة لقطة فيديو قام بها ممثلون تشمل تعبيراً عن مشاعر متنوعة. ويستطيع الجهاز رصد حركات الحاجب والشفاه والأنف، وتتبع حركة الرأس، مثل الإيماء. وفي الاختبارات الأخيرة له تمكن الجهاز في 90 في المئة من الحالات من تحديد مشاعر الناس في لقطات فيديو بشكل صحيح. كما تمكن الجهاز من قراءة المشاعر بشكل صحيح في 64 في المئة من الحالات لدى اختباره مع أفراد من الجمهور. وسيبدأ الفريق في أول اختبارات للجهاز مع متطوعين بعضهم مصاب بالتوحد لتحديد قدرته في الاستخدام اليومي. وستكون هناك حاجة

لتدريب مرضى التوحد على النظر إلى وجوه الناس خلال تحدثهم معهم حتى تتمكن الكاميرا من التقاط تعبيراتهم.

علماء يتوصلون إلى خلايا المخ المرتبطة بالاختيار

تمكن علماء من تحديد الخلايا العصبية، أو خلايا المخ التي يبدو أنها تضطلع بدور في كيفية اختيار شخص ما مواد أو بضائع مختلفة. وقال باحثون من كلية هارفارد الطبية في بوسطن: إن خلايا في أجزاء مختلفة من المخ تستجيب لخواص مثل اللون والطعم والكمية.

وتوصل الدكتور كاميلو باداوا شيوبا، وجون آساد، وهو أستاذ مساعد في بيولوجيا الأعصاب، إلى الخلايا العصبية التي تشارك في تحديد القيم التي تساعد الناس في الاختيار. وقال بادوا شيوبا إن الخلايا العصبية، التي تم تحديدها، تحول إلى رموز القيمة التي يحددها الأشخاص للمواد المتاحة حين يجرون اختيارات بناء على تفضيلات ذاتية، وهو السلوك الذي يطلق عليه الاختيار الاقتصادي. وحدد العلماء، الذين نشروا هذه النتائج في دورية نيتشر، مكان الخلايا العصبية في منطقة في المخ يطلق عليها "OFC" بينما كانوا يدرسون قرود المكاك الآسيوية التي كان عليها أن تختار بين نكهات وكميات من العصائر. وربطوا اختيارات القرود بنشاط الخلايا العصبية في تلك المنطقة، وبالقيم المحددة للأنواع المختلفة للعصائر، فقد كانت بعض الخلايا العصبية نشطة للغاية حين اختارت القرود ثلاث قطرات من عصير العنب على سبيل المثال، أو عشر قطرات من عصير التفاح. وحولت خلايا عصبية أخرى إلى رموز قيمة عصير البرتقال فقط، أو عصير العنب. وقال بادوا شيوبا: إن اختيار القرد قد يكون معتمداً على نشاط هذه الخلايا العصبية. وكان بحث أجري في وقت سابق وتناول منطقة "OFC" أظهر أن الأذى الذي يلحق بهذه المنطقة مرتبط على ما يبدو باضطراب الأكل، والمجازفة الإلزامية، والسلوك الاجتماعي غير المألوف. وبحسب هؤلاء العلماء تظهر النتائج الجديدة ارتباطاً بين نشاط منطقة "OFC" وعملية التقييم العقلي التي تتضمن سلوكاً اختيارياً. وقال شيبوا: إن هناك إمكانية ملموسة لأن تكون أوجه قصور مختلفة في الاختيار، ربما ناتجة عن ضعف أو اختلال وظيفي في نشاط هذا القطاع من الخلايا العصبية، على الرغم من أن هذه الفرضية بحاجة إلى اختبارها.

استجابة عقل المرأة المثلية تشبه استجابة عقل الرجل السوي

أظهرت دراسة علمية حديثة أن عقول النساء "المثليات" تستجيب للهرمونات الجنسية بصورة مختلفة عن عقول نظيراتهنّ اللواتي ينجذبن للذكور، وهي النتيجة التي أكدتها دراسة سابقة حول اختلاف استجابة عقول الرجال "المثليين" عن نظرائهم الذين ينجذبون للإناث، رغم أن الاختلافات عند الرجال كانت أكثر وضوحاً منها عند النساء.

وبحسب الدراسة، التي أجراها فريق باحثين سويديين، فقد كانت استجابة عقول النساء المثليات مشابهة، إلى حد ما، لاستجابة الذكور الذين ينجذبون للإناث.

وكان الفريق نفسه قد أجرى دراسة مماثلة حول المثليين الذكور، ووجد أن استجابة عقولهم للهرمونات الجنسية شبيهة، إلى حد ما، باستجابة الإناث اللواتي ينجذبن للذكور. وفي كلا الدراستين، كانت النتائج تضيف شكلاً من التأكيد لفكرة أن لدى "المثلية الجنسية" أساس مادي، وأنها ليست سلوكاً يتم تعلمه. وقالت الأستاذة في كلية الطب في جامعة ماكستر في أونتاريو، ساندرا ويتلسون، الخبيرة في علم الدماغ "تظهر الدراسة أن التوجهات الجنسية بين الذكور والإناث قد يكون لها أسس مختلفة كلياً.. وهي ليست مجرد صورة معكوسة في المرآة". وأضافت ويتلسون "الأمر المهم هو تقبل الحالة المحتملة بأن هناك عوامل بيولوجية تساهم في التوجهات الجنسية". قاد فريق الدراسة الأستاذة إيفانكا سافيك، من معهد استكهولم لعلوم الدماغ، وأجريت على مجموعة من المتطوعات، اللواتي استنشقن مواد كيميائية استخلصت من الهرمونات الجنسية الذكرية والأنثوية. ويعتقد أن هذه المواد الكيميائية هي الهرمونات التي تحفز الاستجابات المختلفة، مثل الدفاع والرغبة الجنسية في العديد من الحيوانات. على أي حال، تظهر الدراسة الجديدة وجود علاقة شبيهة، وإن كانت ضعيفة، بين استجابتي الرجال غير المثليين والنساء المثليات.

ووجد أن استجابة المرأة غير المثلية للهرمونات الجنسية للرجل والمرأة مثيرة بصورة متساوية تقريباً. أما الرجل السوي، غير المثلي، والمرأة المثلية، فإنهم تجاوباً مع الهرمون الجنسي الأنثوي بصورة أكبر من تجاوبهما مع الهرمون الجنسي الذكري. كذلك وجد الرجال والنساء المثليات أن الهرمون الجنسي الذكري أكثر تنفيراً من الهرمون الأنثوي، فيما وجدت النساء السويات، غير المثليات، أنهن ينزعجن بصورة أكبر عند تعرضهن للهرمون الأنثوي.

علاج اكتئاب الأم يمنع اكتئاب الأطفال

يقول باحثون أميركيون إنهم أظهروا لأول مرة أن معالجة اكتئاب الأم يمكن أن يساعد في الحيلولة دون إصابة طفلها بالاكتئاب، أو اضطرابات ما يعرف بالحَصَر النفسي. ويرى الباحثون في جامعة تكساس أن النتائج مثيرة، وتحمل معها الكثير من المضامين على صعيد الصحة العامة. ويقول المشارك في نشر الدراسة البروفيسور في الطب النفسي في جامعة تكساس د. "إي جون راش" "إن الاكتشاف مثير وهام للغاية." وعادة ما ينتقل الاكتئاب بالوراثة، وله عنصر وراثي قوي، لكن العوامل البيئية قد تساهم في تحفيزه.

و تقول "ميرنا وايزمان"، معدة الدراسة الرئيسية، والباحثة في جامعة كولومبيا، و"معهد طب النفس" في نيويورك، إن نتائج الدراسة تشير إلى أن ذلك المحفز لإثارة الاكتئاب عند الأطفال قد يكون أحياناً الاكتئاب الذي تشعر به أمهاتهم.

ويقول الباحثون إن المعالجة الفعالة للأمهات قد تجنب أطفالهن الحاجة لوصفات طبية تشمل مضادات حالات الاكتئاب.

وتضيف وايزمان" أنه يجب علاج الآباء والأمهات بشكل قوي، ذلك أن التأثير لا ينحصر بهم، بل يشمل أيضاً أطفالهم."

وأظهرت الدراسة أن الأطفال الذين اختفت أعراض الاكتئاب لدى أمهاتهم بعد علاج لمدة ثلاثة أشهر كانوا أقل عرضة بكثير للاكتئاب، والحصار النفسي، ومشاكل السلوك، من الأطفال الذين لم تتحسن أمهاتهم.

وعلقت الدكتورة "ندى ستوتلاند" نائبة مدير "اتحاد أطباء النفس الأميركيين"، والبروفيسور في الطب النفسي في "كلية راش للطب" في شيكاغو بالقول: "إن النتائج معقولة جداً ومقنعة للغاية ومفيدة إلى حد كبير."

وتضيف "ستوتلاند" أنه بينما تجنح الأمهات إلى وضع احتياجاتهن في المقام الأخير، فإن البحث الجديد حجة جيدة على وجوب أن يعتنين بأنفسهن قبل كل شيء آخر."

وشبهت "ستوتلاند" الأمر بوضع الأم لقناع التنفس على وجهها أولاً على متن الطائرة في الحالات الطارئة، وقالت "إنها إن لم تستطع التنفس، فإنها لن تستطيع مساعدة أحد." ومن المقرر نشر الدراسة في "مجلة اتحاد الأطباء الأميركيين". وقد شملت الدراسة 114 امرأة كن يعانين

من الاكتئاب، وامتدت الدراسة ثلاثة أشهر.

ومن أصل 114 طفلاً مشاركاً بين سني الحادية عشرة والثانية عشرة، ثمانية وستون منهم لم يكونوا يعانون من أية أعراض نفسية عندما بدأت أمهاتهم العلاج.

ومن بين هؤلاء النسوة تعافت ثمانية وستون امرأة تماماً من الاكتئاب خلال فترة البحث الذي استخدمت فيه بعض العقاقير من مضادات الاكتئاب.

وبلغ معدل التعافي من الاكتئاب لدى الأطفال الذين كانوا يعانون من مشاكل نفسية 30٪ من الذين تعافت أمهاتهم خلال ثلاثة أشهر، بينما بلغت هذه النسبة 12٪ فقط عند الأطفال الذين بقيت أمهاتهم يعانين من الكآبة.

وبين الأطفال الذين لم يكونوا يعانون من مشاكل نفسية في بدء البحث، بقي جميع الأطفال الذين تعافت أمهاتهم في حالة جيدة، بينما أصيب 17٪ من هؤلاء الأطفال ممن بقيت أمهاتهم في حالة اكتئاب في نهاية البحث.

ورجحت "وايزمان" الحصول على نتائج مماثلة عند إجراء دراسات شبيهة على الآباء، رغم أنه لم تجر دراسة من هذا القبيل بعد.

ويقول الدكتور "بيتر روبنز"، وهو اختصاصي في طب الأطفال في فيرجينيا، إنه شاهد نتائج مشابهة في خلال حياته المهنية، وأن الأعراض لم تقتصر على الاكتئاب، بل تشمل أيضاً "العوز للاهتمام" و"اضطراب فرط النشاط"، حيث أن الأطفال الذين آباؤهم وأمهاتهم يعانون من هذه الأعراض يرجح أن يعانوا هم أيضاً منها، وأن علاج الأب، أو الأم، قد يؤدي إلى تحسن في أعراض الطفل.

ويقول الدكتور روبينز:" تبرز الدراسة أن الاعتناء بالطفل يعني الاعتناء بالأم والأب وكامل الأسرة."

هل يسيطر العقل على العضلات؟

أفادت بحوث أن التفكير في كيفية عمل العضلات قد يؤدي الى زيادة قوتها. وقد طلب فريق من جامعة **Hull** من **30** شخصاً أن يشدوا عضلة أعلى الذراع، واتضح أن تمارين العضلات كانت فعالة أكثر حين ركز الأشخاص على ما يقومون به، ولكن حين تصور الأشخاص أنفسهم يرفعون أثقالاً، فإن عدد العضلات التي انخرطت في النشاط كان أقل. وسيجري عرض البحث في مؤتمر الجمعية السيكولوجية البريطانية في كارديف. ولقد ربط فريق البحث

الأشخاص الذين كانوا يجرون عليهم تجارب إلى أجهزة لقياس الوزن كانت تراقب مستوى النشاط الكهربائي في عضلة أعلى الذراع، وطلبوا منهم التفكير بطريقتين مختلفتين أثناء القيام بالتمرينات. وكلما زادت النشاطات الكهربائية التي سجلت، كلما زاد نشاط العضلات. وحين طلب من الأشخاص المشاركين في التجربة التركيز على ما كانوا يقومون به، وكيف كان ذلك يحدث، زادت مستويات النشاط الكهربائي الذي سجل، ولكن حين طلب منهم تخيل رفع الأثقال كان مستوى النشاط الكهربائي أقل. وكانت أبحاث سابقة قد أوضحت أن التفكير في ما تقوم به العضلات قد يسبب صعوبة في القيام بنشاطات تتطلب مهارة خاصة، كإلقاء الكرة.

ويوضح د. ديفيد مارتشانت قائلاً :" حين يقف العداؤون خلف خط الانطلاق، فإنهم يركزون على نهاية الشوط، وليس على عمل أرجلهم، لأنهم إذا ركزوا على النشاط الفيزيائي الفعلي، فإن النتيجة لن تكون جيدة". ولكن الأبحاث أظهرت أيضاً أن التركيز على عمل العضلات يساعد على تقويتها. وأضاف د. مارتشانت:" لنفرض أن هناك لاعب كرة يعاني من إصابة في العضل يريد أن يعالجها. أطلب منه التركيز على عمل العضل أثناء قيامه بالتمرينات، فإن هذا أفضل. أما إذا كان يستعد لضربة جزائية لا تتطلب منه التفكير في عمل العضلات، بل اطلب منه التركيز على الهدف". ويعلل د. مارتشانت ذلك بأن عضلة اللاعب تصبح أكثر نشاطاً من جراء التركيز عليها. ويشير مارتشانت على المدربين بالاستفادة من هذا المبدأ من خلال إعطاء التعليمات الملائمة للتركيز حسب طبيعة النشاط المنوي القيام به. وقال د. جيم جولبي، الخبير من جامعة تيساید إن التجارب التي كررت عشر مرات لم تقم على التكرار في ظروف رياضية واقعية.

بصمات الأصابع تخفي أدلة عن نمط حياة الإنسان

يقول الباحثون البريطانيون إنه سوف يمكن قريباً لخبراء البحث الجنائي من خلال بصمات الأصابع تضييق لائحة المشتبه فيهم في الجرائم المختلفة، وذلك اعتماداً على معلومات يمكن للبصمة أن تفصح عنها باستخدام تقنية جديدة. ويعكف الباحثون البريطانيون على إظهار كيف يمكن للبصمة أن تتغير مع التقدم في العمر، وحسب عادات التدخين، أو استخدام المخدرات، وغيرها. كما يأمل العلماء من أن يتمكنوا عبر بحثهم بالحصول على نسخ عالية الوضوح لبصمات أصابع لم يتم الكشف عنها لأيام أو أسابيع. كما يأملون أيضاً في أن يعثروا على بصمات أصابع على الأسلحة الفردية، وعلى شظايا القنابل، وهي من بين الأجسام التي يواجه

خبراء البحث الجنائي صعوبة كبيرة في إيجاد بصمات أصابع عليها. ويعتمد البحث الذي تشرف عليه الدكتورة سو جايكل في جامعة كينغز كوليج في لندن على البحث عن مكونات كيماوية مأخوذة من بصمات الأصابع، وكيفية تغير تلك المكونات مع مرور الزمن. ومن تلك المواد التي تتخلف عند لمس شيء في مكان البصمة مكونات جزيئية مثل "اللبيدات" وهي مركبات عضوية تشمل ضروباً من الدهن والشمع. ومن بين تلك "اللبيدات" مادة تسمى "سكوالين"، وهي المادة التي ينشأ عنها الكوليسترول، وتكون عادة موجودة بكثافة في بصمة الإصبع. وبما أن هذه المادة تتحلل خلال أيام، فهذا يجعل من الصعوبة بمكان الكشف عن البصمات بالوسائل التقليدية. واعتماداً على هذه المعلومة يعكف فريق الدكتورة جايكل على التوصل إلى أساليب للحصول على أدلة جيدة من بصمات قديمة نسبياً. كما يظهر البحث كيف يمكن لبصمات الأصابع أن تستخدم كأدلة تدل على صاحبها. وتقول الدكتورة جايكل إن البالغين والأطفال وكبار السن يتركون بصمات أصابع مختلفة بحكم المركبات العضوية المتباينة في تلك البصمات. وعدا عن ذلك، يفرز جسم المدمن على المخدرات مواداً تدل على ما يتعاطونه، ويفرز جسم المدخن مادة تسمى "الكوتانين" وهي مادة كيماوية ينتجها الجسم عندما يستقلب جسم الإنسان مادة "النيكوتين". ويجري العمل حالياً في عيادات حفظ الميثادون، ومراكز رعاية المدمنين لمعرفة الكيفية التي يمكن للتغيرات في عادات الإدمان عند المدمن أن تغير بصمات الأصابع التي يتركها في مكان ما. ويجري فريق آخر من" جامعة ويلز" بإشراف البروفيسور "نيل ماك موراي" بحثاً مكملاً غايته معرفة المدى الذي يمكن الذهاب إليه للتعرف على بصمات الأصابع المأخوذة من أسطح معدنية، مثل عبوات طلقات الرصاص، وشظايا المتفجرات. ولما كان من الصعب التعرف على البصمات باستخدام الوسائل التقليدية التي تعتمد على المساحيق، وغيرها من المواد الكيماوية، يقوم فريق البروفيسور ماك موراي بقياس ردود الفعل الكهرباكيماوية الدقيقة التي تنتج عن ملامسة الإصبع لسطح معدني. ولهذه الغاية يستخدم جهاز يدعى "مستشعر كالفن الماسح" حيث يقيس التغيرات الدقيقة في الطاقة الكامنة الكهربائية الناجمة عن ردود الفعل تلك. وبناء على هذه التقنية تمكن الباحثون من اكتشاف بصمات أصابع على أسطح معدنية تعرضت لدرجات حرارة تصل إلى **600** درجة مئوية. ونجح هذا الأسلوب مع معادن مثل الحديد والفولاذ والألومينيوم والزنك والنحاس، بل حتى أنه فعال في التعامل مع الشايا والتعرجات التي تتخلف عن عبوات طلقات الرصاص. ويقول البروفيسور ماك موراي إن النتيجة سوف تفضي إلى إنتاج جهاز نقال لتحليل بصمات الأصابع في مسرح الجريمة.

دراسة جديدة تحذر من العواقب على المدى البعيد لحمية المراهقين

أظهرت دراسة جديدة أن المراهقين الذين يتبعون نظم حمية، أو إجراءات مُضرة بالصحة لخفض أوزانهم، قد ينتهي بهم الأمر بزيادة أوزانهم على المدى البعيد. ووجد الباحثون أن هؤلاء المراهقين يقعون في ما يبدو في شرك اتباع نموذج غذائي غير مفيد للصحة، وانتهاج طرق لفقد الوزن بشكل كبير، وفي بعض الأحيان يتعرضون لاضطرابات تتعلق بالأكل. ومن بين ما يزيد على **2500** مراهق شملتهم الدراسة تعرض من قالوا إنهم حاولوا السيطرة على أوزانهم لزيادة في الوزن أكثر ثلاث مرات من قرنائهم الذين زاد وزنهم بعد خمس سنوات. كما أنهم أصبحوا أكثر عرضة لاضطرابات الإفراط في الأكل، أو للتقيؤ، أو استخدام أقراص للحمية، مثل مُسهلات للأمعاء، أو مُدرات للبول، في مسعى لخفض الوزن. وترى نتائج الدراسة وفقاً لما يقوله معدوها أن الحمية والأشكال الأخرى للسيطرة على الوزن إما أن تحفز زيادة الوزن، وتتسبب في اضطرابات خاصة بالأكل، أو تعمل كمنبه مبكر لمشكلات قادمة. ويضيفون أنه مهما كان الأمر فإنه يبدو أنه حين يتبع المراهقون حمية -حتى ولو بطريقة صحية- فإن فوائدها تكون محدودة.

وأوردت الباحثة داني نيومارك ستينر، وزملاؤها في جامعة مينيسوتا في منيابوليس، النتائج في دورية رابطة الحمية الغذائية الأميركية. وشملت الدراسة **2516** طالباً في مينيسوتا، استطلعت آراؤهم بشأن أي اجراءات يتبعونها للتحكم في الوزن. وشمل ذلك الأشكال الضارة بالصحة للحمية الغذائية، مثل إلغاء وجبات، أو استبدال الغذاء بمشروبات حمية غذائية- بالإضافة إلى إجراء تغيرات في نظام الغذاء تعتبر مفيدة للصحة، مثل تناول مزيد من الفاكهة والخضراوات وتقليل الحلوى.

وسُئل المراهقون كذلك بشأن ما إذا كانوا يتناولون أقراص حمية غذائية، سواء مُسهلات للأمعاء، أو مُدرات للبول لخفض الوزن. وعلى وجه العموم، ذكر **58** في المئة من الفتيات و **31** في المئة من الذكور اتباعهم بعض أشكال الممارسات غير الصحية لخفض أوزانهم. وهؤلاء المراهقون كانوا أكثر عُرضة لزيادة الوزن بعد خمس سنوات، حتى مع أخذ أوزانهم الراهنة في الاعتبار. وعلاوة على ذلك، فإنهم يزداد لديهم بنحو ست مرات تقريباً احتمال التعرض لاضطراب الإفراط في الأكل، ويصبحون أكثر عرضة لاتخاذ إجراءات مبالغ فيها لخفض أوزانهم. كما أصبحت الفتيات اللائي ذكرن أنهن اتبعن طرقاً ضارة بالصحة لخفض أوزانهن أكثر احتمالاً للتعرض لأي شكل من أشكال الاضطراب الغذائي بعد خمس سنوات. وتشير نيومارك ستينر وزملاؤها إلى وجود حاجة لإحداث "نقلة كبيرة" في التوجهات بشأن التحكم في الوزن. ويلمحون

إلى أن الكثير من المراهقين يحتاجون على الأرجح إلى المساعدة في إجراء تغيرات صحية دائمة في حميتهم وعاداتهم الخاصة بممارسة التمارين الرياضية، كما يحتاجون الى معارضة إجراء تغيرات سريعة. ويرى الباحثون أن أكثر ما يثير القلق في الأمر هو المشكلات الدائمة المرتبطة بجهود تحكم المراهقين في أوزانهم، لاسيما الطرق الضارة بالصحة. وكتبوا يقولون: بوضوح، فإن الحمية الغذائية ليست سلوكاً حميداً يمكن تجاهله كأمر عادي للمراهقين.

تحذير للمتزوجين.. النكد يؤثر سلبا على الصحة مع تقدم السن

دقت دراسة حديثة ناقوس الخطر للأزواج والزوجات الذين يعانون من مشكلات زوجية باكتشافها أن النكد قد يعجل بتدهور الصحة مع تقدم العمر. وعلى الرغم من أن الأبحاث توضح أن المتزوجين عادة ما يتمتعون بصحة أفضل من العزاب، إلا أن عدداً من الدراسات قالت إن الزواج غير الناجح قد يؤثر بشدة على صحة الإنسان. واكتشفت بعض الدراسات، على سبيل المثال، ارتفاع معدل الإصابة بمرض القلب وسط الذين لا يشعرون بالرضا عن زيجاتهم. وتوضح أحدث دراسة نشرت في دورية الصحة والسلوك الاجتماعي أن التوتر الناتج عن الزواج غير الناجح قد يسبب تأثيراً مدمراً على صحة كبار السن. وقالت ديبرا امبرسون، التي قادت فريق البحث، إن هذه هي أول دراسة على حد علمها تعالج مسألة اختلاف الآثار الصحية للمشاكل الزوجية حسب العمر. وقالت إمبرسون، التي ترأس قسم العلوم الاجتماعية في جامعة تكساس أوستن: إن هناك أسباباً عدة تجعل كبار السن أكثر عرضة للمشاكل الزوجية. وقالت إن التوتر المزمن، شأنه شأن التدخين، يؤدي إلى تأثير تراكمي على الصحة على مر الأعوام. وأضف إلى ذلك حقيقة أن كبار السن هم أكثر عرضة لتلك الآثار، بسبب التدهور في وظائف المناعة، وارتفاع معدل المشكلات الصحية، مثل مرض القلب بسبب التقدم في العمر. واستعانت إمبرسون وزملاؤها ببيانات من دراسة على بالغين أميركيين بدأت عام **1986**. وركز الباحثون على **1049** رجلاً وامرأة أجريت مقابلات معهم ثلاث مرات على مدار ثمانية أعوام، وظلوا متزوجين طيلة هذه المدة. وأجاب المشاركون في الدراسة على أسئلة بشأن حياتهم الزوجية، مثل: هل يجعلهم الطرف الآخر يشعرون "بالحب والرعاية" وهل يستمع إلى مخاوفهم، أم أنهم كثيراً ما يدخلون في شجار وشقاق. وطلب منهم أيضاً أن يصنفوا الحالة الصحية لهم من اختيارات تبدأ من "سيئة" إلى "ممتازة". وإجمالاً، اكتشفت الدراسة أن الرجال والنساء الذين قالوا إنهم يشعرون بتوتر أكبر في حياتهم الزوجية قالوا أيضاً إن هناك تدهوراً كبيراً في صحتهم بمرور الوقت. ولكن عندما صنف الباحثون المشاركين في الدراسة إلى ثلاث مجموعات، أعمارهم **30** و**50** و**70** عاماً، وقت

بدء إجراء الدراسة اكتشفوا أن المجموعة الأكبر سناً هي التي ظهرت عليها التأثيرات الصحية السلبية. وعلى الناحية الأخرى، فإن الأكبر سناً فقط هم أيضاً الذين بدت عليهم الاستفادة الصحية من الزواج السعيد. وخلصت إمبرسون وزملاؤها إلى أن "الأشخاص الذين يعيشون زيجات بائسة لديهم الآن سبب آخر لتحديد المشاكل الزوجية، وتحسين نوعية حياتهم الزوجية... ربما تعتمد صحتهم على ذلك". وتقول إمبرسون أن الاستشارات الزوجية ربما تكون أفضل الخيارات في التعامل مع المشاكل الزوجية، ولكنها أوضحت أن كبار السن ربما يكونون أقل استعداداً لتقبل نصائح زواجية، وربما يكونون أكثر استعداداً للحديث مع شخص يثقون فيه، مثل كاهن أو قس.

ابتكار ساعة لقياس ضغط الدم طوال اليوم

قال مبتكر لصحيفة ذي ستريتس تايمز إن ساعة طورها في سنغافورة لقياس ضغط الدم على مدار اليوم، حصلت على إجازة إدارة الأغذية والأدوية الأميركية. ونسبت الصحيفة للدكتور تينج شون مينج، مبتكر الساعة التي تعرف باسم بي. برو، قوله "إن هذا الابتكار يعد من المبتكرات المهمة للشركة، وبمثابة جواز سفر لها لكثير من مناطق العالم". وأضاف أن هذه الطريقة تتيح للأطباء وقف المشاكل المحتملة، مثل ارتفاع ضغط الدم. وأبانت الصحيفة أن الساعة التي أنتجتها شركة هيلثستاتس إنترناشونال تظل تسجل قياس ضغط الدم للشخص طوال اليوم، وبذلك يتسنى للأطباء الاطلاع على خريطة قراءات مسجلة على مدار يوم، أو حتى على مدى شهور. وأشارت إلى أن مبيعات بي. برو كانت في أوروبا قد بدأت العام الماضي. ووقعت الشركة اتفاقات لبيع الساعات في الصين وهونغ كونغ وماليزيا هذا العام.

الأدوية المضادة للاكتئاب تؤدي إلى الانتحار

توصلت دراسة طبية حديثة إلى أن بعض الأدوية المضادة للاكتئاب تتسبب في زيادة خطر محاولات الانتحار عند بعض صغار السن. وحذرت شركة "غلاكسو سميث كلاين" التي توصلت إلى هذه النتيجة بعد تجارب سريرية، الأطباء من دواء "**Paxil**" المضاد للاكتئاب، وقالت إنها غيّرت تصنيف الدواء بناءً على نتيجة هذه الدراسة التي قامت بتحليل بيانات التجارب السريرية الخاصة بـ **15000** شخص. ووجدت الدراسة أن محاولات الانتحار المُسجّلة نادرة، ولكنها كانت أكثر شيوعاً بين البالغين الذين يتناولون الدواء بسبب الاكتئاب، من أولئك

الذين يتناولون أقراصاً ضمن العلاج المموّه. وحسب المقال الذي نشرته صحيفة النيويورك تايمز، طلبت إدارة الدواء والغذاء في أكتوبر/ تشرين الأول **2004** من شركات الدواء أن تضع تحذيراً شديداً على الوصفة المرفقة مع الأدوية المضادة للاكتئاب، بعدما أثبتت الدراسات أن بعض الأدوية تزرع أفكار الانتحار في عقول الأطفال والمراهقين. ويبدو أن دراسة غلاكسو – الأولى من نوعها التي أجرتها شركة أدوية للوصول إلى رابطٍ بين مضادات الاكتئاب وسلوك الانتحار بين البالغين حسب قول الخبراء – قد تقنع بعض المتشككين في أن الخطر حقيقي، وليس مقصوراً على صغار السن.

وما وجدته الدراسة كان شيوع أفكار الانتحار بين الأطفال والمراهقين، ولكن لم تُسجّل حالات انتحار فعلية بينهم.

ذكرت إدارة الدواء والغذاء أنها لاتزال تعمل على تقييم البيانات، "إلا أنها تنصح المستهلكين والأطباء بمراقبة البالغين الذين يُعالَجون بالأدوية المضادة للاكتئاب، في ما إذا كانت حالة الاكتئاب لديهم تزداد سوءاً، أو في ما إذا كانت أفكار الانتحار تبدأ في السيطرة عليهم." كما ركّز على أنه "من الضروري ألا يوقف المرضى الذين يتعاطون **Paxil** الدواء وفق أهوائهم."

وفي العام الماضي، طلبت الوكالة من صانعي الأدوية النفسية أن يراجعوا كل معلوماتهم المتعلقة بالآثار الجانبية على البالغين، وذلك بعد نقاش دولي مطوّل حول ما إذا كانت الأدوية المضادة للاكتئاب تزيد من خطر حصول الانتحار لدى الأطفال، ولكن بعض الشركات لم تُعلِن عن نتائجها بعد.

"لقد كان هذا التحليل الأول الذي يظهر علاقة بين محاولات الانتحار وواحداً من مضادات الاكتئاب" منذ أن طلبت إدارة الدواء والغذاء تبيين التحذير في ما يتعلق بالأطفال والمراهقين" وذلك حسب قول كيلي بوسنر، الأستاذة المساعدة في قسم العلاج النفسي للأطفال في كولومبيا، التي ساعدت الوكالة في تفسير ردود الفعل السيئة الناتجة عن مضادات الاكتئاب.

وقالت بوسنر إنه يجب التعامل مع النتائج التي توصلت إليها غلاكسو بحذر، وذلك لأن التجارب حتى الآن لم تُجرَ لتحديد خطر الانتحار. وأضافت: "لم يتضح بعد في ما إذا كان الدواء يقود إلى فعل الانتحار."

وقالت ماري آن راين المتحدثة باسم الشركة أن غلاكسو بعثت بهذه التحذيرات طوعاً، وما تزال بياناتها تظهر أن فوائد الدواء تتغلب على مخاطره بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب.

وقالت راين: "توجهنا بالنصيحة إلى الأطباء لمراقبة كافة المرضى ليتأكدوا من أن أعراضهم لا تزداد سوءاً" في الفترة الكاملة للعلاج.

وقد وجدت الأبحاث السابقة أن خطر الهواجس التي تدعو إلى الانتحار تصل إلى ذروتها في الأسابيع الأولى من العلاج، أو عندما يوقف تناوله للدواء. وكانت إحدى التجارب لمضادات الاكتئاب، نشرت السنة الماضية في الصحيفة الطبية البريطانية **BMJ**، قد وجدت أن الأشخاص الذين يتناولون **Paxil** وأدوية مشابهة مثل **Prozac** قاموا بعمليات انتحار أكثر من غيرهم.

وتناقش الخبراء في تفسير وتقييم هذه النتائج؛ ففي تحليل غلاكسو حلل الباحثون التجارب التي شملت **8958** من الذين يتناولون **Paxil** و**5953** من الذين يتناولون أقراصاً للعلاج المموّه، وتتراوح أعمار المشاركين من **18** إلى **64** عاماً، وكانوا يتناولون الدواء لحالات الاكتئاب، ولاضطراباتٍ أخرى، مثل الاضطراب الإلزامي الاستحواذي.

وقد وجد التحليل أن **11** من **3455** كانوا يتناولون **Paxil** لعلاج الاكتئاب سجّلوا حالات انتحار، مقارنة بـ **1** من **1978** كانوا يتناولون أقراصاً ضمن العلاج المموّه. وذكرت الشركة أن معظم هؤلاء كانوا من البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين **18** و**30** عاماً. بينما لم يجد التحليل خطر محاولات الانتحار لمن تبلغ أعمارهم فوق **30** عاماً. وقال الدكتور جورج سمبسون، الأستاذ في علم النفس وعلم السلوك في كلية الطب في جامعة جنوب كاليفورنيا: "لن تغير النتائج الحديثة كثيراً من مزاولتي للمهنة، ولكن ما يقدمونه هو سبب لتكثيف المراقبة على الأشخاص الذين يتناولون الدواء." وقال الدكتور سمبسون إن ذلك التحذير يؤكد الحاجة إلى مراقبةٍ أكثر حذراً للآثار الجانبية حالما يصل الدواء إلى السوق. وقال: "إن الجهاز الحالي لمراقبة ما يصل إلى السوق وصل حد الضعف."

سـلم القلـق لهـاميلتـون
HAMILTON ANXIETY SCALE

إجراء الإختبار

يعتمد الفحص هذا كامل الأسبوع المنقضي، أي سبعة أيام قبل يوم الفحص.

1- توطئة

يشكل سلم القلق لهاميلتون(HAMA) في شكله الأصلي أو "التقليدي" أو "الكلاسيكي" أحد أدوات القيس الأكثر استعمالاً في الطب النفسي، رغم أن واضعها هاميلتون كتب عنها منذ صدورها "لا يجوز في أية حال أن نعتبر أن هذا السلم وصل إلى شكله النهائي... فبعض المتغيرات تشكل، بداهة، خليطاً يستوجب المزيد من البحوث المعمقة".

التاريخ والتقديم

قدم هاميلتون سلمه سنة 1959 كأداة تمكن من تقييم كمي ومرقم للقلق العصابي. وفي سنة 1976 أدمجه المعهد الوطني للصحة النفسية (الولايات المتحدة الأميركية) إلى كتاب الفحوص (ELDU Assessment Manual) وترجمه بيشو PICHOT إلى الفرنسية.

كما استخرج منه الباحث سنايت وأعضاده SNAIT ET ALL سنة 1982 سلماً يحوي ستة أسئلة فقط، سموها "سلم القلق السريري" « Clinical Anxiety Scale » ويعتبرونه أجود من سلم هاميلتون الأصلي.

كيفية تركيب هذا السلم

يشمل سلم HAMA هذا 14 سؤالاً: 1- المزاج القلقي. 2- التشنج. 3- المخاوف. 4- الأرق. 5- الوظائف الذهنية. 6- المزاج الإكتئابي. 7- ظواهر جسدية عامة وعضلاتية. 8- ظواهر جسدية عامة وحسية. 9- ظواهر قلبية ووعائية (شرايينية). 10- ظواهر تنفسية. 11- ظواهر

بالمعدة والأمعاء. 12- ظواهر منسلية وبولية. 13- ظواهر بالجهاز العصبي اللاإرادي. 14- السلوك العام أثناء حصة التحاور.

وهذ الظواهر تشمل كامل قطاعات القلق، من نفسية وجسدية وعضلاتية وأحشائية. وتشمل كذلك الإضطرابات الذهنية واختلالات النوم، والمزاج الإكتئابي. ولو أن ذكرها هنا قد يثير التساؤل حول "سلم مميز" للقلق: فالأسئلة ليست محددة حقاً وبصريح اللسان، إلا أن كلاً منها يمثل مجموعة من الأسئلة نقدمها في شكل أمثلة، وتؤدي إلى تحديدها بالمقارنة والقيس والتوسع.

وقد نقيمهم بواسطة خمس درجات من الخطورة، من انعدام وجود الظاهرة، إلى حدتها القصوى المؤدية إلى القصور بالمريض حاملها. فالعدد الجملي يتراوح بين صفر (0) وستين (60) وهناك عدد يخص القلق النفسي (أسئلة من 1 الى 6)، وعدد يميز القلق الجسدي (أسئلة من 7 إلى 13). ويعتبر الباحثون عادة، أن العدد المؤهل للمريض حتى يساهم في إجراء تجربة دوائية (أي حامل درجة قلق دالة إحصائياً) لا يقل عن 20.

دراسات التقييم التأهيلي

لم تصدر بحوث عديدة حول تقييم وتأهيل سلم القلق HAMA. إلا أن حساسية نتائجه لتغيرات القلق، ثم تأهيلها بواسطة دراسات وتجارب عديدة، حيث وقع اعتماده. فأهليته للتميز بين درجات خطورة القلق أثناء تقييم جملي، نالت رضا الباحثين عموماً، رغم تواجد ثغرة صغيرة في تقييم الدرجتين "طفيف" و "منعدم". كما لم نجد بحوثاً تحوم حول خصوصيته (بالقلق) ولا حول تماسك بنيته الداخلية.

أما هيكلة السلم، فلقد أجريت دراستان تحليليتان، إحداهما بواسطة هاميلتون (واضعه) والثانية بواسطة الفرنسي بيشو PICHOT وكانت نتاجهما تتطابق كلياً وبكل دقة. فلقد أثبتا تواجد مؤثر عام يترابط بكافة الأسئلة بقوة.

أما تحليل المتغيرات، فلقد أثبت تواجد عنصرين: أحدهما نفسي (الأسئلة من 1 إلى6 و14) وثانيهما "جسدي" (الأسئلة من 7 إلى 13). ولقد جاءت هذه النتائج على أيدي شريحتين من الفاحصين: أطباء نفسيون في أميركا بمجموعة هاميلتون، ومباشري الطب العام بالنسبة لبيشو في فرنسا. مما يدل على صلابة وضع السلم، مع إمكانية اعتماده من غير المختصين.

الخلاصة

يمثل سلم القلق لهاميلتون HAMA أحد أوائل السلالم التي انتشر اعتمادها بكثرة. وأصبح

أداة قيس "رسمية" منذ إدماجه ضمن الدليل الرسمي للفحوص **ELDU**.

ونرجح أنه سوف يعوض مستقبلاً بأدوات أقصر منه من حيث الإجراء، وأكثر تجويداً من حيث قواعد القيس النفسي، وتستطلع بدقة متزايدة مختلف خصوصيات قطاعات كل الظواهر، إلى تحديدها بالمقاربة والقيس والتوسع.

شبكة العلوم النفسية العربية

http://www.arabpsynet.com/hamAnx/HamAnxText-Ar.htm

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص. ب: 3062 التل
فاكس: 438925 - 6 - 00961
هاتف: 441805 - 6 - 00961

1- المعجم النفيس
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
ذياب والجراية وعمار (40 دولاراً أميركياً)

2- سيكولوجية السياسية الإسرائيلية – النفس المغلولة
إصدار 2001 (10 دولارات أميركية)

3- الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث (6 دولارات أميركية)

4- سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات
إصدار 1999 (10 دولارات أميركية)

5- معجم مصطلحات الطب النفسي (10 دولارات أميركية)

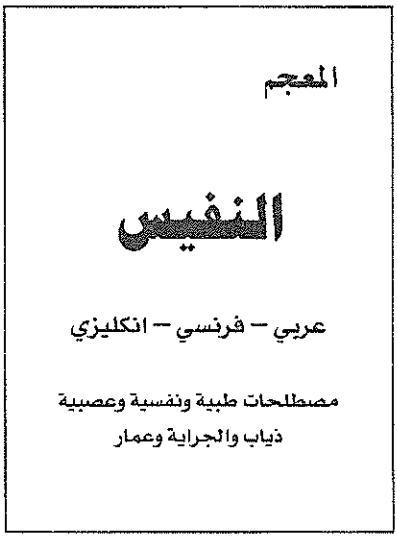

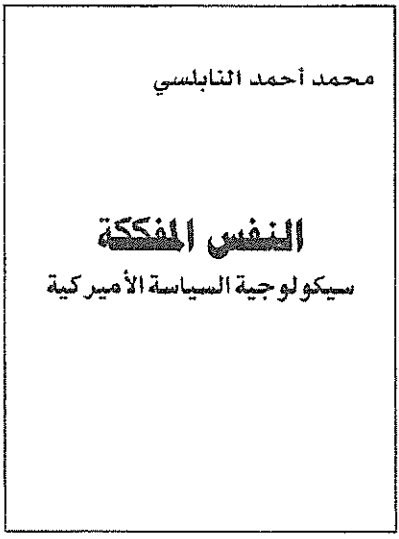

مشاكل المنطقة وحروبها انعكست سلباً على النشاطات العلمية فيها. وعلى صعيد الاختصاص ألغيت مؤتمرات عربية عديدة في لبنان ومصر والكويت والإمارات وغيرها. كما أجلت مناسبات نفسية أخرى. وفي العدد عرض لبعض النشاطات العلمية العربية والأجنبية:

5ème Conférence Africaine De Psychothérapie

Immigration Santé Mentale Psychothérapie et Culture

23 - 26 Novembre 2006 – Meknes, Maroc

organisée Par

Conseil Mondial de Psychothérapie

Association Marocaine De Psychanalyse

E.mail : mohazitouni@hotmail.com - ac-meknes@hotmail.fr

La différence sexuelle

Rencontre du Groupe arabophone pour la psychanalyse

10 -11 Novembre 2006 à Rabat - Maroc

organisée Par

La Société Psychanalytique Marocaine

E.mail : k.elalj@wanadoopro.ma

web : http://www.lienpsy.com

Relation Therapeutique et Médicaments en Psychiatrie

7,8,9 Juillet 2006 - Hammamet / TUNISIE

"Rencontres intreprises"

organisées par l'ATPEP

Séminaire sur " Le paradoxe de Winnicott "

24 mars et 12 Mai 2006

Organisé par

La Société Psychanalytique Marocaine
Animé par : Touria MIGNOTTE (psychanalyste - Paris)
British Arab Psychiatric Association, AGPA & BPA Conference
Organized by
BAPA, AGPA & BPA
BAHRAIN, 15 – 17 April 2006, Diplomat Hotel

مؤتمر الإرشاد في الدول العربية 2006

نمضي قدماً لنصنع المستقبل

2- 3 أيار/ماي 2006 – الشارقة، الإمارات

كليات التقنية العليا بالشارقة (كلية الطالبات)

السيدة نوال عبد المجيد، لجنة اختيار ورش العمل

فاكس: 6-5585353

بريد إلكتروني: nawal.majeed@hct.ac.ae

اليوم الطبنفسي الثاني للطفل والمراهق

فرط النشاط وعوز الانتباه عند الطفل والمراهق

22 نيسان/ أفريل 2006 - نزل سيفاكس/ صفاقس – تونس

قسم طبنفس الطفل بصفاقس - تونس، وحدة البحث النفسطبي للطفل والحدث

برعاية كلية الطب بصفاقس

أ. د. فرحات الغريبي - رئيس اليوم العلمي، ورئيس قسم طبنفس الطفل، المستشفى الجامعي لهادي شاكر، 3029 صفاقس- تونس

هاتف: 907 241 74 216 +

فاكس: 384 241 74 216 +

بريد إلكتروني farhat.ghribi@rns.tn

Journée Scientifique de Psychiatrie Universitaire

"Les Frontières de la Bipolarité"

Tunisie 15 Avril 2006

Hotel El Mouradi Palace, Sousse

Organisé par :

Société Tunisienne de Psychiatrie Hospitalo-Universitaire

Contact :

Pr. Ag. Selma Ben Nasr

Service de Psychiatrie CHU Farhat Hached Sousse - Tunisie

Fax : 00 216 73 226 702

E.mail : selmabennasr@yahoo.fr

مؤتمر علمي حول التربية الوجدانية للطفل

8 - 9 نيسان/ أفريل 2006 - القاهرة، مصر

كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة

أ. د. سامية مصطفى الخشاب، رئيس المؤتمر وعميد الكلية

محاور المؤتمر

1- دور المؤسسات التربوية في التربية الوجدانية للطفل(دور الأسرة-دور رياض الأطفال -دور المدرسة- دور وسائل الإعلام- دور مؤسسات المجتمع المدني).

2- التربية الوجدانية وصحة الطفل النفسية (علاقة التربية الوجدانية بالاضطرابات السلوكية- علاقتها بالذكاء الوجداني-علاقتها بأساليب الحياة-علاقتها بإدارة الوجدان).

3- أثر ثقافة المجتمع في التربية الوجدانية للطفل(أثر الثقافة الدينية- أثر الثقافة العلمية والأدبية- أثر التراث الشعبي).

4- التربية الوجدانية وصحة الطفل الجسمية.

آخر موعد لتقديم البحوث هو الأسبوع الأول من شهر شباط/ فيفري 2006.

ت/فاكس: 00202-3369744 / 00202-7622821

بريد إلكتروني : ftkcairo@yahoo.com - ashor312002@yahoo.co.uk

Al - Aqsa University International conference (Eng. Ar.)

"Text between Analysis, Understanding, and Reciting"

Gaza 4- 6 April 2006

Sponsored by :

Faculty of Arts and Humanitarian Sciences

Contact :

Prof. Ali Zeedan Abu Zohri - President of the Conference

Dr. Mousa Abu Dagga - Head of the Conference Preparatory Committee

E.mail : foart@alaqsa.edu.ps drmousa@alaqsa.edu.ps

2ème Rencontre International de Psychiatrie d'Exercice Privé

"Aspects Actuels de La Depression"

Bejaia, Algérie 23 Mars 2006

Organisé par :

Association Algérienne des psychiatres d'exercice privé (AAPEP)

Contact : Dr Farid Bouchène Président de l'AAPEP

Email: bouchene_farid@yahoo.fr

المؤتمر السنوي الثاني عشر للإرشاد النفسي، مصر

الإرشـاد النفسـي من أجـل التنميـة فـي عصـر المعلومـات

مركـز الإرشـاد النفسـي – جامعـة عيـن شمـس

مصر، من **25 – 27** كانون الأول/ ديسمبر **2005** /

قاعة المؤتمرات - دار الضيافة - جامعة عين شمس

أ. د. عبد العزيز الشخص ،مقرر عام المؤتمر ومدير مركز الإرشاد النفسي

كلية التربية - روكسي - مصر الجديدة/ القاهرة. رمز بريدي : **11757**

ت/فاكس: **4558123**

cocegypt@hotmail.com بريد إلكتروني: موقع ويب: **http://cocegypt.8m.com**

XXIVème Congrès Franco-Maghrébin de Psychiatrie (Fr. Ar.) (texte pdf)

"Troubles bipolaires – L'évolution du concept "

Organisé par :

Association Franco-Maghrébine de Psychiatrie

25 et 26 novembre 2005

France - Eaubonne – Val d'Oise

Tel.: 33.1.34.06.64.20 Télécopie : 01.39.59.57.49

Email: jean.dalery@ch-le-vinatier.fr

web : http://www.conframag.com

Seminar of:Gestalt Therapy in the stream of alternative medicine(Eng. Fr.)

LEBANON 29 October - 2005

Sponsored by :

Joe Acoury Gestalt Therapy Center

Contact : Adib Ishak street, Achrafieh, Beirut / LEBANON

P.O. Box : 11-6861 Beirut / Lebanon

Tel.: 961-1-325736, 339033, 201132, 332286 Fax: 961-1-203940, 328322

Website : www.hotelalexandre.com

E.mail : alexandre@hotelalexandre.com

XIII World Congress of Psychiatry (Eng.)

September 10-15/2005

EGYPT - Cairo

Contact : TILESA OPC, S.L.

Tel.: +34 913612600 Fax: +34 913559208

Email: secretariat@wpa-cairo2005.com

Contact : EMECO TRAVEL

Tel.: +202 5749360, +202 5799544 Fax: +202 5744212, +202 5749369, +202 683 6379

Contact : Afaf Khalil

Email: wpa@emeco.com Email: epa@click.com.eg

The 28th Congres of the WFMH (Ar. Eng.)

Biennial International Congress

"Equity and Mental Health"

EGYPT 4-8 September, 2005 Cairo –

Sponsored by :

The carter center ministry of social work

Ministry of health - Egypt

Ministry of Youth - Egypt

Home page : http://www.medical-design.net/mentalhealth2005/

Congress Secretary : Mr. Wagdy ISHAK E.mail : conference@medical-design.net

Congress President : Dr. Ahmed ABOUELAZAYEM E.mail : conference@medical-design.net

---

The 2nd Conference of the Sudanese Psychological Society

Applied Psychology and the Culture of Peace

1- 4 August 2005 - Khartoum, Sudan

Dr Omar Khaleefa - Head of the Organizing Committee Khartoum, P.O Box 12718, Sudan

Tel (Work) : ++ 249-183-760712 - Tel (Home) : + 249-185-324507

Tel (Cell) : + 249-912277467 - Fax : +249-183-760712

E. mail: okhaleefa@hotmail.com

الرابطة المغربية للتحليل النفسي

تنظم الأيام الدراسية

لمجموعة المعربين للتحليل النفسي

الرباط في **10 - 11** تشرين الثاني / نوفمبر **2006**

في موضوع: الفارق الجنسي

ثاني نداء للمداخلة

إن موضوع الفرق بين الجنسين قد صار منذ فرويد محوراً تدور حوله المناقشات التحليلية النفسية والفلسفية والأنتروبولوجية والاجتماعية والمذهبية والدينية. فهو لا ينحصر في كونه فرقاً

تشريحياً، بل تمتد الأسئلة التي يثيرها إلى ما يتعلق بالبنية النفسية، وبالمجال الحضاري والاجتماعي للأفراد.

إن الانتقادات الموجهة إلى التحليل النفسي قد انصبت في المحل الأول على ما سمي باسم "المركزية القضيبية" عند فرويد، وكان من نتائجها أنها أدت إلى مناقشات واسعة، بين رأي يقف عند خصائص الحضارات، وآخر يمتد إلى شمولية الكيان الإنساني.

في هدا المعرض جاء استنتاج لاكان لفكرة القضيب استناداً إلى البعد الرمزي الذي تتسم به الحياة الإنسانية، ومنه يتبين توقف الهوية الجنسية على الرغبة، لا على مجرد الخصائص التشريحية، وانفصلت مسألة القضيب عن الصورة الأبوية للعائلة.

إن فكرة الفرق الجنسي قد اختلف مصيرها في النمسا في مطلع القرن الماضي عنه في فرنسا بعدئذ، أو الولايات المتحدة. فماذا عن العالم العربي والإسلامي؟ كيف نتصور الهوية الحضارية؟ أهي أساس الاختلاف الحضاري، أم هي على العكس ما يبعث على ظهور أبعاد ثابتة تتحدى هذا الاختلاف؟ ما هو دور الدين في هذه الهوية؟.

ما هي المخاوف التي تثيرها الأنوثة؟ وأي خطر تهدد به الرجولة؟ ثم ما هي صور الكبت التي تعمل بنوع خاص في الإسلام؟ ماذا يتبقى من دور البنية التشريحية في هدا المعترك الرمزي، وكيف نفهم الاختلاف على نحو لا يرده إلى اللامساواة؟.

إن روح العصر قد أدت في بعض المجتمعات العربية والإسلامية إلى مناقشة خضوع المرأة لسلطة الرجل، وحصرها في مهمة الإنجاب، وإبعادها عن مجال الحيات العامة. ومسايرة روح العصر يقتضي تطوراً اجتماعياً، و تربوياً وثقافياً، وكل هذا يمثل عوامل تعمل جنباً إلى جنب مع الدين على تشكيل الأفراد. من هذا المنطلق ينبغي أن يمتد عمل المشتغلين بعلوم الدين امتداداً واسعاً، يشمل قراءة جديدة لا للتغيرات الكثيرة بالإسلام وحده، بل أيضا لسائر أديان التوحيد في علاقاتها المتبادلة.

تبعث اقتراحات المداخلات للجنة العلمية في أجل آخره **30** حزيران/ يونيو للعنوان الإلكتروني التالي:**k.elalj@wanadoopro.ma**

19th World Congress of Psychotherapy

In conjunction with: 12th Malaysian Conference on Psychological Medicine

Well Being Across Cultures : Psychotherapy in a Biological Era

2nd Announcement

22nd – 26 th August 2006 – Kuala Lumpur, Malaysia

www.2006wcp-mcpm.com - infowcp@icem.com

Welcome Message from the Organizing Chairpersons:

"Selamat Datang!" In the Malaysian National Language, that means, "Welcome". The Malaysian Psychiatric Association

and the International Federation for Psychotherapy warmly welcome you to the 19th World Congress of Psychotherapy in

Kuala Lumpur. We in Malaysia feel honoured to have been given the task of organizing this Congress and welcome delegates

to contribute their expertise interact with colleagues from other parts of the world and simply enjoy both the scientific and

the social aspects of the conference.

The world is shrinking. Events and ideas from one region of the globe that in the past took ages to filter across to other

regions are now presented to us at the touch of a key. The effects of globalization and the influence of technology have served

to reduce the gaps that existed between peoples. Consequently, there is increasing familiarity with ideas that were once

rejected as foreign. Therapies, Eastern and Western, have crossed continents. It is in such a climate that we meet to share, to

learn and to form bridges.

We hope this congress will be a catalyst in the process of bridge building not only cross-culturally but also within the caring

professions of psychotherapy/counselling and psychiatry. With advances in neurobiology, with the ever-increasing number of

newer psychopharmacologic agents there is a considerable risk of losing the human being among his neurotransmitters! We

believe the presentations will help to advance a more holistic and integrated approach to health and wellbeing.

See you in Kuala Lumpur in August.

T. Maniam Ulrich Schnyder - President MPA, Chairperson

Ulrich Schnyder - President IFP, Co-chairperson

? ? Organizing Committee:

T. Maniam / Abdul Kadir Abu Bakar / Philip George / Mohd

Fadzillah Abdul Razak / Yen Teck Hoe / Salina Abdul Aziz / Siti

Nor Aizah / Azhar Md. Zain / Mohd Daud / Norliza Che Mi / Rajinder Singh/ Low Mi Yen / Rajinder Singh

? ? Scientific Program Committee:

Azhar Md. Zain / Abdul Kadir Abu Bakar / Mohd Fadzillah Abdul Razak / Salina Abdul Aziz / Sarfraz Manzoor Husain / Philip George / Zubaidah Jamil / Alvin Ng Lai Oon / Siti Nor Aizah Ahmad / Muhd. Najib Alwi / Toh Chin Lee / Bharati Vengadasalam / Brian Ho Kong Wai / Teoh Hsien-Jin / Mahadir Ahmad / Hanizam Abd. Ghani / Low Mi Yen / Yen Teck Hoe

? ? International Advisory Board :

- Douglas Kong (Singapore)
- David Orlinsky (USA)
- Wolfgang Senf (Germany)
- Mechthild Neises (Germany)
- Kang Suk-Hun (Korea)
- Lee Jung-Kug (Korea)
- Michael Robertson (Australia)
- Gunnar Gotestam (Norway)
- Sidney Bloch (Australia)
- Sandy MacFarlane (Australia)
- Tsutomu Sakuta (Japan)
- Chris Freeman (United Kingdom)
- Carol Ryff (USA)
- Edna Foa (USA)
- Chiara Ruini (USA)
- Michael Nicholas (Australia)
- Anthony Ang (United Kingdom)

Proposed Scientific Program :

22nd August 2006 (Tuesday)

8.30 – 12.00 : Pre-conference Workshops

1. IPT for Depression & PTSD
2. Issues Facing Men in Today's World
3. Drug Addiction

4. Working with Borderlines
5. Sexual Dysfunction
6. CBT for Psychosis
7. Clay / Play Therapy
8. ADHD
9. Well-being therapy
10. Group psychotherapy
23rd August 2006 (Wednesday)
8.30 – 10.00: Opening Ceremony and Keynote Address (Evidence-based Research in Psychotherapy - Norman S.)
10.00 – 10.30: Tea break
12.00 – 14.30: Lunch Symposium (Janssen-Cilag) : Long-Acting Antipsychotic : Optimising Outcome/Poster Sessions

16.00 – 16.30: Tea break
19.00: Gala Dinner and Launch of South Asia Forum – Malaysian Chapter
WCP:
10.30 – 12.00:
- Accelerated Behaviour Cognitive Therapy (Genevie Milns (L) (Alvin)
- Group Psycotherapy (L) (Christer Sandahl)
- Adolescent Population (L) (Toh CL)
14.30 -16.00 :
- Psychotherapy in Pediatric Setting (L) (Teoh)
- Art/Play/Sand-tray therapy (L) (S)
- Psychotherapy for sexual issues (L) (Vivienne Cass)
16.30 – 17.30: Plenary: Well-being therapy (Carol Ryff)
MCPM:
10.30 – 12.00: General Symposium1: Depression (Organon)
1. Depression in Primary Care –Treating it Early and Treating it Right
2. New Strategies in treatment of depression

3. Psychosocial aspect of management in depression

14.30 – 16.00 : General symposium 2: Bipolar Disorder (Astra Zeneca)

1. Long Term treatment in bipolar disorder

2. Psychosocial treatment in bipolar disorder

16.30 – 17.30: Concurrent sessions:

1. Neuropsychiatry

2. Liaison psychiatry

3. Child psychiatry

24th August 2006 (Thursday)

08.30 – 10.00: Plenary: Phenomenology and Philosophy in psychotherapy (Bing Kimura)

10.00 – 10.30: Tea Break

12.00 – 14.30: Lunch symposium (Novartis) Returning to functional abilities: The role of cognitive enhancers in dementia/poster sessions

16.00 – 16.30: Tea Break

19.00: Dinner symposium

WCP:

10.30 – 12.00 :

- Psychotherapy in family issues (L)

- Marital/Couple therapy (L)

- Psychotherapy in Managing Patients with chronic pain – Malaysian experience (S) (Zubaidah Jamil)

14.30 – 16.00:

- Psychotherapy for victims of child abuse and domestic violence (L)

- Tao therapy (L) (Rhee)

- Transcultural aspects in psychotherapy (L) (Tan Eng Kong)

16.30 – 17.30: Plenary

- Motivational self-help program: harm or help? (Douglas Kong)

17.30 – 18.30: IFP Board Meeting

MCPM:

10.30 – 12.00: General symposium 3:

- Anxiety disorders (Solvay)

- Neural plasticity and stress

- Understanding the neurobiological basis and its treatment implications

14.30 – 16.00: General symposium 4:

- Treating bipolar depression (GSK)

16.30 – 17.30: Concurrent sessions:

1. Free papers

2. Community psychiatry

3. Forensic psychiatry

25th August 2006 (Friday)

08.30 – 10.00: Plenary

- Borderline personality disorder-Psychotherapy and neurophysiological perspectives (Meares)

10.00 – 10.30: Tea Break

12.00 – 14.30: Lunch symposium (Lundbeck) : Recovery in depression/Poster session

16.00 – 16.30: Tea break

19.00: Dinner symposium

WCP:

10.30 – 12.00: Psychotherapy:

- Art or Science (L) (Tan Eng Kong)

- Psychotherapy for Suicidal patients (L)

- Psychotherapy in immigrant population (L)

14.30 – 16.00:

- Psychotherapy with HIV and AIDS patients (S) (Christopher Lee, HIV counsellors)

- Psychotherapy for victims of violence and aggression (L) (Azhar)

-Personal construct therapy (Najib)

16.30 – 17.30: Plenary:

- Practicing psychodynamic psychotherapy from asian perspective (Anthony Ang)

MCPM:

10.30 – 12.00: General symposium 5:

- Treatment effectiveness in schizophrenia (Eli Lily)

14.30 – 16.00: Biennial General: Meeting of MPA

26th August 2006 (Saturday)

WCP:

08.30 – 10.00: Plenary: Meet-the-experts session

10.00 – 10.30: Tea Break

10.30 – 12.00: Asian regional perspective in psychotherapy religion, culture and spirituality (S) (Azhar, Douglas Kong)

12.00 – 14.30: Closing ceremony

Abstract submission form : deadline for receipt of abstracts 31st March 2006

- Presenting author details: .....

- Last name: .....

- First name: .....

- Institution: .....

- Mailing address: .....

- City: .....

- State/Province: .....

- Country: .....

- Telephone (country code/city code/number) .....

- Fax (country code/city code/number) .....

- Email: .....

- Please indicate your preference for presentation as: Paper; Poster; Either .....

- Please indicate conference session: WCP or MCPM .....

- General subject of presentation (e.g. forensic, learning

disability) .....

Abstract instruction: Abstract title at top; authors; institution; abstract content (max 300 words)

• Address all submissions to :

Mail from the webpage : www.2006wcp-mcpm.com

Fax : The Secretariat 19th WCP, fax no. 603-20260128

Regular mail : The Secretariat 19th WCP c/o ICEM Sdn Bhd , Unit 3.2, 3rd Flr, Wisma Concorde, 2, Jalan Sultan Ismail, 50250 Kuala Lumpur

• The Scientific programme committee (SPC)

The Scientific programme committee (SPC) is pleased to invite interested participants to send abstracts for presentation as free papers or posters. Papers explore psychotherapy issues in other fields and categories such as the ones listed below are also sought:

• Adherence
• Aging
• AIDS/HIV
• Alcohol/Smoking/Substance abuse
• Asthma and pulmonary disorders
• Cancer
• Cardiovascular disease
• Chronic fatigue and somatoform disorders
• Diabetes, metabolism, nutrition, obesity and eating disorders
• Gastrointestinal, dermatological and psychophysiological disorders
• Gender and Women's health
• Health behaviours
• Health systems, policy and economics
• Illness/Illness affect/Illness behaviour
• Pain, Musculoskeletal and neuromuscular disorders
• Psychological, somatic problems and quality of life
• Stress, psychophysiology and psycho-immunology

• Violence, Victimisation and PTSD
• Work-related health
• Others

Abstracts must be single-spaced, font size 12, Time New Roman in Word format.

Abstracts must be written in English.

The abstract must not exceed 300 words.

The abstract must not contain bibliographical references, images, tables, diagrams, graphs or appendices.

Abstracts on quantitative research must be presented in the following structured format:

- Abstract title (not more than 20 words)
- Author(s) and author affiliation(s)
- Aims
- Background review
- Methods
- Results
- Conclusions (avoid evasive statements like "the findings will be discussed")
- Acknowledgements – this include grant support (including the grant number) and disclosure of any financial relationship the author(s) may have with the manufacturer / supplier of any commercial products or services related to the work reported in the abstract

Abstracts on qualitative research can be adjusted but are expected to follow explicitly similar structure outlined for the quantitative ones.

Acceptance of a paper for presentation does not imply any commitment on the part of the organizing committee to provide financial assistance to the presenter. Only registered participants, who have paid their registration fees, shall be permitted to present their papers.

The presenting author is required to ensure that all co-authors are aware of the content of the abstract before submission to the secretariat.

Submissions are accepted on the understanding that the work has been performed with the permission of any relevant ethical or legislative body.

The presenting author is required to fill in abstract submission cover sheet to facilitate future correspondence.

• Abstract selection and presentation

A panel of faculty members will review abstracts and results will be forwarded to the corresponding author.

Accepted abstracts will be presented as posters and will be published in the Book of abstracts.

IInstructions for preparation of posters will be sent together with notification of acceptance.

Authors will be notified by March 30. 2006 as to whether their abstract has been accepted.

• Invited speaker presentations:

Abstracts for invited speaker presentations must be submitted according to the instructions above and should be received by the general abstract deadline of March 1, 2006. Please indicate on the website abstract form that the abstract is for your invited lecture.

• Important Dates

- Deadline for submission of Abstracts 31st March 2006

- Early Registration 15th May 2006

- Late Registration After 15th May 2006 - Additional US $50.00

- Cancellation Before 15th June 2006 -of Registration 50% Refund

- Cancellation After 15th June 2006 -of Registration No Refund

- Registration fees will be based on a sliding scale according to World Bank Economic Categories

- Congress Website: www.2006wcp-mcpm.com

• Secretariat :

C/O ICEM SDN BHD

Unit 3.2, 3rd Floor, Wisma Concorde, No. 2, Jalan Sultan Ismail,

50250 Kuala Lumpur, Malaysia

Tel: 603 - 2026 0818 Fax: 603 - 2026 0128

Email : infowcp@icem.

Congress Registration & Payment form:

Register online at www.2006wcp-mcpm.com or complete this form and fax back to The secretariat, 19th WCP at 603-20260128.

• Contact Details:

- Title: Prof, Dr, Mr, Mrs, Ms .....
- Family & name .....
- First & middle name .....
- Organization / Institution .....
- Address .....
- City & State .....
- Postal & code Country .....
- Telephone .....
- Email .....
- Fax .....
- Dietary preference if any .....

Registration Fees Early Registration by 15 May, 2006 Late Registration after 15 May 2006 Total Amount

Workshop registration

Foreign delegates 100 $ 100 $

Malaysian delegates RM 200 RM 200

Conference registration

World Bank Economic

Categories
Foreign
Delegates
Member 550 $ 600 $ A (High-income countries)
Non-member 600 $ 650 $
Member 400 $ 450 $ B (Upper-middle-income countries) Non-member 450 $ 500 $
Member 200 $ 250 $ C/ D (Lower-middle to Low income countries) Non-member 250 $ 300 $
Conference registration
Malaysian delegates:
MPA member RM 600 RM 700
Malaysian delegates:
Non-MPA member RM 650 RM 750
• Method of payment — Telegraphic Transfer:
Please make payment to: Malaysian Psychiatric Association HSBC Bank, 2, Leboh Ampang, Kuala Lumpur, Malaysia A/c No: 301-113031-001 Swift code: HBMBMYKL
Please kindly fax a copy of the telegraphic transfer bank slip once payment has been deposited, to 603-20260128.
• Hotel reservation form
Please print clearly in block capitals and return the completed form by or before 7 july 2006.
Fax to : Shangri-La Hotel, Kuala Lumpur
Attention: Sharon Teo/ Patrick Oh
E.mail: Sharon.teo@shangri-la.com or patrick.oh@shangrila.com
Phone: (603) 20743596 / 20743511 Fax: (603) 20708616
Reservation should be made directly with Shangri-La hotel, Kuala Lumpur by returning this form to fax number (6 03) 2070 8616 on or before 7 July 2006 with one night deposit. Any reservation request after this date will be subject to space availability basis. A special conference rate has been arranged for

all participants. The above credit card number will serve to guarantee the room reservation and authorizes Shangri-La Hotel to charge one night of stay.

• Terms and Conditions :

— The guestroom will be released after 22 July 2006, any room reservation made thereafter will be subject to hotel guest room availability.

— Any cancellation 7 days prior to arrival date is subject to a cancellation charge of one night's room rate for each room cancelled to the individual credit card account.

— Short stay will be charges for the full duration of stay as per the original booking.

— Should delegates with a guaranteed reservation not arrive on the scheduled date of arrival, a full length of stay per room charge will be levied to the individual guest for any no show on arrival date of confirmed bookings.

— Check-In : 14.00 hours Check-Out : 1200 hours

Well Being Across Cultures : Psychotherapy in a Biological Era

(22nd - 26th August 2006 • Kuala Lumpur, Malaysia)

Malaysia is a veritable melting pot of the various Asian peoples blessed with cultural diversities. From Kuala Lumpur, a bustling metropolis full of skyscrapers, to quaint villages just minutes away, you will encounter.

Malaysians of every creed, keeping alive centuries-old traditions through their languages, beliefs, festivals, cuisine in harmonious co-existence.

Malaysia is located just north of the Equator, between Thailand and Singapore. It is home not only some of the world's most beautiful beaches and islands but also ancient rainforests and highlands with a plethora of exotic wildlife and plants. Nowhere else in Asia can you find such a delightful melting pot of races, with all their different beliefs and traditions? One beautiful

characteristic of Malaysia is that it is truly Asian; as you can travel from a Malay village through an Indian neighbourhood to Chinatown and feel that, you have been to three separate countries!

Kuala Lumpur is the main gateway into the country. The epitome of progress, Kuala Lumpur is proof of the country's property. Having played host too many world-class meetings, conferences and exhibitions. Kuala Lumpur has many telecommunication system and multimedia facilities. Government related events, technological advancements and educational advancements in the areas of the Multimedia Super Corridor and many other would benefit from Kuala Lumpur's variety of services. Apart from there, KL is also a major entertainment centre with world-class accommodation and excellent shopping facilities serving mouth-watering food with a variety of places to see and things to do.

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=6

Arabpsynet e.Journal: N°9 – January– February – March 2006

3 www.arabpsynet.com/Congress/Cong.wcpmcpmMalaysia.pdf

5ème Conférence Africaine De Psychothérapie
Immigration Santé Mentale Psychothérapie
et Culture
Conseil Mondial de Psychothérapie
Association Marocaine De Psychanalyse
Le 23 - 26 Novembre 2006 – Meknes, Maroc
? Comité d'organisation
- Professeur Ast. Mohamed ZITOUNI - Chef du Service de Psychiatrie de l'Hôpital Militaire Moulay Ismaïl, Meknes, Royaume du Maroc. Président de l'Association Marocaine de Psychanalyse, Président du 5e Congrès de "African Chapter" du WCP, Meknes, Royaume du Maroc.
- Professeur Alfred PRITZ - Président du "WCP", Conseil

Mondial des Psychothérapeutes, Vienne, Autriche.
- Mehdi ELAMRANI - Secrétaire Général du 5e Congrès "African Chapter" du WCP, Meknes, Royaume du Maroc.
- Professeur Sylvester MADU - Président du "WCP", Conseil Mondial des Psychothérapeutes, African Chapter.
- Docteur ES IDEMUDIA - Secrétaire Général du WCP - African Chapter.
- Professeur Mony ELKAÏM - Président de l'Association Européenne de thérapie familiale, Bruxelles, Belgique.
- Françoise KOEHLER - Président de l'Association "Extension de la Psychanalyse dans la Francophonie", Paris, France. Président de l'Association "Petite Enfance et Psychanalyse", Paris, France.
- Professeur Emmanuel HABIMANA - Département de Psychologie, Université du Québec à Trois-Rivières.
- Docteur Brahim BEN BRAHIM - Vice-Président de l'Association Marocaine de Psychanalyse.
- Aboubaker HARAKAT - Secrétaire Général de l'Association Marocaine de Psychanalyse.
- Nacer NEHAS - Trésorier de l'Association Marocaine de Psychanalyse.
? Themes
- Immigration Et Sante
- Sante Mentale Et Psychotherapie
- Psychanalyse Et Immigration
- Chimiotherapie Psychotherapie Et Sante Mentale
- Processus D'integration En Psychotherapie
- Psychotherapie Et Legislation
- Psychotherapie Societe Et Culture
- Psychotherapie Et Education
- Cure Traditionnelle En Afrique
- Foi Religion Et Guerison
Original Papers & Articles

? Activites Principales Lors de la Conference

Section conference

Demonstration de psychotherapie

Sections plenieres

Presentation d'expose

Application

- Langues officielles: Anglais, Français, Arabe

? Appel a Communication

Un argument de moins de 150 mots devra être envoyé avant le 30 juin 2006 sur PC (Word) au Dr Mohamed ZITOUNI, invité et membre exécutif du WCP (AC): Mohazitouni@hotmail.com, une copie au secrétariat du WCP (AC) Dr. E.S. IDEMUDIA sidemudia@unam.na

Inscription au Congrès

Participants non Africains et membres du WCP

Avant le 1er mai 2006 : 300 euros.

Après le 1er mai 2006 : 400 euros.

Participants Africains

Avant le 1er mai 2006 : 150 euros.

Après le 1er mai 2006 : 200 euros.

La liste et les prix des hôtels seront envoyés après inscription.

Fiche d'inscription

Nom / Organisation : .....

Prénom : .....

Adresse: .....

Pays : .....

Numéro de téléphone : .....

Fax : .....

E-mail : .....

Envoyez-vous un résumé? - oui ? ? - non ? ?

Personnes vous accompagnant: tarifs avant le 1er mai - 100 euros, après le 1er mai - 150 euros.

Visite de Fez et/ou Volubilis en une journée.
Après le Congrès: Fez, Marrakech, Ouarzzazate, Essaouira.
Plus d'informations sur le voyage et les hôtels 2-3-4-5* seront donnés lors de l'inscription.
Si vous souhaitez payer par chèque, à l'ordre de Mohamed Zitouni et l'adresser à: Dr Zitouni, service de psychiatrie, Hôpital Militaire Moulay Ismail, Meknes / Maroc.
Ou
Si vous préférez un virement bancaire: Bank account: BMCE - Bank code SWIFT BMCE.MA.MC-Bank 011 guichet 06 IBAN-011 48 000000 62 000000 65243
SWIFT BMCE.MA.MC-Bank 011 guichet 06 IBAN-011 48 000000 62 000000 65243 .Original Papers & Articles

? Correspondence
Invité: Mohamed Zitouni (mohazitouni@hotmail.com) - Membre du Conseil du WCP, Dr Zitouni, service de psychiatrie Hopital Militaire Moulay Ismail, Meknès – Maroc
Pour plus d'informations, contacter: ac-meknes@hotmail.fr et envoyer le résumé à cette adresse sur PC et Word uniquement.
Le résumé doit être envoyé avant le 30 juin 2006.

Evenements Culturels
Meknes est une cité impériale et mythique. Héritage de l'humanité et symbole d'une culture multiple en mosaïque, la culture marocaine. Danses et musiques du pays, visites de sites traditionnels, et safaris sont prévus.

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الأميركية على العراق

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

نحو استراتيجية عربية لمواجهة الصدمات والكوارث

دراسة مقارنة بين النموذجين اللبناني والكويتي

الدكتور: عبد الفتاح دويدار
الدكتور: حسن الصديق

في هذا الكتاب متابعة وعرض للتجربة اللبنانية عبر أعمال الدكتور محمد أحمد النابلسي. وللتجربة الكويتية عبر أعمال الدكتور بشير صالح الرشيدي. مع اقتران هذه المتابعة بدراسة مقارنة تبين نقاط التشابه والاختلاف بين هاتين التجربتين والتأكيد على خصوصية كل منهما. الأمر الذي يعطي لهذا الكتاب صدارته في المكتبة النفسية العربية. التي لا تزال فقيرة في ميدان دراسة الصدمات.

علاقة السحر بالاضطرابات النفسية

الآراء النظرية في تعليل الإصابة بالاضطرابات النفسية

أ.د. عبد الفتاح دويدار

أستاذ علم النفس / جامعة الإسكندرية

اختلف الباحثون منذ القدم في معرفة سبب الإصابة بالأمراض النفسية، ووضعوا لذلك نظريات مختلفة مطولة، فمنهم من قال إنها لا تعدو اتجاهات سلوكية شاذة ترمي عوارضها إلى نوع من الإشباع الغريزي لم يصل بعد إلى مرتبة الشعور، ومنهم من قال إنها اتجاه سلوكي يرمي إلى حماية صاحبه من الرغبات والنزعات الغريزية. وبعضهم بَين أنها سلوك شاذ يصل إلى أنها اتجاه سلوكي يرمي إلى مداراة نقص من نوع خاص في صاحبه. وحديثاً أورى أحدهم أن الأمراض النفسية ما هي إلا انعكاسات شرطية **Reflexes conditioned** وهكذا نرى تبايناً شاسعاً، واختلافاً كبيراً في الرأي بينهم، فلكل منهم ما يؤيد مذهبه، ولكل منهم مدرسته الخاصة. وما دمنا في معرض الكلام عن الآراء النظرية أرى من واجبي أن أبين أهم ما وضع لذلك من نظريات وآراء. ولهذا أرجع إلى ذلك العهد الذي بدأ الإنسان يشعر فيه أن هناك عوامل تقلل من حيويته وتقعده عن الاستمرار في نشاطه، أي منذ أن عرف الإنسان أن هناك ما سماه مرضاً، وأن هذا المرض هو الذي يقيده في القيام بحركاته وسكناته الطبيعية، وهو الذي يحد من نشاطه، ويقلل من حيويته، وقد يذهب بحياته.

عرف الإنسان ذلك، وشعر بأثره في حواسه وأعضائه، فكان من الطبيعي أن يفكر في أسبابه ونشأته والوقاية منه، ثم كيفية التخلص منه عند الإصابة به.

السحر كسبب للإصابة بالأمراض النفسية:

عزا الإنسان إصابته بالمرض منذ بدء الخليقة إلى مفعول السحر، وأنه هو أصل كل العلل، وأن بيد الساحر أن يبرئه من علته، ويعيد إليه نشاطه وحيويته وهكذا تربع السحرة على عرش

الطب والعلاج ردحاً طويلاً من الزمن، دانت لهم فيه الملوك والجبابرة، ويأتمرون بأمرهم ويمتثلون لإرشاداتهم . وكان يقوم به وقتئذ فريق من الكهنة انتحى به الكثيرون منهم ناحية دينية، وأدخلوا على طرقه طقوساً وتراتيل خاصة، فكانت طرقهم في الحقيقة سحرية دينية (**Magico – Religious**) يدلنا على ذلك ما حواه التاريخ بين طياته من أخبار الأولين وقصص الأقدمين. خاصة في تاريخ قدماء المصريين، وما كان للكهنة وقتئذ من شأن وسلطان، وكيف خضع لسلطانهم الملوك والحكام، ومازال ذلك حتى الآن موضع الكثير من القصص والروايات.

الجن والعفاريت:

اشتهر السحر وشاع استعماله في العلاج، إلا أنه بتوالي الزمن بدأ التحمس إلى استعماله يفتر، وظهر أن كثيراً من الحالات المرضية لم تخلصها طرقه مما أصابها، فبدأ الناس يتحولون عنه. فطن لذلك السحرة، وما كان يقوم به من الكهنة، فانتحوا به ناحية أخرى، إذ زعموا أن كثيراً من الأمراض سببها تسلط نفر من الجن، أو ماسموه العفاريت، على جسم الإنسان، أو على حد قولهم التلبس به، وراحوا يضعون أسماء غريبة، ويقسمون العفاريت إلى أجناس وشيع مختلفة، فمنهم العربي، والمغربي، والسوداني، بل ومنهم القبطي والمسلمين، إلخ. وزعموا أن المرض إنما هو نتيجة لغضب هؤلاء على الإنسان. فإذا ما غضب الجان، أو العفريت، منهم، احتل عضواً من الجسم، أو جملة أعضاء، وراح يعبث بها ويقعدها عن تأدية وظيفتها، ولذا يظهر فيها المرض.

كان من الطبيعي بعد أن تحولوا إلى هذه الناحية أن يزعموا أنهم، بطرق خاصة يعرفونها، يستطيعون أن يصلوا إلى هذا الجن أو العفريت ويستحضروه، فيطلبوا منه الصفح أو يزيلوا غضبه، أو يهددوه إذا لم يطع ما يأمروه به، وإمعاناً في الإيهام أودعوا طرقهم هذه الكثير من التجهيزات الغريبة، والأوضاع غير المألوفة، كما أرفقوها بكثير من الترتيلات والترنيمات المختلفة، سواء أكانت بالإنشاد، أو بعزف الطبول والدفوف، وما شابه ذلك. ومن هنا نرى كيف نشأت فكرة " الزار" الذي لايزال، مع الأسف الشديد، يرى أحياناً بين ظهرانينا. أما فائدة هذه الطريقة في علاج بعض الحالات فستشرح شرحاً وافياً في الكلام عن العلاج. / / /

مذهب العناصر الأربعة:

ظل الحال كذلك إلى أن اتجه التفكير في سبب الإصابة بالمرض إلى ناحية الطبيعة، أعني ناحية التأثيرات الطبيعية المحيطة بالإنسان، وما عساه أن يكون لها من أثر عليه، واستمر هذا الاتجاه إلى أن جاء أحد فلاسفة الإغريق برأي قوامه: أن حياة كل الكائنات، ومن بينها

الإنسان، مصدرها أربعة عناصر، وهي : " الماء والهواء، والأرض والنار" وذهب إلى أن الصحة معناها توافق هذه العناصر الأربعة في العمل سوياً. أما المرض فسببه اختلاف توازنها في الحياة، ويعرف هذا بمذهب العناصر الأربعة.

مذهب السوائل:

لم يدم مذهب العناصر الأربعة طويلاً، حيث قوبل من كثير من العلماء بالاستهجان، بل منهم من دلل على عدم صحته بأدلة كثيرة ونظريات أخرى ظلت تحتل مكاناً بارزاً في معرض التفكير في سبب إصابة الإنسان بالمرض، إلى أن جاءت فلسفة هيبوقرات (**hippocrat**) التي تناولت الكثير من شؤون الحياة وقوانينها، كما بحثت في سلوك الإنسان وكيف يحيا، والعوامل المؤثرة عليه في معيشته، وليس هنا مجال الخوض في بحث نظريات هذه الفلسفة وعلاقتها بسلوكنا في الحياة، ولكني أشير إلى أنها عزت إصابة الإنسان بالمرض إلى اختلاف توازن دورة السوائل في الجسم، وخصت بذلك أربعة سوائل، هي : الدم، السائل الليمفاوي (**phlegm**) إفراز المرارة الأصفر، إفراز المرارة الأسود، ولو أننا نعلم الآن مقدار ذلك من الصحة، وأن هذه النظرية قد بُنيت على تفكير أولي، إلا أن لفلسفة هيبوقرات، هذه، الفضل في توجيه البحث إلى أن سبب إصابة الإنسان بالمرض يرجع إلى عوامل في نفسه، وليس إلى عوامل خارجية كالسحر والماء، وما شاكل ذلك. ولهذا تعتبر هذه النظرية الخطوة الأولى في سبيل بحث سبب الأمراض بحثاً علمياً، ولو أنها كانت في الحقيقة خطوة فلسفية أولية. وقد عزز هذا الرأي بشفاء بعض الحالات المرضية التي عولجت وقتئذ بالطرق القديمة التي استعملت فيها الأدوية والعقاقير المستخرجة من نباتات وأعشاب قديمة، قيل إن لها إذ ذاك تأثيراً في إعادة توازن هذه السوائل في الجسم. ولهذا يعتبر هيبوقرات منشئ الطب الحديث، وإلى فلسفته هذه يرجع تاريخ علاجنا بالأدوية والعقاقير المجهزة من منقوع النباتات والأعشاب.

ولا يتسع المجال هنا لتتبع تاريخ البحث في معرفة سبب الإصابة بالأمراض النفسية، حيث وضعت فيه آراء عديدة، وأفرد له العلماء في مختلف العصور، بل وفي شتى البلدان النظريات الطوال، فهذا يضع رأياً يدعمه بتجاربه وأبحاثه، وذلك يخطئه ويخرج عليه بنظرية أخرى وبراهين قاطعة، وهكذا استمر الحال على هذا المنوال إلى منتصف القرن السابع عشر، حيث تطور البحث إلى تتبع الحالات المرضية بكل دقة، وعملت التجارب المختلفة لعلاجها على أساس علمي قويم، روي فيه ما كان قد عرف وقتئذ من الخواص الطبيعية والفسيولوجية والكيميائية والحيوية للإنسان.

قوبلت طرق البحث والتجربة هذه بالكثير من الاستهجان والمقاطعة من السحرة والكهنة في بداية الأمر، ومنهم من اعتبرها كفراً وتدخلاً من الباحثين في شؤون الخالق جل وعلا، حتى كاد يقطع عليها الطريق وتتلاشى، ولكن ما كان يقيض لها من نجاح ظاهر واضح، خاصة في الحالات التي فشل في علاجها السحر والطرق الدينية، جعلها تحتل المكان اللائق بها.

ومهما عرفنا عن النظريات القديمة التي اختصت ببحث سبب الأمراض، وسخرنا من طرق العلاج التي كانت متبعة وقتئذ، فإن الواجب يقضي أن لا نجحف بحق الأقدمين، فنعترف أنهم عرفوا ماهية نفسية الإنسان، وأثرها في إصابته بالمرض، وتأثيرها في برئه، بل منهم من غالى في ذلك، فركز علاجه في تقوية نفسية المريض والعمل على زيادة ثقته بنفسه، .. يدلنا على ذلك ما كتبه هنري دي مونتل، الذي عاش بين سنتي **1260- 1360** في وصف لعلاج بعض الحالات الجراحية، حيث قال: " يجب حفظ روح المريض (يقصد النفسية بلا شك) قوية بشتى الوسائل، سواء بالموسيقى، أو بذكر الأشياء السارة التي ينتظرها المريض، كموت عدو له، أو تعيينه في منصب رفيع، أو ما شابه ذلك من الأخبار التي يترقبها وتدخل على نفسه البهجة والسرور"

أعود إلى منتصف القرن السابع عشر، حيث بدأ البحث العلمي يتناول سبب الإصابة بالأمراض النفسية وعلاجها، ذلك البحث الذي بدأ باستعمال القوي المغناطيسية والقوى الشخصية في العلاج. نعم لم يقم ذلك على أساس علمي بحت، أو انتحى ناحية سيكولوجية مطلقة، لكنه كان حجر الأساس في ما وصلنا إليه من بحث سليم وآراء صائبة.

المغناطيسية والقوى النفسية (وليم مكسويل)

عرفت القوة المغناطيسية منذ أمد بعيد، وعرف مالها من أثر في حياة الإنسان، بل ومالها من تأثير عليه، لا سيما في الناحية العلاجية، إلا أن ذلك لم يتناوله الكتّاب إلا في منتصف القرن السابع عشر، حيث توافروا على الكتابة عنه وأولهم وليم مكسويل (**William maxwel**) الذي وضع نظريته المعروفة سنة **1679** وفيها بَين أن سبب إصابة الجسم بالمرض هو سحب سائل حيوي من الأحشاء، وأن الشفاء ميسور بإعادة هذا السائل إليها ثانية بواسطة القوى المغناطيسية، وفي رجوعه إلى حالته الطبيعية حفظ للقوى النفسية.

أما عن استعمال هذه القوى في العلاج، فقد رأى أن له قيمته، وهو أساس من الأسس الهامة التي تقوم عليها بعض طرق العلاج في وقتنا هذا. وسأشرح عند الكلام عن علاج الأمراض النفسية بعض طرق العلاج المستعملة الآن، والتي تقوم على أساس استعمال القوى النفسية.

في سنة 1766 أي بعد أن أطل وليم مكسويل على العالم بوجهة نظره تلك بنحو ما يقرب من المئة عام، ظهر العالم المعروف أنطوني مزمار بنظريته التي أعرب فيها عن تأثير الكواكب على جسم الإنسان، وتعاليمه في وجود سائل مغناطيسي عام يدور في جسم الإنسان، وأن على انتظام دورته وتوزيعه في سائر أجزاء الجسم تتوقف الصحة، أما إذا اختلفت دورته فيظهر المرض، وزاد على ذلك أن هذه الدورة، وذلك التوزيع، وإن كانتا تتأثران بأشعة بعض الكواكب، إلا أنه يمكن وضعهما تحت إرادة شخص آخر، ومعنى ذلك أن الشفاء رهن إرادة هذا الشخص الذي يمكنه أن يعيد حالة هذا السائل العام إلى الحالة الطبيعية إذا ما اختلفت دورته واختل نظامها. ولم يكتف مزمار بتعاليمه كنظرية علمية فحسب، بل وضعها فعلاً موضع التجربة في علاج بعض الحالات، فقام في فيينا، وغيرها من المدن، بعلاج حالات مرضية، إلا أن النجاح لم يصادفه إلا بعد أن انتقل إلى باريز سنة 1778، حيث افتتح لنفسه عيادة خاصة كان يعالج فيها المرضى المصابين بجميع الأمراض بطريقة سماها: المغناطيسية الحيوانية (**Animal Magnetism**) .

قُوبلت آراء مزمار هذه بكثير من الاستهجان ، بل رمي هو شخصياً بالشعوذة والدجل، لما أحاط طرق علاجه من أوضاع خاصة، وما كانت تحويه من أعمال غريبة هي أقرب للسحر والخيال منها للعلاج. إلا أن جمهرة الباحثين وقتئذ لم ينكروا ما وصل إليه من نتائج، وما حققه من نجاح في علاج الكثير من الحالات، الأمر الذي جعل نظريته المغناطيسية الحيوانية " تحتل مكان الصدر بعد ذلك بنحو 50 عاماً، وذلك لما وجده الباحثون من حقيقة ثابتة تؤيدها التجارب والاختبارات العديدة، وهي قدرة المعالج على إزالة ما يصيب المريض بحالة نفسية من الشلل، أو فقد الحساسية، أو الأوهام، أو حمله على القيام بكل ما يوحي به إليه المعالج، سواء أكان ذلك في حالة تنويمه تنويماً مغناطيسياً، أو في حالته الطبيعية.

ومهما يكن من أمر نظرية المغناطيسية الحيوانية، فإن ما يهمنا منها هو علاقتها بالبحث عن سبب الأمراض واستعمال تلك الأسباب في العلاج، وإن كان مزمار وأتباعه قد استعملوها في علاج جميع أنواع الأمراض، إلا أن من جاءوا بعدهم وجدوا أنه لا بد من قصرها على علاج الحالات النفسية فقط.

ويظل تفسير أثر القوة المغناطيسية على الإنسان بعيداً عن متناول الإدراك، وإن كان قد فسر قديماً بما أشرت إليه من وجود سائل مغناطيسي يكون حلقة اتصال بين المنوم والنائم، إلا أن ذلك التفسير لا يمكن قبوله كتفسير لحقيقة هذه الظاهرة العجيبة، لأنه لا يتفق وأبسط قواعد العلم، ولا تؤيده التجارب الكثيرة والاختبارات الواسعة التي أجريت لمعرفة كنهها.

التنويم المغناطيسي والإيحاء:

انتقل التفكير بعد ذلك إلى ماعساه أن يكون التأثير الحقيقي لهذه القوة المغناطيسية، وظلت آراء هؤلاء المنومين الأول تفحص بعناية إلى أن قام كل من برتراند (**Bertrand**) في فرنسا، وبريد (**Braid**) في إنجلترا، بتجاربهما التي أثبتا بها، وعلى الأخص ثانيهما، أن زوال العوارض المرضية بواسطة العلاج بطرق التنويم المغناطيسي راجع في الحقيقة، ليس إلى مفعول المغناطيسية، أو ما شابه ذلك، بل إلى مفعول الإيحاء الذي مصدره في الواقع كلمات المنوم وحركاته أثناء قيامه بالعلاج، ومن ثم أخذت كلمة الإيحاء " تحتل المكان الأول في تفسير هذه الظاهرة العجيبة، والإيحاء هو أن يحمل إلى شخص ما رأي خاص، أو اعتقاد خاص، بواسطة شخص آخر، فيحتل المكان الأول من تفكيره، ويصير اعتقاداً راسخا لا يعارضه رأي آخر في مخيلته، وذلك مرجعه الثقة التامة والعلاقة بين الاثنين. وقد أشار إليه كتاب الفرنسية من طرف خفي، إلا أنه لم يفسر بوضوح وقتئذ، ولم يعط ما يستحق من أهمية إلا بعد أن كتب عنه بوضوح تام العالم بريد في كتابه " علم التنويم" **Neuroprology** عام **1843** . وبين ماله من أهمية كبرى في تفسير الكثير من الظواهر الحيوية.

ولا يسع الباحث الآن إلا الاعتراف بأن جميع النظريات الحديثة التي وضعت لتفسير أسباب الأمراض النفسية علقت أهمية كبرى على هذه الظاهرة، وأن الكثير من المدارس الحديثة جعلته أساس أبحاثها، ولو أن بعضها قد افترق منذ البداية وانتهج سبيلاً آخر.

أرجع إلى ذلك العهد الذي انقضى بعد أن أبان بريد (**Braid**) رأيه في التنويم المغناطيسي، وأثره، فأقول: إن هذا الرأي ظل يؤيده قوم، ويعارضه قوم، إلى أواخر القرن الماضي، حيث ظهر العلامة شاركو الفرنسي (**charcot**) برأيه الخاص في عملية التنويم المغناطيسي والإيحاء.

كان شاركو أستاذا للأمراض العصبية في مستشفى "سالتيير " وكان رجلا حاذقا دقيق الملاحظة، هاله ما كان إذ ذاك من أخذ ورد حول التنويم المغناطيسي وأثره ، فعمد إلى بحث هذا الموضوع بنفسه، وبمعرفة تلاميذه وأخصهم إلىنفسه "بول ريتشر " فقاموا بتجارب عدة أثبتوا بها أنه يمكن تنويم شخص ما تنويما مغناطيسيا بوسائل طبيعية أخصها الإيحاء، وأن التنويم المغناطيسي يحدث في ثلاثة خطوات: الأولى: الغثيان، ويأتي بأن يوضع الشخص في موضع سكون تام لا نشاط ولا حركة. الثانية: سلب الإرادة، ويكون بفتح عيني الشخص وتركيز بصره في مرأى ثابت لا يتغير. والثالثة: نوم اليقظة، ويأتي بتحريك بعض أجزاء الجسم حركات منتظمة متقطعة، يبطئ حتى يصل النائم إلى حالة شبيهة بالنوم الطبيعي. ولما كانت هذه الخطوة

الثالثة تشبه تماما ما يظهر عند المصابين بالهستيريا، ظن وقتئذ أن نوم اليقظة مظهرا ضروريا من مظاهر الهستيريا، وأن الإصابة بهذا النوع من المرض سببها الإيحاء وحده.

هذا ما وصل إليه " شاركو وتلامذته بعد فحص وملاحظة عدد من المرضى في مستشفى سالتير، ولكننا نعلم الآن مدى ذلك في الحقيقة، وأن التنويم المغناطيسي راجع إلى استعداد النائم لقبوله التأثر بكلمات المنوم تأثرا تماما، وأن هذه الخطوات هي في الحقيقة خطوة واحدة، وأنه لا يتأتى النجاح في هذه العملية إلا إذا كان للنائم اعتقاد راسخ في قدرة المنوم التامة على القيام بهذه العملية بنجاح.

لم تلق تعاليم شاركو هذه ماكان يرجو لها من انتشار، إذ طغت عليها تعاليم البروفسور برنهايم، زعيم مدرسة نانسي، الذي خرج على الناس بمؤلفه سنة **1884** ، وفيه عارض كل ما ذهب إليه الباحثون والكتاب قبله في تفسيرهم للقوة المغناطيسية وتأثيرها في العلاج النفسي، ودلل على هذا التأثير وأرجعه إلى الإيحاء وحده، وأن التنويم المغناطيسي عملية طبيعية، وليست قاصرة على المصابين بالهستيريا، بل إنها عملية يمكن بها تنويم غالبية الأشخاص ، كما أبان أن الإيحاء خاصية من خواص البشر، وهو أساس العلاقة العادية بين الأشخاص، كما أبان أن الإيحاء خاصية من خواص البشر، وهو أساس العلاقة العادية بين الأشخاص، في معاملاتهم واتجاهاتهم الحيوية، وهو يحدث أمامنا في كل لحظة بلا حاجة للتنويم المغناطيسي. وذهب برنهايم في كتابه إلى أن كل شخص قابل للإيحاء، وأن للتنويم بالإيحاء أثره في إحداث الإصابة بالمرض النفسي، وبالتالي في شفائه، إلا أن تعاليمه هذه تعتبر حجر الزاوية في بناء أكثر النظريات العملية الحديثة، فمن منا ينكر فعل الإيحاء في كثير من علاقاتنا الشخصية، ومن منا ينكر فضل الإيحاء وكلمات التشجيع في شفاء بعض المرضى، أو على الأقل في تحسن حالهم.

لا شك أن للإيحاء أثرا كبيرا في علاج الحالات النفسية، وهو أحد طرق العلاج النفسي الثلاث التي سأتكلم عنها فيما بعد.

التبصر:

لنترك ماكان من جدل حول الإيحاء وأثره وننتقل إلى الكلام عن مذهب آخر من مذاهب البحث وهو مذهب التبصر (**presuation**) والتبصر عملية تشمل الإيحاء وفهم المريض لحقيقة حالته، ويضاف إلى ذلك ما يخالجه من حالة نفسية تصاحب حالته المرضية. ويعتبر التبصر في الحقيقة إحدى الطرق العلاجية أكثر منه طريقة لمعرفة أصل العلة، ويرجع الفضل في اتباعه إلى العاملين ديبوي (**debois** السويسري وديجيرين (**Dejerine** الفرنسي.

ويعتبر ديبوي طريقته هذه أكثر فائدة من الإيحاء بمفرده، فهي أقرب منطقاً وأبعد أثراً، إذ تبعث في المريض شوقاً إلى فحص حالته بنفسه، وتلمس طريق الشفاء، كما تريه الاتجاه الخاطئ الذي سار فيه، ويكون فعل الإيحاء فيها أكبر. ولذا فأثرها في شفاء الحالات النفسية أعظم.وتتطلب عملية التبصر هذه من المعالج أن يكون ذا شخصية قوية، تزناً يؤثر في مريضه تأثيراً إيجابياً، حتى لا يفلت زمام المريض من يده في الكشف عن سبب المرض النفسي، فإني أقرر أنه أثناء القيام بهذه العملية ربما بدر من المريض ما يكشف عن سر إصابته، أو قد يظهر ما كان سبباً في انتهاجه طريق الشذوذ، والدافع له لقبول هذه الاستجابات الشاذة التي بدت في شكل مرضي.

أما ديجيرين، فكان كل اعتماده في القيام بعملية التبصر على استفزاز قوى نفسية خاصة في المريض تدفعه لأن يجد له مخرجاً من مشاكله التي هي سبب إصابته بالمرض، وقد اعتبر الإيحاء عملية سلبية تدفع بالمريض إلى استجابات سلوكية شاذة، كما اعتقد أن السبب الحقيقي للإصابة بالأمراض النفسية هو اختلال بعض العمليات الوظيفية في الجسم، كالهضم، أو دورة الدم، واستئثارها بتفكير المريض وقلقه، وهو بذلك يكاد يصل إلى أطراف الطريق الذي سلكه ألفرد أدلر (**Alfred Adler** في بحثه.

ما الذي تبقى من المكبوت الفرويدي[1]

بقلم: أوليفيي بوستيلفيني[2]
Olivier Postel-Vinay
ترجمة: الأستاذ صابر أوبيري

في سطرين: كان علم النفس التحليلي في نظر فرويد قسماً من علوم الطبيعة. أما اليوم، فلم يعد هذا العلم يجد مدافعين وسط العالم العلمي. وقد أجرى فيلسوف العلوم أدولف غرنبوم **(Adolf Grunbaum)** النقد الأكثر صرامة لنظرية فرويد، حيث يراها بخلاف كارل بوبر[3] **(Karl Popper)** قابلة للتجربة، بل يجربها. وجاءت خلاصته على النحو التالي:

لا يوجد علاقة بين الفعالية المحتملة للعلاج و النظرية التي ترتكز عليها

تشهد الهفوات والأحلام وحالات العصاب بعمل مكبوت لا شعوري يستمد طاقته من اضطرابات الجنسانية الصبيانيّة: إنّه بالتمام روح النظرية الفرويدية. وقد هاجم منظري علوم المعرفة بعنف هذه النظرية، فضلاً عن أنها لم تصمد أمام مشرط جراح العقل، ألا وهو أدولف غرنبوم.

اعتبر فيلسوف العلوم كارل بوبر التحليل النفسي غير علمي، لأنه لا يقبل التجربة. لكن يرى زميله أدولف غرنبوم هذا الأمر غير صحيح: إذا كان حقاً التحليل النفسي يصعب إخضاعه للتجربة، لكنه مبدئياً علم، وسبق إخضاع بعض تأكيداته لاختبارات مثبتة. وزيادة على ذلك يبين كارل بأن النظرية الفرويدية تفسح المجال أمام اختبار تماسكها الداخلي.

---

[1] - العنوان الأصلي للمقال: **Que reste-t-il du refoulé freudien? La Recherche,Juillet- Août 2003.**

[2] - صحفي ومستشار التحرير بمجلة **La Recherche** .

[3] - بوبر، سير رامواند **(1902-1994)**: فيلسوف العلوم البريطاني أصله من النمسا، اشتهر بنظريته حول المنهج العلمي وانتقاده للحتميّة لتاريخية. يرى بوبر بأن التحليل النفسي والماركسية من بين أبرز ما يطلق عليه أشباه العلوم **(pseudo-sciences)** في القرن العشرين-المترجم.

لقد أكّد فرويد طيلة حياته على الطابع العلمي لعمله، ويستمر أغلب مناصريه في الاستناد على هذا الطابع. وكتب في مفكراته عن خيبة أمله في عدم الحصول على جائزة نوبل في علم وظائف الأعضاء، واعتبر التحليل النفسي بمثابة " علم الطبيعة " [1938] ولم يفهم لماذا لم يعترف بها كونها علماً وتؤكد مجدداً المحللة إيليزبيت رودنسكو(Elisabeth Roudinesco) في مؤلف حديث هذا الطموح بقولها: كان من المفترض أن يحتل التحليل النفسي " مستقبلاً مكانه الكلي بجانب العلوم الأخرى" .

" يقول فرويد بأن العماد الذي يبنى عليه صرح التحليل النفسي هو نظرية الكبت (la théorie du refoulement) " [1914]. وقد أتى بالمفهوم الذي مفاده أنه يمكن لبعض الأفكار أن "تكبت" داخل اللا شعور عدة فلاسفة ألمان. أما فرويد فقد قارن أيضاً المؤلفات الجديدة للمتخصصين في الأعصاب والفيزيولوجيا للنشاطات اللا شعورية للدماغ. ففي سنوات 1880 حينما أصبح فرويد ممارساً للتنويم المغناطيسي(hypnose) ومتأثراً بالمؤلفات الغزيرة لمختصين في علم الجنس الممارسين للتنويم المغناطيسي الذين أكّد أغلبهم على دور الجنسانية الصبيانية في حالات الإصابة بالعصاب. واقتنع فرويد أولاً بأن التنويم المغناطيسي يحرر المريض من حيث أنه يبرز مجدداً لشعوره مؤثر مكبوح مرتبط بذكرى صدمة مكبوتة. ثم يسلم في التنويم المغناطيسي قائلاً إنّه: " يستخدم الإيحاء(suggestion) لمنع الأعراض، كما يقوي التنويم المغناطيسي المكبوتات، ولكنه لا يؤثر على جميع العمليات التي أدت إلى تكوين الأعراض " [1917]. وينتقل فرويد من التنويم المغناطيسي إلى طريقة " التداعيات الحرة " (associations libres) التي لا تزال حتى اليوم ترتكز عليها ممارسة التحليل النفسي. يدعى المريض المستلقي على أريكة للتعبير بلا تحفظ "على كل ما يجول بخاطره " [1900]، مستغلاً مثلاً عنصراً من أحلامه. وسيشجع قريباً الكم الهائل من التداعيات الحرة بالعلاقة العاطفية " انتقال" (transfert) الذي يستقر مع المحلل، حيث يشعر المريض تجاهه بإحساس قرابة " يمنح الطبيب سلطة كبيرة " [1917].

تخلص "جلسة العلاج " (cure) إلى إبراز الحالات المكبوتة، وتسمح بالوصول إلى صدمة جنسية ابتدائية حدثت خلال مرحلة الطفولة: إنّه " أثر عقلي لا شعوري للحدث الطفولي " الذي سيكشف عنه بواسطة التحليل.

كان من المفترض أن تبيّن الحالة الشهيرة لـ " رجل الذئاب " (L'Homme aux loups) كيف ينبثق من اللا شعور المكبوت لمريض الصدمة التي تعرض لها حينما رأى وهو في سن عام ونصف والديه يقومان بالجماع، وهم واقفان لثلاث مرات عن طريق الشرج [1918].

إننا، وإن لم نصب جميعنا بالعصاب، فإننا جربنا جميعاً مراحل التطور السيكوجنسي نفسها. يوجد اللاشعور المكبوت عند كل واحد منا مثلما تشهد على ذلك الأحلام والأفعال الفاشلة. يفسر كل حلم كرغبة صبيانية مكبوتة، الحلم الذي " سمي بالعرض العصابي " [1925].

" إن معنى كل حلم هو تحقيق لذة[4]"، هذه اللذة " بالضرورة لذة صبيانيّة " [1900].

فالحلم إذن " الطريق الملكي الذي يؤدي لمعرفة اللا شعور " [1900]. تمكننا نظرية الكبت حتى من تفسير الهفوات، لأن كل الأفعال الفاشلة التي يجهل الفرد سببها تعبر عن كبت . لم تعد تجد هذه النظرية بعد مرور قرن مناصرين في وسط المجموعة العلميّة. فلم تجذب إليها لا علم النفس التجريبي، ولا العلوم العصبية، ولا علوم المعرفة عموماً. كتبت المختصة في فلسفة المعرفة جويل بروسة (**Joëlle Proust**) قائلة عن الكبت الفرويدي: "لم يوضع أبدا على محك التجربة" [2]. أما المختص في الأحلام ميكايل جوفيي(**Michael Jouvet**) فيرى بأن " المحتوى الخفي للحلم عند فرويد عبارة عن مزاح كبير [3] ". ويرى منظر الشعور دنييال دينيه (**Daniel Dennett**) بأن نظرية الأحلام عند فرويد ترتكز على: " فرضية شاذّة "(**hypothèse extravagante**) [4] . أما التداعيات اللاشعورية(**actes manqués**) فلا تشكل وحدة متلاحمة، ويمكن تفسيرها بلا عناء بواسطة أدوات علم النفس العاديّة.

الجنسيّة المثلية وجنون العظمة

يعد بحث أدولف غرنبوم في هذا المجال معروفاً بصفة أقل. فحص بدقة هذا الفيزيائي، الذي أصبح فيلسوف العلوم، نظرية الكبت [5].

بيّن هذا الأخير، باستناده على أمثلة قدمها فرويد، بنفسه بأن الكوابيس وأحلام الاختبارات وأحلام أخرى، والتي تظهر أنّها صادرة عن خوف أكثر من كونها صادرة عن رغبة، لا تفسر في إطار نظرية الكبت سوى على حساب التشنجات العقلية (**contorsions intellectuelles**) المكلفة والقليلة الاحتمال. والحال نفسه إذا رجعنا إلى أبحاث مختص إيطالي في اللسانيات، والذي بيّن بأن الأمر ينطبق كذلك على الهفوات [6]. التقى مثلاً فرويد بشاب

---

[4] - لذة (**désir**): تقترب الكلمة الألمانية (**wunsch**) من الكلمة الإنجليزية (**wish**). وقد ترجمت خلال قرن بالكلمة الفرنسية (**désir**) في المنشورات الفرنسيّة. أما الترجمة الجديدة لكتاب " تفسير الأحلام" (**L'Interprétation des rêves -qui devient du rêve-**) الصادر سنة 2003 عن منشورات(**PUF**) فقد فضل استعمال كلمة (**souhait**) –الكاتب.

سرد له بيت شعر الشاعر فيرجيل[5] **Virgile** ناسيا كلمة "**aliquis**" التي تعني (شخص ما). مستغلا مرجعية "السائل" التي توحي بها هذه الكلمة، يقود فرويد مخاطبه شيئا فشيئا لاستخلاص أن هذا النسيان يفسر بخوفه المكبوت من الحصول على ولد من امرأة التقاها في مدينة نابل. والحال أنه بإمكاننا تبيان أن نسيان أي كلمة من كلمات بيت الشعر قد يؤدي- ليس بأكثر تفكيرا من التفكير الذي استعمله فرويد- إلى الخلاصة نفسها. وربما أدى أيضا تفكير المحلل المدفوع باتجاه آخر إلى مجموعة من الخلاصات المختلفة. وبصفة عامة، تفسر معظم الهفوات بسهولة بواسطة قواعد علم النفس وعلم اللغات.

كما يكتشف غرنبوم، أيضا، فرضيات فرويد ذات طابع توقعي، يمكن، إذن، التحقق منها، أو الطعن فيها. وإذا سلمنا، مثلا، بأن الأحلام تحدث بتحليل أخير بواسطة رغبات طفولية مكبوتة، فمنطقيا يجب أن يقود الكشف على هذه الرغبات بواسطة جلسة علاج التحليل النفسي المرضى الذين شفوا من حالات العصاب إلى الحلم بصفة أقل بكثير. لكن الأمر ليس كذلك. ودعم فرويد أيضا الفكرة القائلة بأن جميع هلوسات العظام مصدرها حب ذو جنسية مثلية مكبوتة [**1915**]. عقب منذ قرن تطور الأخلاق الذي أدى إلى تراجع كبت أحاسيس الجنسية المثلية انخفاض وتيرة هلوسات العظام داخل مجموع السكان، لكننا لا نلحظ شيئا من هذا.

لكن النقد الجوهري لغرنبوم يدور حول مشكلة أكثر عمومية: جعل فرويد من نجاح علاج التحليل النفسي المعيار الأساسي لإثبات نظريته، غير أنه لا يستطيع تبيين أن هذا النجاح-إذا وجد أصلا- لا يرجع، كما هو الحال في التنويم المغناطيسي، لظاهرة الإيحاء.

كان فرويد الذي يعترف به غرنبوم: " كمنظر دقيق في المنهجية العلمية " منشغلا للغاية بهذه الصعوبة " المهمة جدا، والتي تحتاج إلى إجابة " [**1917**]. حل المشكلة معتبرا بأن موافقة المريض على التشخيص بعد رفع المكبوتات، وإذن بعد نهاية جلسة العلاج كافية بإثبات التفسير. تعد موافقة المريض المقوم الأساسي الذي يسمح بالتمييز بين التحليل النفسي و"كل نوع من العلاج المؤسس على الإيحاء " [**1914**]. بيد أنه كما يبين غرنبوم لا توجد أية طريقة للتحقق من أن زوال حالة عصاب، لما تأتي في غضون تحليل، راجعة لإثبات التفسير الموجود. لا شيء يمنع من التفكير بأن مصدرها قوة الإيحاء المؤسسة على العلاقة بين المحلل و طبيبه. وذكر فرويد بنفسه وبصراحة "إيحاء التحليل النفسي "[**1917**]. " يرتكز النجاح المستمر [لجلسة العلاج] لا على

---

[5] - فيرجيل (19-70- ق.م) شاعر لاتيني مؤلف **Enéide** الرواية الملحمية المعتبرة كتحفة الأدب العالمي، والتي كان لها تأثير كبير على الكتاب الأوربيين .-المترجم .

الإيحاء الخالص والبسيط، وإنّما يرتكز على النتائج المحصل عليها بفضل الإيحاء "[1917] . جعل من الإيحاء ضرورياً من حيث أنّ على الطبيب مساعدة المريض في بحثه عن المكبوت. وفضلاً على ذلك يجب أن يمد له يد العون كلما عبر المريض في الغالب عن مقاومة عنيفة للقبول بالمكبوت. "غير أنّه من الممكن إقناع [المصابين بالعصاب] من خلال عمل صبور بأن كل شيء مرّ مثلما نقول " . [1925] .

يقول غرنبوم بأن نظرية الكبت لا تسمح أبداً بإقامة علاقة سببية بين حادث الصدمة المكشوف عنه باعتباره مكبوت و تحرير العصاب. بالعكس، فجميع الأمثلة التي أوردها فرويد تقدم المخطط المنطقي **post hoc ergo propter hoc** (بعد ذلك، أي بسبب ذلك)، الذي يعني إذا قلدناها: "رغبت في أبي(أو أمي) حينما كنت صغيراً، الأمر الذي يفسر عصابي الوسواسي".

يرى غرنبوم أن حقيقة ذكر أحداث الطفولة أمر أقل إقناعاً من الذكريات المرتبطة بها حينما تصل للشعور، ويعاد تركيبها بعمق بواسطة عمل الذاكرة، إذا لم تكن بكل بساطة خيالية. ووثقت بإسهاب هذه الحقيقة، التي اعترف بها فرويد بنفسه منذ ذلك الوقت، مستندات أبحاث علم النفس التجريبي حول الذاكرة المسماة الذاكرة " العرضية "**(épisodique)** تلك التي تتعلق بالأحداث [7] . ويعتبر على أية حال ممارسو علوم المعرفة بأن الذكريات التي يرجع تاريخها للعمر أقل من ثلاث سنوات تفسر فقط تأملات تغذيها لاحقاً التجربة [8] .

التحقيق التجريبي

تمنح، بالعكس، طريقة التداعيات الحرة الكثير من الفرص لأولئك الذين يرون بأن جلسة علاج التحليل النفسي ترتكز أساساً على عملية إيحائية. فالمريض الذي يطلب من طبيب مناصر للفكر الفرويدي بأن يعالجه يملك مسبقاً نظرة مؤيدة تجاه نظرية التحليل النفسي، فهو إذن مستقبل كبير للمفاتيح التي تقدمها له جلسة العلاج. وتوضح، فضلاً عن ذلك، عدة حالات وصفها فرويد الضغط النفسي الذي يسلطه على مرضاه حتى يقنعهم بقبول تفسيره، حتى وإن لم يتمكنوا من استذكار ذكرى التجريم. أخيراً، يؤكد غرنبوم أنّه لا يوجد مانع من اعتبار أن جلسة علاج التحليل النفسي بمثابة مساو لعلاج بديل **(placebo)**، أي دواء قد يكون فعالاً بالرغم من خلوه من أية عنصر منشط، زيادة على اعتباره كعلاج قد يبدو فعالاً، ولكن لأسباب لا تمت بصلة لنظرية الكبت.

وبالنظر للمنهج العلمي، من المثير أن فرويد استبعد فكرة بدون موضوع مفادها أنّ نظريته قد تثبت تجريبياً. لقد تمسك بوجهة النظر هذه بشدّة من سنة **1916** حتى وفاته عام **1939**. أجاب فرويد محللاً نفسياً مؤيداً للتحليل النفسي، الذي وجه إليه بازدهاء نتيجة أبحاث مؤكدة في

رأيه[6] عن سؤال حول نظرية الكبت سنة 1935 بقوله: " لقد تفحصت باهتمام أبحاثك التجريبية بشأن التحقق من إثباتات التحليل النفسي، غير أنني لا أستطيع أن أولي أهمية كبيرة لهذه التأكيدات، لأن وفرة الملاحظات القويّة التي ترتكز عليها هذه الإثباتات تجعلها مستقلة عن التحقيق التجريبي. "

ملاحظة: حتى لا نثقل النص، عمدنا للإشارة لجميع مراجع كتابات فرويد بواسطة تاريخ يدل على تاريخ النشر-الكاتب

الهوامش

[1] E. Roudinesco, Pourquoi la psychanalyse, Fayard, 1999.

[2] J.Proust, L'Unebévue, 10,41,1997.

[3] Construire, n°38, 15 septembre 1998 .

[4] D. Dennett, La Conscience expliquée, Odile Jacob, 1993.

[5] A. Grunbaum, Les fondements de la psychanalyse, PUF, 1996.

[6] S. Timpanaro, The Freudian Slip, London, NLB, 1976.

[7] E. Loftus, Memory, Addison-Wisley, 1980 .

[8] E. Loftus, Repressed Memory, St-Martin's Press, 1996 .

لمزيد من المعلومات راجع

A. Grunbaum, Les fondements de la psychanalyse, PUF, 1996.

A. Grunbaum, La psychanalyse à l'épreuve, Editions de l'Eclat, 1993 .

F. j. Sulloway, Freud, biologiste de l'ésprit, fayard, 1998 .

F. Crews, Unauthorized Freud, Penguin Books, 1998 .

الأستاذ أوبيري صابر

ص. ب 279 حي 17 أكتوبر ، الوادي، 39003 ، ولاية الوادي -الجزائر

[6] - Courtesy Galerie Les(شراع الأمل)© Gilbert Garcin, " Le Cap De Bonne Espérance" - Filles Du Calvaire

بعض قضايا علم النفس في العالم العربي

أ. د. عمر هارون الخليفة
e.mail:okhaleefa@hotmail.com

ملخص

تبحث هذه الدراسة بعض قضايا علم النفس في العالم العربي، وقد افترضت بأن هناك نوعين من التبعية لعلم النفس، هما "التبعية الكبرى" والتبعية الصغرى"، وتم نقاشهما من خلال: "التصدير والاستيراد"، و"التبعية والإبداعية"، و"البوتقة: التلمذة والأستاذية"، و"علم النفس: الصلب والرخو"، و"المعاصرة والرجعة". كما ناقشت الدراسة العلاقة المتداخلة بين البحث والاقتصاد والتنمية. وإذا لم يساهم علم النفس في التطور الاقتصادي وفي دراسة القضايا الكبرى في العالم العربي غالباً ما يتم تجاهله. وخلصت الدراسة بأن هناك أهمية لدراسات كبرى لاحقة لتعميق وتوسعة الدراسات الموجودة، ولدراسة قضايا أخرى، كالمتغيرات السيكولوجية المؤثرة في التأسيس العلمي لعلم النفس، وقضايا البحث السيكولوجي المحلي، وقضايا النشر في الدوريات العالمية، وقضايا التجمع السيكولوجي، وقضايا تجذير علم النفس في التراث العربي الإسلامي، وفوق كل ذلك قضايا "تبيئة" أو "بستنة؟ أو "استزراع" أو "توطين" علم النفس في العالم العربي.

القضايا الكبرى لعلم النفس

هناك مجموعة من الأبحاث التي ناقشت قضايا علم النفس الكبرى في العالم العربي، يمكن حصرها حسب الأسبقية الزمنية: "مشكل اخصاصيي النفس المسلمين" (بدري، 1989)؛ و"مشكلات علم النفس في العالم الثالث: حالة الوطن العربي" (أبو حطب، 1993)؛ "تحليل المعرفة النفسية في الدول غير المصنعة" (مزيان، 1993)، "علم النفس في العالم العربي: من الواقع الراهن إلى المشروعية الوظيفية" (حجازي، 1993)، "واقع التجربة السيكولوجية في

الوطن العربي" (أحرشاو، 1994)، "نحو سيكولوجيا عربية" (النابلسي، 1995)، "مأزق علم النفس اليورو-أميركي في ثقافة غير غربية" (الخليفة، 1997أ)، "إمبريالية علم النفس اليورو-أميركي في ثقافة غير غربية (الخليفة، 1997ب)، "دور علم النفس في خدمة التنمية البشرية" (أبو حطب، 1998)، "علم النفس والتنمية البشرية في دول مجلس التعاون الخليجي" (حجازي، 1998)، "علم النفس في الدول العربية" (أحمد وجيلين، 1998)، "توطين علم النفس في العالم العربي" (الخليفة، 1999أ)، و"ملاحظات حول بعض الأبعاد الثقافو-اجتماعية لعلم النفس في العالم العربي" (الخليفة، 1999ب). في تقديري، لقد نظر علماء النفس العرب لقضايا علم النفس من مناظير وزوايا متعددة حسب توجهات أو اهتمامات هؤلاء العلماء. وتختلف هذه الدراسات في عمقها وسطحيتها، وفي قوتها وضعفها، وفي مركزيتها وهامشيتها، وفي كليتها وفي تجزيئيتها، ومع اختلاف المناظير والزوايا، لكن هناك اتفاقاً عن أزمة أو معضلة أو مشكل أو مأزق علم النفس في العالم العربي. ويحاول البحث الحالي إضافة بعض القضايا، أو التفصيل فيها لما قدمه هؤلاء العلماء.

في تقديري، هناك نوعان من التبعية بالنسبة لعلم النفس المستورد من العالم الغربي للعالم العربي، وهما: "التبعية الكبرى" و"التبعية الصغرى". وتعني الأولى عدم القدرة من الانفكاك من الأسر الغربي لمفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس اليورو-أميركي، بينما تعني الثانية بأن علم النفس لم يستطع القدرة على الانفكاك من الأقلية في القطاع الحديث والحضري في العالم العربي، وليس لهذا العلم علاقة بمجموعة كبيرة من الأفراد والجماعات في القطاع التقليدي والريفي والبدوي. إن واحداً من مآزق علم النفس في العالم العربي أنه علم تابع للنموذج الغربي، ولا يستطيع الانفكاك منه، والأسوأ من ذلك عدم شعور مجموعة كبيرة من علماء النفس العرب بتبعية مفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس للغرب. إن مفهوم "التبعية الكبرى" الذي نقدمه في هذه الدراسة يمكن مناقشته من خلال عدة قضايا لعلم النفس تشكل عائقاً أمام حركة نموه في العالم العربي. وأي محاولة جادة ترتبط ببستة، أو استزراع، أو توطين، علم النفس في العالم العربي، ترتبط بمناقشة هذه القضايا الكبرى. وبوسعنا تلخيص بعض هذه القضايا في: "التصدير والاستيراد"، و"التبعية والإبداعية"، و"البوتقة: التلمذة والأستاذية"، و"علم النفس: الصلب والرخو"، و"المعاصرة والرجعة"، وعلاقة "البحث والاقتصاد والتنمية". وسوف نناقش كل قضية على حدة، ونعتمد في هذه المناقشة على الأدب العام، وأدب علم النفس، وعلى ملاحظات الباحث.

التصدير والاستيراد

لقد كان عالم النفس التركي فاساف أول من استخدم هذا الوصف "التصدير والاستيراد" في تشخيصه لأزمة علم النفس في بلده. إلا أنه وصف يصدق تماماً على ما حدث ويحدث في معظم أقطار العالم الثالث، ومنه الوطن العربي (أبو حطب، **1993**). إن عملية استيراد علم النفس للعالم العربي (أبو حطب، **1993**، الخليفة، **1997**، بدري، **1989**، حجازي، **1986**، **1993**) هي عملية محكومة بالسيطرة السياسية والاقتصادية والعلمية بالنسبة للغرب على الدول العربية. إن ظهور العلوم الإنسانية المعاصرة في الوطن العربي، كما يعبر النصر، لم يكن استجابة لحاجة طبيعية داخل مجتمعاتنا بقدر ما كان مظهراً من مظاهر عملية الاجتياح الثقافي الحضاري والعسكري التي قام بها الغرب في حق المجتمعات التي أخضعها لسلطانه. ثم أدى نشوء التعليم العالي، بمعناه العصري، إلى استمرار استيراد النظريات الغربية في العلوم الإنسانية، كاستيراد بقية البضائع، حتى غلب على جل المشتغلين بهذه العلوم منطق التكرار والاجترار الركيك لمدارس الغرب ونظرياته في هذه العلوم، محاولين إسقاطها تعسفاً على واقع حضاري مغاير تماماً (النصر، **1993**). لقد لاحظ جاهودا (**1980**) إن المعلومات والنظريات السيكولوجية هي منتوج مجتمعات محددة تمتاز بالتقدم الصناعي، وزيادة التعليم، واللاشخصية، والعالمية، ومدى واسعا من الاعتقادات والآراء والاتجاهات. إن هذه النظريات قد قدمت مساهمات وظيفية فعالة بالنسبة للمؤسسات شبه المستقرة، مثل الصناعة والعسكرية والمؤسسات التعليمية في الغرب. ويمكن القول بأن حالات الاستقرار هذه هي غائبة في معظم الأحيان في الدول النامية.

إن معظم الأجهزة الآيديولوجية في المجتمع العربي، وما يتصل بها أو يتفرع عنها من المؤسسات، إنما تنتج ثقافة الاستهلاك، وتبشر بها وتعممها. وبما أن الإنتاج لا ينتج الثروة وحسب، وإنما ينتج كذلك من يستهلكها، فإن هذه الأجهزة جاهدة في تحويل العرب إلى مجرد مستهلكين. بل يكاد أن يصبح الاستهلاك نوعاً من القانون أو المعيار الأخلاقي المكون داخل الشيء السلعة (أدونيس، **1983**). مثلاً، لقد تم استيراد علم النفس للعالم العربي كاستيراد السيارات والطائرات والأدوات الكهربية والكمبيوتر وقطع الغيار الجاهزة. وبذات الكيفية تصدر بعض الدولة العربية البترول للخارج، ويتم الاستفادة منه في مصنوعات تصدر ثانية للعالم العربي. إن عملية التصدير والاستيراد بالنسبة للمواد الخام للغرب تنطبق كذلك على تصدير أقسام علم النفس في الدول العربية، المعلومات الخام والبيانات ونتائج الاختبارات والمقاييس والتجارب للغرب بواسطة البحاثة في علم النفس، أو الطلاب الدارسين للدراسات العليا لعلم النفس في الغرب. حيث تتم عملية تحليل نتائج هذه الأبحاث، وتصاغ مفاهيم ومناهج وتقنيات ومعارف، ومن ثم تصدر ثانية للعالم العربي.

قد تكون صيغة الاقتصاد الريعي في الدول العربية أحد الأسباب التي تكرس عملية الاستيراد، لأن الكفاءة ونوعية الإنتاج لم تكن من الأولويات. إن تصدير واستيراد علم النفس الغربي لا يشكل بأي حال وجود علم نفس مناسب بالنسبة للدول النامية (مقدم وتيلر، 1985). إن استسهال استيراد التكنولوجيا الجاهزة خلق تواكلاً عربياً على نوع من القناعة المعاصرة يمكن تسميته "القناعة التكنولوجية" وقد أدى هذا التواكل إلى ضعف متزايد للبحث العلمي العربي، وهو الأمر الذي ينعكس تهميشاً للدور الذي يمكن أن تلعبه مؤسسات وهيئات البحوث العربية (محرم، 1984). إن التجربة السيكولوجية في الوطن العربي، ورغم أهمية بعض تراكماتها الكمية، وجدية محاولاتها الفردية، لا تزال سجينة عدد من المعوقات التي تزج بها في متاهات تتراوح بين مشاكل التأريخ، وعوائق التأسيس، وصعوبات التطبيق. إنها لا تزال تشكو من فجوة متعددة الصور والمظاهر بين الموضوع والمنهج، وبين النظرية والتطبيق، وبين الإنتاج والاستهلاك. وهي فجوة عميقة تخترقها عمودياً وأفقياً، إلى الحد الذي يستحيل معه القول بقرب انفجار ثورة سيكولوجية عربية (أحرشاو، 1994: 5).

إن أغلب الدراسات السيكولوجية في الوطن العربي قد بنيت على عنصري الاستهلاك والمحاكاة لما يضعه الغرب من نماذج نظرية وتقنيات ميثودولوجية، التي وإن كانت مفيدة للباحث السيكولوجي العربي من الناحية المنهجية، فهي لا تحيط في محتوياتها بالخصائص النوعية للإنسان العربي وتصرفاته السلوكية وانشغالاته اليومية (أحرشاو، 1995). وكذلك تم استيراد السيكوتكنلوجيا، مثل المعامل وأدواتها، والمقاييس والاختبارات ومعاييرها وطرق تطبيقها، وكيفية تقدير درجاتها، وربما طريقة تفسيرها وتحليلها." لقد استورد المشتغلون بعلم النفس كلٌّ في مجال اهتمامه، أو ميدان اختصاصه، ما أنتجته مدارس علم النفس من نظريات ومنهجيات وتطبيقات، والأخطر من ذلك الاستنتاجات والتعميمات" (حجازي، 1993). لقد وجد الخليفة (1999أ) بأن طريقة نقاش وتحليل نتائج الأبحاث المجراة في مجالات الإبداع والذكاء والموهبة في العالم العربي هي طريقة تعكس عملية استيراد علم النفس، ولذلك تقل نسبة الحساسية الثقافية المحلية أو العربية. وهي بلغة أخرى تعبر عن حالة الاستيراد لعلم النفس من الغرب، حتى في أبحاث الإبداع، والتي تتطلب المغايرة، أو عدم المسايرة.

إن علم النفس يركز على قيم ومعايير ومفاهيم ومشاكل وتحديات الولايات المتحدة وأوربا كعوالم صناعية. إن منتوجات هذا العلم تبعاً لذلك هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة اليورو-أميركية. إذاً، من الصعوبة بمكان تعميم علم النفس المصدر من ناحية الغرب إلى بقية الثقافات المستوردة ذات القيم والمعايير والمفاهيم والمشاكل والتحديات المغايرة. والمأزق الذي يجابه علماء النفس العرب يتمثل في عدم القدرة على الإنتاج السيكولوجي المبدع، سواء كان صلباً أو رخواً،

ولذلك يتم الاستيراد للمفاهيم والنظريات التي تعيق الإدراك في فهم بنية سلوك وعقل الأفراد في العالم العربي في دائرة الحدود التقليدية لعلم النفس اليورو-أميركي. إن المعرفة المنقولة أو المستوردة كما عبر شرابي (1990)- والتي تنشئ الوعي المنقول أو المستورد - لا يمكن أن تحرر الفكر، أو أن تطلق قوى الخلق والإبداع في الفرد أو في المجتمع. إلى متى تكون حركة تصدير علم النفس من الغرب للعالم العربي؟ وبصورة معكوسة إلى متى يكون استيراد علم النفس للعالم العربي من الغرب؟ هل بالإمكان مجرد وجود مساهمة عربية تنقل من العالم العربي للعالم الغربي تحدث تأثيراً في مفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس، كما فعل بعض علماء النفس من اليابان والهند وإسرائيل. يقول بزاز (1991) مع استيراد نظريات واستهلاكها في قالب معرب خاصة عندما يكون مشوهاً، يؤدي حتماً إلى تزييف الوعي، وإلى تكريس التبعية.

التبعية والإبداعية

قدم كاردوسو نظرية التبعية عام1979، ويشكل مفهوم التبعية - في ارتباطه بمفهوم السيطرة - أداة رئيسية لفهم الواقع الراهن في البلاد المتخلفة، ومن بينها البلاد العربية (عيسى، 1984)، وجاءت أفكار مدرسة التبعية لتقدم ترسانة من الأفكار التي تتفق على نقطة محورية واحدة، وهي إدانة الغرب الاستعماري، وتحميله مسؤولية نشوء وتعمق التخلف في الوطن العربي (سعيد، 1984). ولقد ركزت الدول الرأسمالية المتقدمة وشركاتها عبر الجنسيات على ما يحقق تبعية البلدان العربية لها تكنولوجياً، وقد توجه جهدها الرئيسي - من ثم - لا إلى المساعدة على إقامة القدرة العلمية التكنولوجية الذاتية في البلاد المتخلفة، ولكن إلى تكريس اعتماد هذه البلدان عليها تكنولوجياً. ولتحقيق هذه الغاية عملت تلك الدول وشركاتها على الترويج لشعار "نقل التكنولوجيا" لصرف الجهود والأنظار عن المهمة الضرورية إلى "بناء القدرة العلمية التكنولوجية المستقلة" (عيسى، 1984). لذلك نجح الغرب في تصديره لقيم الثقافة الغربية المرتبطة بعلم النفس أكثر من عملية استيراد التقنيات للعالم العربي. فقد نقل علماء النفس العرب مثلاً خصائص الفردانية المتأصلة في علم النفس، مع العلم بأن المجتمع العربي مجتمع جمعوي وليس فردانياً.

وإن التجزئة تفرض على أقطار الوطن العربي التبعية التكنولوجية بالاعتماد المبالغ فيه على الطرف الأجنبي، مثلما تؤدي إلى تبديد الموارد النقدية العربية (محرم، 1984: 77). وتجد هذه التبعية قاعدتها في التجزئة الإقليمية للوطن العربي، حيث تقوم في كل جزء من هذا الوطن دولة قطرية بعينها ترعى اقتصاداً قطرياً ونظاماً اجتماعياً وسياسياً طبقياً موازياً له، ويعتمد كل من هذه الأجزاء على المركز الرأسمالي أساساً في استمداد مقومات النمو الاقتصادي والتكنولوجي

كبديل للاندماج الاقتصادي -الاجتماعي- السياسي العربي، أي كبديل للوحدة العربية (عيسى، 1984: 96). وتتجلى في هذا المحور التبعية المعرفية التي يعاد إنتاجها بواسطة اللغة العربية، فلا يشار بتاتاً إلى الظروف التاريخية والموضوعية التي كانت وراء إنتاج المعرفة...وأصبحنا في أحسن الأحوال نردد الصراعات الفكرية في أوربا والغرب دون وعي. وكانت سبباً في فقداننا لرؤية صحيحة لمجتمعاتنا (بزاز، 1991).

بالإضافة لذلك، يعاني المجتمع العربي من التبعية المتجلية في عدم سيطرته على موارده ومصيره، وبوجود فجوة حضارية تفصل بينه وبين المجتمعات المتقدمة. ومن بين أهم جوانب التبعية استيراد السلع الاستهلاكية والإنتاجية والتقنية (بركات، 1984). وتشكل الحضارة الغربية والسيطرة الغربية اليوم تحدياً مستمراً وشاملاً لكل الشعوب الأخرى، علمياً وعسكرياً وسياسياً وتقنياً وصناعياً واجتماعياً وروحياً معاً. ومع ازدياد هذه الغلبة، وتوسع دائرتها وتعمق الشعور بضخامتها، يزداد إيمان الشعوب الضعيفة بعجزها وفقر ثقافتها، و يترسخ لديها النزوع نحو الاقتداء وتقليد الغالب (غليون، 1990). وتؤثر التبعية تأثيراً سلبياً في الثقافة المغلوبة، ولعل أخطر هذه الآثار تحقير الذات، والشعور بالنقص، والمبالغة في تقدير قوة ومكانة الثقافة الغالبة، والشعور المتزايد بضعف الثقة بالنفس (أبو حطب، 1993). يقول ابن خلدون في مقدمته الرائعة، في باب أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب "إن المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله ... والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه... إن الأمة إذا غلبت وصارت من ملك غيرها أسرع إليها الفناء ... والسبب ما يحصل في النفوس من التكاسل ... وصارت بالاستعباد آلة لسواها، وعالة عليهم، وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم".

تعبر التبعية عن حالة العقم العلمي في العالم العربي. "ويكون العلم عقيماً عندما لا تتجاوز الأنشطة المتعلقة به، المسماة باسمه، حدود تناقل المعارف، أو حشو الأدمغة بالمعلومات، أو إتخام الذاكرة بالنظريات والقوانين والأرقام. ويكون العلم عقيماً أيضاً عندما لا تتجاوز البحوث التي تجري تحت عباءته عقول الباحثين في بعض الأحيان، أو جدران معاملهم في أغلبها" (محرم، 1984). وكما تعبر عن الاعتماد أو غياب الاستقلال. "وغياب الاستقلالية يعني الخضوع لأطر وقوالب جاهزة تعمل على تقييد حرية الفكر في المناقشة والتحليل، مما يجعله يساهم في تبرير الواقع القائم، وبذلك تفقد الممارسة العلمية صفتها النقدية" (عنصر، 1990). وتعبر التبعية عن حالة الفشل التي لازمت تجربة علم النفس في الوطن العربي. وإن مراد هذا الفشل يكمن في كون الضوابط التي توجه تفكيرنا السيكولوجي، هي ضوابط غربية منبثقة من تبعيتنا واستهلاكنا لنظريات واتجاهات السيكلوجيا الغربية، التي لا تعرف أدنى شيء عن الإنسان

العربي، وعن نشاطه النفسي وتكوينه المعرفي. إن المجال الذي تتحرك فيه تجربتنا السيكولوجية لا يتعدى الحدود النظرية التي رسمت معالمها أعمال بعض أقطاب السيكلوجيا الغربية (أحرشاو ، 1994). ولعل أخطر النتائج التي ترتبت على عدم الارتباط بالواقع الثقافي والاجتماعي هو تعويق التفكير الإبداعي في مجال علم النفس، بل و كفه. وأي متفحص لكثير مما يطبع وينشر من كتب ومؤلفات وبحوث في علم النفس يستطيع أن يكشف هذه الحقيقة بسهولة نادرة. فكثير من رسائل الماجستير والدكتوراة ليست في جوهرها إلا محض استعارة لبحوث أجنبية، أو محض تطبيق لأدوات بحوث غربية على عينات من العرب (أبو حطب، 1993).

لقد اكتفت أبحاث الإبداع والشخصية في العالم العربي بأن تكون بمثابة الصدى، قد يرتفع فيها، أو ينخفض، الصوت الغربي من خلال مفاهيمه، ومناهجه، ونظرياته ونظرية معرفته. فليست هناك مشاركة جوهرية من قبل علماء النفس العرب في وضع أسئلة جوهرية، أو جدية، عن الإبداع، ولا حتى إجابة بالنسبة للأسئلة المطروحة في الغرب. نتيجة لذلك تكرس الأبحاث المجراه باسم الإبداع عمليات الغزو السيكولوجي الغربي، وتبنيّ أطر الإبداع الغربي كأطر عربية، ويعتمد البحث الإبداعي على النقل لا العقل، والاتباع لا الإبداع، ويعمل ذلك على تكريس عملية التبعية السيكولوجية للغرب وللإمبريالية العالمية. إن عالم النفس العربي لا يمكنه فهم الشخصية العربية الإسلامية إلا من خلال نموذج الشخصية الغربية، كما هي في مفاهيم ونظريات علم النفس الغربي. وكما هي في مقاييس وأبعاد الشخصية في مقياس مينسوتا المتعدد الأوجه، أو في مقاييس آيزنك. أفلا يمكن فهم شخصية الأردني، أو المغربي، أو الخليجي، إلا من خلال صورة الشخصية الإنجليزية والفرنسية والأميركية. وهذه الصور هي المعايير والتي ينبغي الأخذ بها عند القياس، أو فهم الشخصية المحلية. يستخدم علماء النفس العرب مصطلحات علم النفس الغربي لدراسة الأفراد والجماعات في المجتمع العربي، لكن يبدو من المناسب فهم العالم العربي من خلال مصطلحاته ومفاهيمه. يقول النابلسي (1995: 50) يرى بعضهم صعوبة نظرية في تكييف معلوماته مع واقع المجتمع الذي يمارس فيه، فيلجأ إلى المطالبة بتغيير قيم المجتمع بما يتلاءم مع هذه المعلومات. وهو يبطن عجزه هذا بثورة عارمة على مظاهر التخلف في المجتمع.

هل تُعتبر يا ترى، سمات وخصائص الجماعية والقبلية والعشائرية وقيم الكرم هي ذات الخصائص الموجودة في البناء السيكولوجي للأميركي، مثلاً. إن الأدهى من ذلك تحليل بنية المشاعر والأحاسيس العربية من خلال المقابل الأميركي. يقول حنفي (1987) إن تعريف الشيء الغامض بشيء آخر أكثر غموضاً لا يتفق مع قواعد التعريف، وبالتالي، فإن إحالة مكونات الشعور العربي الإسلامي الحالي إلى مكونات الشعور الغربي هي إحالة الشيء الغامض إلى شيء

أكثر غموضاً من أن الإحالة إلى التجارب المعاشة، أو إلى المخزون التراثي الثقافي يساعد على التوضيح المطلوب (ص. 321). قد يصعب جدا قبول علم النفس الغربي، أو اليورو-أميركي حرفياً في العالم العربي إلا في "حالة التحرر من القيم العربية التقليدية، وتبني قيم غربية بديلة فتحل "حضارة العقل" مكان "حضارة القلب" والموضوعية محل العاطفية ، وقيم النجاح والتحصيل مكان قيم "الأصل والفصل" والواسطة، وقيم المستقبل محل قيم الماضي، وقيم السيطرة على الواقع بدل قيم القدرية، والثقافة العلمية مكان الثقافة الغيبية والأدبية، وقيم الاعتماد على النفس بدل الإتكالية" (بركات، 1984: 452-453).

يحاول بعض علماء النفس تقليد ونسخ النموذج الغربي لعلم النفس من غير نجاح. وأقصد بذلك عملية تبني وتكييف علم النفس، بينما يحاول البعض معاداة علم النفس الغربي من غير نجاح بإتيان بديل تترسخ جذوره في التراث العربي الإسلامي. فعلماء النفس العرب في كلتا الحالتين مقلدين للغرب من غير نجاح، وناقلين من التراث من غير نجاح. إنهم خائفون ومبهورون من النموذج الغربي لعلم النفس، ومسحورون ومشلولون من التراث العربي الإسلامي. إذا كانت حيوية المجتمع، كما يعبر أدونيس، تقاس بطاقته على الإبداع، وممارسة الفعل الإبداعي، فإن المجتمع الذي لا يمارس هذا الفعل يظل بالضرورة تابعاً، سواء للسلفية، حيث يغوص بالذكرى والاستعادة عن الممارسة الحية، أو للاقتباسية، ممّا يعجز عن إبداعه، وبما يقدر على أخذ من الخارج. وتلك هي الثقافة العربية السائدة على مستوى المؤسسات: إما أنها تجيء من الماضي، وإما أنها تجيء من الخارج. هي، من الناحية الأولى، نسخ يمحو الماضي، وهي من الناحية الثانية تقليد يمحو الشخصية (أدونيس، 1983).

البوتقة: التلمذة والأستاذية

إن التطور الهائل لعلم النفس في أميركا لعب أدواراً كبيرة في الخارج وفي الداخل. ففي خارج أميركا تمثل في سيطرة النموذج، أو المعلم الأميركي لعلم النفس في كافة أنحاء العالم "التلاميذ" وخاصة التلميذ الأبدي "العالم العربي". لقد ارتبط النموذج الأميركي بأعمال الدفاع وأعمال المخابرات التي تعمل على التحكم بالجملة بشعوب العالم. و في داخل أميركا تمثل المعلم الأميركي "الأبيض" في مساهمة علم النفس الاجتماعي المرتبط بعلم النفس الشعبي، أو الفلكلوري، أو الثقافي، في فهم وإحداث التمثيل الثقافي للمجموعات العرقية . إن المنهج التاريخي للاتصال عبر الثقافي بين المجموعات المختلفة، كما يقول مقدم وآخرون، تم التعبير عنه من خلال الصورة الرومانسية "للبلاد البوتقة" التي ينصهر فيها المهاجرون. إن الفكرة الأساسية من وراء ذلك هي أن الأقليات الثقافية يجب أن تهجر وتتخلى عن "طرقها القديمة"

وموروثاتها الثقافية، وأن تتبنى "الطريقة الأميركية" إذا تم توجيه وتعريض حرارة كافية للبوتقة، فإن الفروق الثقافية بين المجموعات سوف "تنصهر"، وكل فرد يصبح من ناحية ثقافية "أميركياً" (مقدم ، تيلر ورايت ، 1993). وفي الوقت ذاته، يجب أن تتخلى الثقافات المحلية المختلفة عن فكرة إيجاد علم نفسها، تتبنّى النموذج الأميركي لعلم النفس، لأن الأول إقليمي، والثاني عالمي، ولا ضرورة للأقلمة في ظل العولمة.

وإن الفلسفة السياسية بالنسبة للتمثيل الثقافي تتطابق تماماً مع نظرية علم النفس الاجتماعي في التشابه والتجاذب (بايرن ، 1971) . ولقد أظهرت أبحاث علم النفس الاجتماعي أنه كلما كان هناك فردان متشابهان في ناحية الاتجاهات والنشاطات والمعتقدات والمجموعة العرقية، كلما كانوا يميلون ويحبون بعضهم بعضاً (كاندل، 1978). إن الهدف السيكولوجي من فكرة "البلاد البوتقة" هو أن المجموعات الثقافية والاجتماعية إذا تركت موروثاتها كلما نشأ مجتمع متجانس، وتكون النتيجة تكوين مجتمع ينجو من التوتر العرقي والثقافي (مقدم ، تايلر ورايت، 1993). إن فكرة "البلاد البوتقة" في داخل أميركا تقابلها فكرة المثاقفة خارج أميركا . وفي مجال المثاقفة النفسية تريد أميركا من خلال نموذجها في علم النفس أن تصهر محاولات علم النفس في الثقافات الأخرى داخل النموذج الأميركي باعتباره المعلم، وبقية النماذج هي مجرد تلاميذ. وفي تقديري، إن علم النفس عبر الثقافي وعلوم النفس الوطنية المرتبطة به هي حل لمشكلة الهيمنة من قبل المثاقفة السيكولوجية الأميركية. ولكن القضية ترتبط بعدم اهتمام علماء النفس العرب به. وقد يتساءل المرء كم جامعة عربية تدرس مقرراً في علم النفس الثقافي، أو تقدم أبحاثاً جادة لاختبار مفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس المستوردة من الغرب في العالم العربي.

تعزز فكرة البوتقة "اعتبار الغرب المعلم الأبدي، و"اللاغرب" هو التلميذ الأبدي، وإن العلاقة بينهما أحادية الطرف، أخذ مستمر من الثاني ، وعطاء مستمر من الأول ، استهلاك مستمر من الثاني، وإبداع مستمر من الأول. ومهما تعلم التلميذ فإنه يكبر تلميذاً، ومهما شاخ الأستاذ فإنه يظل معلماً. ولن يلحق التلميذ بالأستاذ، لأن معدل الإبداع أسرع بكثير من معدل الاستهلاك، فيجري التلميذ لاهثاً وراء المعلم، ولن يلحق به، وكلما جرى ازدادت المسافة اتساعاً حتى يدرك الصدمة الحضارية، فيقع ويدرك قدره ويرى مصيره . إن فترة التعلم قد طالت، وإن فترة التتلمذ قد امتدت... إن التعلم من الغير وسيلة، مرحلة وليست تاريخاً، ومجرد باعث ومحرك، وليست بديلاً عن الشيء ذاته" (حنفي، 1985) . وفي إطار العولمة تتم عملية المثاقفة، بمعنى أن يتم التفاعل الثقافي بين الجماعات، لا على النحو القديم المعتاد، وإنما على نحو جديد، تحتشد فيه الثقافات المتعددة لتدخل بشكل سريع في عملية تفاعل تطرح فيه كل ثقافة ما لديها من رؤى

ونظم واتجاهات، فتتماس الخيوط لتصنع ضفيرة ثقافية جديدة، تكون لها صفة العالمية (زيدان، 1996) . فيا ترى هل لدى علماء النفس العرب رؤى واضحة، واتجاهات للمشاركة في هذه الضفيرة العالمية. ولعلنا نتساءل لماذا استطاع علماء النفس في أحزمة ثقافية أخرى من العالم اللاغربي بالمساهمة الفاعلة في الضفيرة العالمية، بينما لم يستطع علماء النفس العرب ذلك!

علم النفس: الصلب والرخو

في الآونة الأخيرة، تنبه بعض الباحثين إلى الحقيقتين التاليتين: أولهما: أن العلم ليس بمجموعة من النتائج والمحصلات، ولكنه قبل كل شيء روح ومنهج، أي مجموعة من المعايير والقيم يجب الالتزام بها والإلزام بها، وطريقة في التعامل والتفاعل مع الظاهرة التي يراد شرحها. وثانيهما: أن تفضيل الجانب التطبيقي على الجانب الأساسي، والبحث النظري، لن يؤدي إلى إرساء أسس البحث العلمي (راشد، 1985) . إن جزءاً محدوداً من علم النفس الغربي يمكن تطبيقه في العالم العربي من غير تحيز ثقافي كبير، وهو الجزء "الصلب"، مثل علم النفس التجريبي، وعلم النفس الفسيولوجي، والنيورولوجي، وعلم نفس الحيوان. ولكن مأزق هذا الجزء يرتبط بعزوف علماء النفس العرب عن استزراعه، أو تطويره، أو قلة المتخصصين فيه، أو زيادة تكاليف المعامل والمعدات، أو عدم التهيئة العلمية بتطويره. وربما يرجع السبب كذلك إلى الخلفية الأدبية لغالبية دارسي علم النفس، كل تلك الأسباب، وغيرها، تحول دون تقدمه. أما الجزء "الرخو" من علم النفس، فإنه يتأثر بالعوامل الثقافية، وهو انعكاس لقضايا المجتمعات الصناعية، ومن أمثلة ذلك علم النفس الاجتماعي، والعلاجي والتربوي والصناعي. والجزء الأخير هو الذي اهتم علماء النفس العرب باستيراده وتطبيقه تعسفياً بالنسبة للأفراد والجماعات في العالم العربي.

لقد لاحظ الخليفة (1999ج) في محاولة تتبع تاريخ علم النفس في ألمانيا وجود معمل حديث لعلم النفس البحت في مدينة لايبزج والذي تأسس عام 1879وربما يكون خاصاً بالانسان الغربي، ومعمل آخر لعلم النفس في مدينة هامبورج ارتبط بالشعوب البدائية في اللاغرب . هنا أريد أن أطرح السؤال التالي: هل كان الغرب منذ بداية تأسيس علم النفس يعمل بصورة مبرمجة ومنظمة بتطوير علم نفس يرتبط بالمعمل والتجريب، ويعتمد على الفيزياء والفسيولوجيا والرياضيات، ويكون خاصاً للجامعات والمؤسسات في الغرب، وفي الوقت ذاته يقوم بتطوير علم نفس مرتبط بالفلسفة والأنثروبولوجيا والتربية، خاصاً بالجامعات والمؤسسات في الدول غير الغربية، ومنها العالم العربي ؟ ربما يكون من المناسب أن نطرح سؤالاً آخر: هل ترتبط سياسة تصدير واستيراد علم النفس بهذه الازدواجية في علم النفس ؟ لماذا تطور علم النفس غير المرتبط

بالتجريب والمعمل في العالم العربي في كليات التربية والآداب، ولم يتطور أبداً في أقسام الفيزياء والأحياء وعلم الحيوان ؟ لماذا الأسئلة التي طرحها علماء النفس في الغرب، والتي تدرب علماء النفس العرب عليها، لم تتم من خلالها طرح أسئلة جديدة عندما عاد هؤلاء العلماء إلى العالم العربي.

تتفق معظم كتب علم النفس في المكتبة العربية بأن هناك ثلاثة أهداف رئيسية لعلم النفس هي الفهم والتنبؤ والضبط (أحرشاو، **1994**؛ عبد الخالق، **1991**؛ حمزة، **1982**؛ عبد الخالق ودويدار، **1993**؛ سليمان والمليجي وبديوي ، **1994**؛ سويف، **1978**). ومن أمثلة الضبط والتحكم المذكورة في الكتابات العربية، الاستعداد الدراسي والمهني، التحكم في ظاهرة النجاح في الدراسة، وتعديل سلوك المريض، ضبط سلوك المراهق والجانح، والتحكم في التفوق الرياضي، والتحكم في الجريمة. كأنما هدف علم النفس هو التلميذ المسكين في المدرسة، أو المريض المشفق على حاله في العيادة النفسية، أو الأصم والأبكم والكفيف في معاهد الرعاية الخاصة. فيا ترى أين الدور الكبير لعلم النفس في التنمية بالنسبة للمهتمين بالاقتصاد وبالمجتمع؟ وأين دور علم النفس في المفاوضات والدبلوماسية بالنسبة لدعاة السلام من علماء النفس العرب؟ وأين دور علم النفس في الدفاع والمخابرات بالنسبة لدعاة الحرب من علماء النفس العرب؟ أريد أن أسال نفسي، وأسال علماء النفس العرب عندما يتحدثون عن التحكم : هل استطعنا إدخال القرد أو الكلب أو الحمامة، أو حتى الفأرة، في المعمل حتى نتحدث عن التحكم . ربما تكون الإجابة بنعم عند الرجعة، أو العودة، أو النكصة، أو الارتداد للتراث.

فأمام الانكسار النفسي، كما يقول غليون **(1990)**، يصبح الإيمان بالنصر التاريخي تعويضاً عن الهزيمة. يقول بروفسر بدري **(1979)** إن مدربي الصقور، من قدماء العرب، إنهم اسكناريون لآلاف السنوات قبل أن يولد اسكنر . ولكن يمكن أن نتأمل قيام العرب بتدريب الصقور، بينما قام اسكنر بتدريب الحمام، ولكن كان تدريب الصقور لمتابعة الصيد، بينما تدريب الحمام لتوجيه القنابل لأغراض الدفاع أثناء الحرب العالمية الثانية. يمكن أن نعيد النظر ما بين قصر النظر وطول النظر، ما بين التفكير في البطن والتفكير في التحكم، ما بين التحكم بالقطاعي والتحكم بالجملة. ويمكن أن نتأمل في قراءة التراث العربي الإسلامي بعمق، ولسوف نلاحظ بأن هناك ملامح ومعالم لعلم نفس تجريبي، ولكن في حالة إشارة علماء النفس العرب له غالباً ماتتم الإشارة للجانب الميتافيزيقي، أو الميت من علم النفس، أكثر من الإشارة للجانب التجريبي أو العلمي أو الطبيعي . ويمكن أن نتساءل هنا عن إمكانية الارتباط بين وضع علم النفس الحالي في العالم العربي، وبين علم النفس الأقل حيوية وتجريبية وطبيعية في

التراث العربي الإسلامي . هل لعبت عملية انحسار العلم العربي الإسلامي في القرون الأخيرة (قرون الرجعة والانحطاط) دوراً في ازدواجية علم النفس الصلب والرخو .

إذا قارنا التأسيس العلمي لعلم النفس في اليابان بتأسيسه في العالم العربي، لاحظنا أن أول تأسيس لمعمل لعلم النفس في مصر عام 1930بينما في اليابان عام 1886 . فالمسافة الفاصلة في تأسيس معمل علم النفس بين العالم العربي واليابان هي 44 عاماً، بينما المسافة الفاصلة بين معمل لايبزج ومعمل اليابان 7 سنوات، وكانت المسافة بين معمل لايبزج ومعمل مصر 51 سنة. بعض معامل علم النفس في العالم العربي تحتوي على بعض الأدوات القليلة والقديمة الخاصة بعلم النفس، وضعت مثيلاتها في متحف علم النفس بالغرب. وفي بعض أقسام علم النفس التي شاهدتها أدوات أو معامل لا بأس بها لعلم النفس، ولكنها موجودة "ديكور" في القسم (الخليفة، 1999د). وكانت معظم المادة المنشورة عن علم النفس في العالم العربي في الربع الأول من القرن العشرين هي مادة فلسفية ودينية. وإن تجارب معمل لايبزج، و تجارب مدرسة ويرزبيرج، أو فرنسيس جالتون، وجيمس كاتل ... خارج نطاق البحث (أبو حطب، 1992). وإن تجربة مصر في علم النفس قد ألقت بظلالها على وضعية علم النفس في بقية الدول العربية . وذلك لأن حوالي 70٪ من مجموع علماء النفس الذين يدرسون أو يمارسون علم النفس في الدول العربية تم تدريبهم في مصر (كينج، 1984). ولذلك ينطبق القول على تأسيس علم النفس في سوريا (عاقل، 1965)، ولبنان (دياب، 1965)، والعراق (البسام، 1965)، والسودان (الخليفة، 1997) بالإضافة لمصر (مراد، 1965). وعندما كتبت مخطوطاً عن "علم نفس الحيوان في التراث العربي الإسلامي" تم رفضه من قبل ثلاث دوريات عربية. ولم يتم قبوله إلا في "المجلة العربية للعلوم" (الخليفة، 1998ب). وكان سبب الرفض في تقديري هو عدم التهيئة النفسية لمحرري هذه الدوريات، أو محكميها، بقبول علم نفس الحيوان كفرع من أفرع علم النفس. وفي السودان كان هناك عالم حيوان متحمس لعلم النفس بصورة غير عادية، ومن ثم تحول من كلية العلوم إلى كلية الآداب، ولقد تم التساؤل من قبل الكثيرين ما علاقة علم الحيوان بعلم النفس؟

وبوسعنا القول (أنظر الخليفة، 1999د) بأن النزعة العامة لتأسيس علم النفس في العالم العربي هي نزعة "تربوية"، وتبعاً لذلك يمكننا أن نطلق على علم النفس بأنه "علم نفس الطلبة" خلافاً لفئات العمال والفنيين والمهنيين المدروسة في اليابان . وغالباً ما تستخدم الاستمارات والاختبارات السيكولوجية الورقية بالنسبة للطلاب في العالم العربي. وتبعاً لذلك يمكن أن نصف علم النفس ثانية بأنه "علم نفس الورقة والقلم" ويمكن أن نطلق عليه كذلك "علم نفس الفرض الصفري" وذلك لبناء الافتراضات من غير قاعدة صلبة من أدب علم النفس، ومن غير تبرير كاف لتلك الافتراضات. أو يمكن أن نطلق عليه "علم نفس الصدق والثبات" وذلك لسوء

استخدام الإحصاء في الأبحاث السيكولوجية، واستخدام هذه الأدوات في استمارات لا تساوي ثمن الحبر الذي كتبت به. في تقديري، وحسب ملاحظاتي، إن كليات التربية في العالم العربي تكون في آخر قائمة التقديم بالنسبة لمجموعة كبيرة من الطلاب. وبذلك تجذب هذه الكليات ضعاف الطلاب، ونادراً ما يدرس المتفوقون من الطلاب في كليات التربية. وتبعاً لهذا المنطق يكون أداء هؤلاء الطلاب ضعيفاً مقارنة مع رصفائهم في كليات أخرى. وتبعاً لهذا الضعف يعين خريجو علم نفس ضعاف في مستواهم الأكاديمي، وربما في تكوينهم الفكري والبحثي ليكونوا أساتذة أو بحاثة في علم النفس لا يتجاوز "الطلبة" و"الورقة" و"القلم" و"الفرض الصفري".

المعاصرة والرجعة

إن لفظ "عصري" مشتق من عصر. فالعصري مَنْ ينسب لعصر، وقد وضع بعض المجددين، في مقابل عصري، زيادة على رجعي لفظ ماضوي (من ماضوية)، وهي عندهم: اتخاذ الماضي مرجعاً، على حساب العصر والمعاصرة (الحبابي، 1987 :99). ويقصد زريق بعصري مجمل ما بلغه التطور الحضاري في هذه الأيام. والمتمثل في المجتمعات القادرة المهيمنة على سواها، أو إذا أخذنا بالتصنيفات الجارية الآن، المجتمعات المتقدمة أو المنماه تمييزاً عن المجتمعات المتخلفة أو النامية التي تجد في طريق "العصرية" و لا يتمثل فيها "النهج العصري" إلا بقدر ما بلغت في هذا الطريق (زريق، 1987). والمعاصرة هي تفتح على حصيلة المعارف والفنون والتقنيات، وعلى الأفكار التي تسود الفترة المعيشية . ويستلزم هذا التعريف حرية الفكر، ومرونة الذهن للتكيف مع ما يستحدث، في مختلف الميادين. فالكسل والرتابة، ورفض التطور، خصال تعادي المعاصرة (الحبابي، 1987). إن العلم عامة في العالم الغربي هو علم متطور ومتغير. ففي العلوم الطبيعية، مثلاً، كان نيوتن أبرز من قتل أب الفيزياء الغيبية... وهاهي ميكانيكا الكم تسف أهم مرتكزات العلم النيوتيني في الثبات وضبط القياس، وهاهي نسبية إنشتاين قبلها التي نسفت مبدأ المطلق في العلم (حجازي، 1993). يذكر طه (1990 : 62) بأن الإنسان يجد في نفسه إغراءً لقبول تفسير توماس كون الطبيعة التطور العلمي، فهو ليس تراكمياً، وليس تطوره ذا خطية تصاعدية. فلا يبني اكتشافاً فوق اكتشاف، بل هو ليهدم، ثم يبني من جديد، وهكذا. وإنه في هذا المسار قد يهدم نظرية ثم يفتقدها، ويندم على إهدارها. وإنه قد يستغني عن نظرية، ثم يندم أنه استغنى على الأقل عن بعض أجزائها، ولات ساعة مندم. لأن البديل النظري الذي تبناه بعد ذلك لا يحتوي، ولا يمكن أن يقبل، تلك الأجزاء الصحيحة المستغنى عنها.

إن الحديث عن تطور العلوم الطبيعية قد يكون وثيق الصلة بالحديث عن علم النفس. ففي علم النفس كانت أعمال فونت، مثلاً، تخضع لمراجعة مستمرة ، وهي مراجعة لم تكن قاصرة

على تناول حقائق منعزلة زوده بها المعمل، وإنما غالباً ما أدخلت تعديلات عميقة على النظرية، ولو أنه لا يمكن القول أن هذه التعديلات ذهبت بالإطاحة بالنظام الأصلي (فلوجل ، 1988). إن نظريات ومفاهيم ومناهج علم النفس هي دائماً التغير والتطوير في الغرب. لكن نلاحظ أن مجموعة من القضايا التي تبحث في العالم العربي هي قضايا تخطاها الزمن. ويفتقد عدد كبير من الموضوعات التي درست، والمشكلات التي بحثت، إلى عنصر المعاصرة، فأغلبيته من النوع التقليدي الذي تجاوزه التفكير السيكلوجي في الغرب ذاته. وحسبنا الإشارة إلى كم البحوث الذي أجري، ولا يزال يجرى، حول نظريات التعلم والشخصية الكلاسيكية. وليس المبرر في هذه الحالة بالطبع هو الارتباط بحاجات المجتمع العربي، سواء في الماضي أو الحاضر، وإنما المبرر الأقوى هو الاستسهال والنمطية (أبوحطب، 1993). إن مكتبتنا العربية عرضة لظواهر النكوص والتثبيت، حيث نلاحظ طغيان روح الخمسينات، وما قبلها، على منشوراتنا النفسية من مترجمة ومؤلفة. إن نظريات فرويد وبياجيه وبافلوف وسكنر تعرضت كلها لإعادة نظر جذرية دون أن يقف ذلك عائقاً في وجه استمرار بعض كتبنا وكتابنا في التعامل معها، وكأننا نعيش في بدايات هذا القرن (دويدار والنابلسي، 1995: 129).

عموماً، فإن هذا التراكم للعلوم، والتعقيد للتكنولوجيا، والتغيير السريع ، قد جعل من نقل العلوم إلى اللغة القومية مشكلة تصعب مواجهتها. فالكم أكبر من أن تحيط به القدرات المحدودة للأجهزة الوطنية، بفرض وجودها، والمستوى أعقد من أن يسهل التعامل الناجح معه، والطفرات اليومية والتغيرات المتتابعة تستحيل ملاحقتها ، واتساع الفجوة بين المتقدمين، وبين المتخلفين، يدفع الآخرين إلى الإحباط (محرم، 1984: 70). ولأن الكثير من الكتب العربية منقولة عن كتب أجنبية، فإن حداثة معلوماتها مرتبطة بحداثة المعلومات في الكتب الأجنبية. وعموماً، فإن الكتاب الأجنبي الذي يصدر في سنة معينة يكون متخلفاً عن الحالة المعرفية في الموضوع الذي يدور عليه مدة عشر سنوات تقريباً. وعليه فإن الكتاب الجامعي العربي عادة ما يتخلف عن الحالة المعرفية مدة تزيد على عشر سنوات (الشيخ، 1997). إن بعض المحاولات الجادة من قبل علماء النفس العرب قد تصطدم بهذا الواقع المرير، وقد ينكسر البعض، أو يحس بالانجراح النفسي، وقد يغترب البعض، وقد تكون عملية نزيف الأدمغة لبعض الدول الثرية، أو للغرب، أحد أعراض هذا الانكسار.

لقد أجرت مجلة الثقافة النفسية إحصائية بعناوين الكتب الموجودة في المكتبة العربية، حيث بلغت 691 كتاباً، نجدها تشمل علم النفس العام، علم النفس العيادي ، القياس النفسي، علم النفس الاجتماعي، علم النفس التربوي، الطب النفسي ونفس جسدي، علم النفس الفلسفي

والتراث النفسي (صديق ونصر، 1995). إن هذه المجموعة العربية لا تشمل الطفرات الهائلة في علم النفس، مثل الثورة المعرفية والعصبية والمعرفية-العصبية، أو حتى علم النفس عبر الثقافي، وعلم نفس الحيوان، وعلم النفس الفسيولوجي. والمسألة ليست محصورة على مستوى الكتب العربية، ولكن كذلك تعمم على مستوى الكتب المستوردة، وأدوات وتقنيات علم النفس، فبعض معامل علم النفس في الجامعات العربية تحتوي على أدوات وضعت في متحف علم النفس في الغرب. لقد تطورت مقاييس وكسلر للذكاء خلال عدة مراحل، أولها مقياس وكسلر بلفيو، الذي تم إعداده عام 1939. وتمت مراجعة وتعديل للمقياس عام 1955بإسم مقياس وكسلر لذكاء الراشدين، وتمت مراجعة أخرى للمقياس نفسه عام 1981 باسم مقياس وكسلر لذكاء الراشدين المعدل . وتمت تعديلات أخرى حتى آخر تعديل، وهو مقياس وكسلر لذكاء الراشدين -111 في عام 1997. نلاحظ منذ قيام مليكة بمحاولة تكييف مقياس وكسلر بلفيو للذكاء نسخة 1939 في مصر لم يتم مراجعة التطورات الكبيرة لهذا المقياس خلال 57 سنة الأخيرة . في المغرب قام أحرشاو (1978) بمغربة مقياس وكسلر لذكاء الراشدين، وتعييره على الأعمار 15- 25 سنة . ولكن لم تتم مواكبة التطورات اللاحقة للمقياس خلال الاثنين والأربعين سنة الأخيرة . وفي السودان، تم تطبيق مقياس رسم الرجل كمقياس للذكاء، وتم نقد هذا المقياس قبل عشرات السنوات بأنه مقياس إسقاطي . وتم كذلك تكييف مقياس استانفورد بينيه للذكاء، مع العلم أن مفهوم العمر العقلي الذي يعتمد عليه المقياس تم نقده منذ الخمسينات، واستبدل بمفهوم الفئات العمرية .

يقول جيلين، وهو من أشهر المراقبين والماسحين لعلم النفس في العالم: "إن معظم أبحاث علماء النفس العرب كانت باللغة المحلية، ولم تترجم للغة الإنجليزية. ونتيجة لذلك، هناك مجموعة قليلة من علماء النفس في الغرب من قرأ أو سمع عن نتائج هذه الأبحاث. ومعظم علماء النفس في العالم العربي لا يعرفون ماذا يعمل علماء النفس، وفي الوقت ذاته لهم معرفة فقيرة بحقل علم النفس" (مارتن، 1999: 49). ويرجع السبب في ذلك لتخلف علماء النفس العرب عقوداً عدة عن علم النفس المعاصر. إن دينامية علم النفس من خلال المفاهيم والنظريات والمناهج والأدوات ، وسرعة التغير في المفاهيم، وتجدد النظريات، وتداخل علم النفس مع العلوم المجاورة، وذرية المشكلات التي يعالجها علم النفس تقف أمامها عدم التهيئة النفسية لعلماء النفس العرب بمتابعة التطورات الهائلة في علم النفس . إن المأزق الذي يجابه علم النفس في العالم العربي هو أن الإنتاج السيكولوجي الغربي كماً وكيفاً في معدل نموه وتغييره وتجدده أسرع بكثير من سرعة المحاولات العربية في اللحاق بالكم والكيف الغربي . وإن عدم توازي السرعة بين طفرات

عملاقة، وبين زحفات سلحفائية، يزيد من الهوة، أو الفجوة ما بين واقع علم النفس الغربي، وعلم النفس في العالم العربي . فالسؤال كيف يسرع علماء النفس الخطى لمتابعة روح العصر ؟

البحث والاقتصاد والتنمية

لقد قدم مقدم، عالم النفس الاجتماعي، مفهومي "الإدراك المزدوج" و"النمو الموازي" لفهم وضعية علم النفس في دول العالم الثالث. ويرجع مصطلح الازدواج إلى وجود قطاعين، تقليدي وحديث، يعيشان مع بعض في المجتمع نفسه، وإن كلاً من القطاعين قد طور إدراكاً مختلفاً للحقيقة الاجتماعية. بينما يرجع مفهوم "النمو الموازي" إلى تطور مؤسسات مختلفة في المجتمع الواحد، ليست لها علاقة قوية مع بعض، ولكنها ترتبط بمؤسسات خارج المجتمع. ومن أمثلة ذلك بأن تكون هناك شعبتان لعلم النفس في جامعات مجاورة في إحدى دول العالم الثالث، ليس هناك تأثير متبادل بينهما، ولكن كل واحدة منهما ربما تكون متأثرة بدعم من جامعات في الدول الأخرى (مقدم وتيلر، **1985**). أما معاهدنا العربية فنجدها دائماً تمارس النمو الموازى، وذلك بالتطلع دوماً إلى ما يحدث ما وراء البحر. وهذا يصدق على وحدات البحث، وبعض المراكز التي يظهر وأنها تقوم بمهام ملحقيات ثقافية أجنبية. ومن المعززات لهذا النمو الموازي هو عقد اتفاقيات التوأمة والبحث العلمي مع جامعات أوروبية دون أن يوازيها عمل يربط بين الجامعات ومراكز البحث العلمي على المستوى المحلي أو الإقليمي. وتكشف هذه الحقيقة، والتي لم يكن نفسه، القصد منها الاعتراض المبدئي على هذا التعاون، وإنما الغرض هو العلاقة الموازية، وكأن كل معهد مستقل عن مثيله في البلد نفسه، وتابع لمثيله في البلد المصنع (مزيان، **1993**: **67**) . لماذا لا تكون علاقات التوأمة مع جامعات في اللاغرب. مثلاً، اليابان، أو في جامعات شبيهة في دول العالم الثالث، مثلاً، والهند؟

ولقد لاحظت إبان انعقاد الندوة الأولى لأقسام علم النفس في دول مجلس التعاون، والمنعقدة في قطر **1998** أن الدعوة وجهت لأقسام علم النفس من كليات التربية، ولا أدري لماذا لا توجه لأقسام علم النفس من كليات الآداب والعلوم الاجتماعية؟ فهناك حتى بعض علماء النفس التربويون من هم في مثل هذه الأقسام. ولا أدري ما السبب في هذه الجفوة المفتعلة بين أقسام علم النفس، أو هذا الصراع! مع العلم بأن موضوع "حل الصراع" يحتل باباً في علم النفس الاجتماعي، أو السياسي! وبوسعنا التساؤل: هل قال علماء النفس في الآداب بخلاف ما قاله علماء النفس في التربية؟ ويلاحظ في حالة النشر في دوريات أجنبية، غالباً ما يتم الاعتماد على مراجع أجنبية، وليس هناك ثقة في الاعتماد على مراجع محلية. وليس هناك تقاليد بحثية بين علماء النفس العرب في إقامة المشاريع الفريقية الكبرى، وبعض علماء النفس العرب الذين ينشرون في الغرب،

ويحضرون المؤتمرات ويجيدون اللغة الإنجليزية، ويتحصلون على دعم ومنح من الغرب ليس لديهم ارتباط بعلماء النفس حتى في قطرهم، وربما يكون بصورة واعية رفض التعامل معهم.

إن العلاقة بين القوة الاقتصادية والصناعية للدولة من جهة، وتطور علم النفس من جهة أخرى، يبدو أنها تصدق على المستوى العالمي (روسونزويج، 1994)؛ وإذا لم يساهم علم النفس في التطور الاقتصادي غالباً ما يتم تجاهله في العالم الثالث (ليونج وزانج، 1995)، ولكي يكون علم النفس فعالاً في العالم العربي، يجب أن يرتبط بالقضايا الكبيرة، مثل القيادة والأمية والبيئة والحرب القومية والحداثة والتجديد والعلاقات العشائرية والطريقية والمذهبية والطائفية (الخليفة، 1997أ)، وفوق كل ذلك أبحاث التنمية (أبوحطب، 1998، حجازي، 1998؛ الخليفة، 1998ب) إن التنمية هي نتاج لثلاث قوى اجتماعية، هي القوة السياسية والقوة الاقتصادية والقوة الثقافية. فالتنمية الاقتصادية لا تتحقق فقط عندما تكون الظروف الاقتصادية مواتية، بل أيضاً عندما يكون الوضع السياسي متفتحاً، والسياق الثقافي ملائماً. وظل ثمة سؤال ملح يتعلق بما إذا كان التطور الاقتصادي ممكناً دون التغرب الثقافي. وتعتبر أنماط الاستهلاك انعكاساً للقيم، سواء الجديدة أو القديمة. وتقنيات الإنتاج هي انعكاس للمهارات. وقد نجح الغرب في تعميم قيمه وأذواقه أكثر في نجاحه من نقل مهاراته، وكثيراً ما كان هذا التوازن مقصوداً، إذ أن استدراج الآخر إلى تذوق البضائع الغربية دون تمكينه محلياً من القدرة على إنتاجها، غالباً ما يكون أكبر جلباً للفائدة بالنسبة للغرب من تصدير الذوق والتقنيات في آن معاً. وحتى في تصدير الرأسمالية كنظام، كان الغرب أحرص على غرس وازع الربح، منه إلى نقل مهارات المبادرة والقيام بالمشاريع (مزروعي، 1985). ويعتبر "التأسيس العلمي" و"التوطين المتناغم" لعلم النفس في اليابان مثالاً ممتازاً عن قوة العلاقة الاقتصادية والصناعية للدولة من جهة، وتطور علم النفس من جهة أخرى. وتم ذلك وفقاً لشعار "تقنية غربية وروح يابانية". لذلك كان علم النفس في اليابان جزءاً أساسياً من حركة التحديث والإبداع، وجزءاً من الشركات اليابانية التي تأسر منتوجاتها ألباب علماء النفس العرب. لقد استطاع علماء النفس في اليابان توظيف علمهم في صناعة الكمبيوتر الذي يقتنيه علماء النفس العرب، وفي تصميم السيارات التي يمتطونها، وفي بناء الطائرات التي يركبونها، وفي تركيب الهواتف الثابتة والنقالة التي يحملونها، وفي تطوير الأقلام التي يكتبون بها. ولا ندري لماذا علماء نفس ينتجون وآخرون يستهلكون!

إن مجموع ما أنفقه الوطن العربي على المؤسسات العسكرية وشراء السلاح في عقدي السبعينات والثمانينات يزيد على ألف مليار دولار، حيث يمثل ذلك حوالي نصف ما أنفقته الدول الأوروبية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي، وثلاثة أضعاف الإنفاق العسكري لدول الجوار

الرئيسية (إيران وتركيا وإثيوبيا وإسرائيل)، وضعف الإنفاق العسكري لكل من قارتي أفريقيا وأميركا الجنوبية مجتمعتين (الفارس، 1993). ويمتد الخلل والتصدع في الحياة العربية أيضاً حين تتم قراءة الناتج السنوي للفرد العربي. ففي حين يصل دخل الفرد العربي إلى 18 ألف دولار في بعض الأقطار النفطية، يصل في بعضها الآخر من البلدان غير النفطية إلى أقل من 300 دولار للإنسان الذي يحمل الثقافة والهموم واللغة والديانة نفسها (النبهان وحسان، 1996: 105). وينعكس مستوى دخل الفرد العام على دخل علماء النفس العرب. يبلغ دخل بعض أساتذة علم النفس في بعض دول النفط حوالي 50000 دولار (خمسون ألف دولار) في السنة، في حين يبلغ دخل الأستاذ في بعض الدول العربية الأخرى حوالي 1000 دولار في السنة (ألف دولار). فمرتب الأول يساوي 50 مرة مقارنة مع مرتب الثاني. وتجابه علماء النفس العرب من الدول غير النفطية صعوبة في دفع رسوم عضوية الجمعيات والروابط، وصعوبة المشاركة في المؤتمرات، أو شراء بعض الدوريات والكتب. وقد يتساءل الفرد هل الاختلافات في مستويات الدخول الكبيرة بين علماء النفس لها انعكاس في مستويات الإنتاج السيكولوجي. بلغة ثانية، هل الدول التي تزيد فيها نسب الدخول لها إنتاج سيكولوجي يتناسب مع هذا المستوى المرتفع من حيث إمكانية أقسام علم النفس والدوريات والكتب المتوفرة وخدمات الكمبيوتر والاتصالات المتوافرة؟ فهناك أهمية لهذه العينة من الأبحاث.

لقد أجريت العديد من الدراسات حول معوقات البحث العلمي في العالم العربي، مثلاً، (النبهان وأبوحسان، 1996؛ هاني وحماد، 1996؛) وعن الإنتاج العلمي العربي (زحلان، 1985)، والعلم والسياسة العلمية في الوطن العربي (زحلان، 1981)؛ إن معظم الباحثين العرب يفتقرون إلى الحد الأدنى من الدعم المالي لإنجاز أبحاثهم (ضاهر، 1996: 196). 80٪ من أفراد العينة يعتقدون أن عدم توافر الحوافز المادية للباحث من عمله العلمي يشكل عائقاً أمام عملية البحث، و75 ٪ لعدم توافر التمويل الكافي للمشاريع العلمية. ومن المعوقات الاجتماعية للبحث العلمي الالتزامات الاجتماعية، مثل الاستقبال والجلسات في الأوقات المخصصة للبحث، والالتزامات العائلية غير المنتظمة، وعدم أخذ المجتمع بالبحث العلمي بشكل جاد، أو عدم اقتناع عضو هيئة التدريس بجدوى البحث العلمي (هاني وحماد، 1996). وعند مراجعة النتائج الوصفية والاستدلالية التي حصل عليها هاني وحماد (1996: 115) وجدا أن معوقات البحث العلمي في الجامعات الأردنية تنحصر في أربعة عناوين رئيسة، وهي: المعوقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية. وباستخدام النموذج القياسي الخطي وتقدير علاماته بواسطة المربعات الصغرى الاعتيادية، وجد أن لعوامل الرتبة الأكاديمية والساعات المخصصة لأغراض البحث

والمطالعة وتوافر الأجهزة العلمية المناسبة آثاراً إيجابية في عدد الأبحاث العلمية المنجزة، في حين أن لعوامل سنة تخرج عضو هيئة التدريس (الحصول على الدكتوراه)، ومتوسط العبء التدريسي، وعدد سنوات الانشغال في الإدارة الجامعية آثاراً سلبية في البحث العلمي.

لقد اقتصر التطور السياسي للأقطار العربية على الاقتصاد الريعي، ولم يتعداه إلى الاقتصاد السياسي الصناعي. ومن المعروف أن في الاقتصاد الريعي تأتي الإنتاجية والكفاية والعلوم والتقانة في أدنى سلم الأولويات (زحلان، 1991: 17). يقول جون ديكسون فمجتمعاتنا الخليجية ما زالت تنظر إلى البحث العلمي كنشاط هامشي، لاكعنصر أصيل في تكوين الثروة وتحقيق تنمية ذاتية شاملة. فهي لم تخلق البيئات المناسبة، ولم تقدم الحوافز الملموسة والمادية، ولم توفر الخيارات العديدة، ولا الفرص المعقولة للتقدم المهني للمشتغلين بالبحث العلمي والتنمية التجريبية.. ناهيك عن ما توفره الخيارات الوظيفية الأخرى من امتيازات يفتقر إليها الباحث العلمي في وظيفته (الرميحي، 1991) إن عدد البحوث العلمية المنشورة في دولة الكويت والمملكة العربية السعودية في تزايد مستمر. ولكن أعداداً كبيرة من هذه البحوث هي نتاج علماء عرب من خارج منطقة الخليج، إضافة إلى إنتاج العلماء الأجانب. وهذا ليس بالأمر المستغرب في هاتين الدولتين الخليجيتين اللتين أصبحتا بحق مراتع خصبة تستقطب الأدمغة العربية والكفاءات المتميزة، والتي هاجرت إلى العواصم الغربية، لكي نكون لها بمثابة الرحم الذي تخصب فيه أعمالهم، وتؤدي ثمارها، وتعود بالنفع العميم على هذه الأمة (الرميحي، 1991: 29). إن مشكلة النوعية لا تقل أهمية في أمرها عن الكم، وإن لم تتفوق عليه. ومن الملاحظ أن هناك اعترافاً وتسليماً واسع الانتشار يهيمن على المنطقة كلها، فحواه أن المستويات المتوافرة من الأطر البشرية ليست بالمستوى المطلوب، وإنه يستوجب رفع كفاءتهم، وتوسيع مستوى خبراتهم. ومن الجدير بالذكر أن مشكلة الأطر البشرية تشكل المأزق الحرج والفائق الرئيسي لجهود التنمية بدول مجلس التعاون الخليجي" (الرميحي، 1991، ص. 18).

ولابد من القول كما يقول زحلان بأن محاولة تعليم الأفراد العاديين أسهل جداً من محاولة ربط نخبة من العلماء بمجتمعهم، لأن توحيد جماعات متفاوتة في التفكير أمر صعب التحقيق للغاية، لما يتطلبه من حنكة سياسية ودقة في المعالجات كان من المتعذر توافرها في الوطن العربي سابقاً (زحلان، 1991: 4). يخيل إلى فريق من الناس أن العلم هو مجموعة من المعارف والنتائج يمكن اكتسابها ونقلها من مكان إلى آخر، إما بأقصر الطرق، وذلك بنقل أصحاب الخبرة أنفسهم، وإما بإرسال البعثات إلى مكان الخبرة لتأتي بها. يكفي أن نقف على النتيجة نفسها التي لا تدع مع الأسف، مجالاً للشك، وهي أن هذه الطرق لم تنجح في توطين العلم في

الوطن العربي (راشد، 1985: 45). وإن الكوادر العلمية التي يجري تأهيلها في الدول المتقدمة، وبعد عودتها إلى الأوطان الأم، قد تسيطر على الأغلبية من أفرادها حالة من الاستلاب الثقافي (الاغتراب) (محرم، 1984: 68). فعلى الرغم من أن عملية إيفاد البعثات لدراسة علم النفس في الجامعات الغربية قد شملت تقريباً جميع الأقطار العربية، بدءاً بمصر في أواسط الثلاثينات من هذا القرن، وانتهاءً بدول الخليج العربي حالياً، على الرغم من ذلك لم يبرز من بين باحثينا ولا واحد يعكس قوة وأصالة في الإنتاج السيكولوجي (أحرشاو، 1995: 55). و يأتي بعض الطلاب بطموحات كبيرة ومشاريع بحث سرعان ما تجابههم عقبات حقيقة في العالم العربي، وقد يرتد بعضهم للغرب، ويصبح علم النفس مجرد لقمة عيش. عدة بعثات للطلاب العرب للتخصص في علم النفس بريطانيا وأميركا وفرنسا، ودعوة أساتذة زائرين من الغرب لأقسام علم النفس، لماذا لم تتم دعوة أساتذة زائرين من دول استطاعت أن توطن علم النفس، أو تقدم إسهامات كبيرة.

الدراسات الكبرى اللاحقة

إن مقولة (علم النفس يجابه قضايا كبرى)، ربما يعنى بأن هذا العلم كان في حالة من عدم المجابهة لهذه القضايا، وربما وصل إلى قمة محددة، ثم جابهته مشكلات وأزمات ومعضلات ومحن ومآزق . نحن نقصد أن علم النفس منذ بداية استيراده وتبنيه وازدراعه قد جابه "مشكل"، و"أزمة"، و"معضلة"، و"محنة" و"مأزق" في العالم العربي. لقد اكتسب علم النفس أرضية واسعة في العالم الغربي والمتقدم صناعياً بعد مرور هذا المجتمعات بعمليات التغير، والتي تحتاج لأبحاث التكيف والتأقلم والتعايش . ولقد تحققت كثير من شعارات علم النفس . فيا ترى لماذا لم يكتسب علم النفس هذه الأرضية في العالم العربي؟ وهناك تغيرات سريعة وهائلة في العالم العربي عامة، ودول الخليج العربي خاصة: فالسؤال هل استجاب علم النفس، أو بالأحرى علماء النفس لهذه التغيرات بالفهم والتحليل والتنبؤ والضبط؟ صحيح جداً بأن هناك ضعفاً في النمو الاقتصادي في كثير من الدول العربية حال دون نمو علم النفس، ولكن زيادة الدخل القومي في بعض الدول العربية لم يساعد على نمو علم النفس لكي يتوافق مع البيئة المحلية. في تقديري، هناك أهمية لدراسات كبرى لاحقة لتعميق وتوسعة الدراسات الموجودة، ولدراسة قضايا أخرى، كالمتغيرات السيكولوجية المؤثرة في التأسيس العلمي لعلم النفس، وقضايا البحث السيكولوجي المحلي، قضايا النشر في الدوريات العالمية، وقضايا التجمع السيكولوجي، وقضايا تجذير علم النفس في التراث العربي الإسلامي، وفوق كل ذلك قضايا قضايا "تبيئة" أو "بستنة؟ أو "استزراع" أو "توطين" علم النفس في العالم العربي.

المراجع العربية

- أبو حطب، فؤاد (1993). مشكلات علم النفس في العالم الثالث: حالة الوطن العربي . في : علم النفس وقضايا المجتمع المعاصر (9-31). الرباط : جامعة محمد الخامس .
- أبوحطب، فؤاد (1998). دور علم النفس في خدمة التنمية البشرية. ورقة قدمت للندوة العلمية الأولى لأقسام علم النفس بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية "علم النفس وآفاق التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي". كلية التربية ، جامعة قطر والمنعقدة في الفترة بين 11-13 أيار/ مايو 1998.
- أحرشاو، الغالي (1978) . مغربة رائز "وكسلر" وتعييره على طلبة الثانوي . فاس : مطبعة محمدالخامس .
- أحرشاو، الغالي (1994). واقع التجربة السيكولوجية في الوطن العربي. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- أحرشاو، الغالي (1995). الخصائص المعرفية للمحاولات السيكولوجية العربية. الثقافة النفسية، 6، 50-56.
- أدونيس (1983). الثابت والمتحول: بحث في الإتباع والإبداع عند العرب. بيروت: دار العودة
- بدري، مالك. (1989). مشكل أخصائيي النفس المسلمين. الخرطوم: شركة الفارابي للنشر.
- بركات، حليم (1984). المجتمع العربي المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بزاز، عبد الكريم (1991). علم الاجتماع في كتب التدريس - تحليل نقدي. المستقبل العربي، 4، 94-102.
- البسام، عبد العزيز (1965). العراق (ص. 394-371). في: نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مائة سنة. سلسلة العلوم الشرقية، الحلقة الثالثة والأربعون. بيروت: جامعة بيروت الأميركية.

- الحبابي، محمد عزيز (1987) . تعقيب 1. مجموعة مؤلفين : التراث وتحديات العصر في الوطن العربي. ص99-110. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- حجازي، مصطفى (1986). سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت : معهد الإنماء العربي.
- حجازي، مصطفى (1993). علم النفس في العالم العربي: من الواقع الراهن إلى المشروعية الوظيفية. في: علم النفس وقضايا المجتمع المعاصر (ص 33-57). الرباط: جامعة محمد الخامس.
- حجازي، مصطفى (1998). علم النفس والتنمية البشرية في دول الخليج العربية. ورقة قدمت للندوة العلمية الأولى لأقسام علم النفس بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية "علم النفس وآفاق التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي". كلية التربية ، جامعة قطر والمنعقدة في الفترة بين 11-13 أيار/ مايو 1998.
- حمزة، مختار (1982) . مبادئ علم النفس . جدة : دار البيان العربي .
- حنفي، حسن (1985). موقفنا الحضاري . المستقبل العربي ، 6 ، 61 -91 .
- حنفي، حسن (1987). هل يمكن تحليل "الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي" من منظور إقليمي وفي إطار نظري غربي استشراقي. مجلة العلوم الاجتماعية، 15، 311-325 .
- الخليفة، عمر (1998ا). ملامح علم نفس الحيوان في التراث العربي الإسلامي. المجلة العربية للعلوم، 7-97-110 .
- الخليفة، عمر (1998ب). معوقات نمو علم النفس في العالم العربي. ورقة قدمت للندوة العلمية الأولى لأقسام علم النفس بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية "علم النفس وآفاق التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي". كلية التربية ، جامعة قطر والمنعقدة في الفترة بين 11-13 أيار/ مايو 1998.
- الخليفة، عمر (1999ب). توطين علم النفس في العالم العربي. دراسة قيد النشر، مجلة جامعة أم القرى.
- الخليفة، عمر (1999د). علم النفس في اليابان: التأسيس العلمي والتوطين المتناغم. ورقة قدمت للنشر.
- الخليفة، عمر (2000). علم النفس والتحكم. عالم الفكر، 28، 295-365.

- دويدار، عبد الفتاح والنابلسي ، محمد (1995) . الكتاب النفسي وسياسة النشر . الثقافة النفسية ، 6، 128-131.
- دياب، لطفي (1965). لبنان (ص. 306-334). في: نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مئة سنة. سلسلة العلوم الشرقية، الحلقة الثالثة والأربعون. بيروت: جامعة بيروت الأميركية.
- راشد، رشدي (1985) . تاريخ العلم والعطاء العلمي في الوطن العربي . المستقبل العربي ، 11 ، 32 -46.
- الرميحي ، فؤاد (1991) . القدرات العلمية والتقنية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي. التعاون، 24، 13- 71 .
- زحلان، أنطوان (1981). العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- زحلان، أنطوان (1985). الإنتاج العلمي العربي. المستقبل العربي، 8، ص. 35.
- زحلان، أنطوان (1991). التحدي والاستجابة: مساهمة العلوم والتقانة العربية في تحديث الوطن العربي. المستقبل العربي ، 4، 4-17.
- زريق، قسطنطين (1987). النهج العصري: محتواه وهويته- إيجابياته وسلبياته. في: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (365-383). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- زيدان، يوسف (1996) . معهد المخطوطات العربية : معالم جديدة عن طريق المستقبل . مجلة معهد التراث التراث العربي، 40 ، 201 -214.
- زيعور، علي (1977). تحليل الذات العربية. بيروت: دار الطليعة.
- زيعور، علي ، في مقدمة المترجم: روكلن، موريس (1983). تاريخ علم النفس. بيروت: دار الأندلس.
- سعيد، محمد (1984). نظرية التبعية وتفسير تخلف الاقتصاديات العربية. مجموعة مؤلفين: التنمية العربية والواقع الراهن والمستقبل (ص. 133- 165). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

- سليمان، علي .، المليجي، حمدي .، وبديوي، احمد (1994) . مدخل في علم النفس . القاهرة : مكتبة عين شمس .
- سويف، مصطفى (1978). علم النفس الحديث: معالمه ونماذج من دراساته. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- شرابي، هشام (1990).النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الشيخ، عمر (1997). الكتاب الجامعي وتكنولوجيا المعلومات : نظرة مستقبلية . ورقة قدمت في ندوة الكتاب الجامعي حاضراً ومستقبلاً، والتي نظمتها كلية التربية في جامعة البحرين خلال الفترة 17-18 تشرين الثاني / نوفمبر 1997، البحرين.
- صديق، حسن .، ونصر، كتر (1995). الإصدارات النفسية العربية: دراسة تحليلية إحصائية . الثقافة النفسية ، 6، 137.
- ضاهر، مسعود (1996). المؤتمر العالمي الثاني حول: "منهجية البحث العلمي الغربي في العلوم الإنسانية والاجتماعية عن البلاد العربية وتركيا. المستقبل العربي، 8، 165-169.
- طه، الزبير (1990). أسس وملامح نظريات التعلم في التراث العربي الإسلامي. رسالة الخليج العربي، 11، 53-65.
- عاقل، فاخر (1965). سورية (ص. 335- 371) . في: نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مائة سنة. سلسلة العلوم الشرقية، حلقة الثالثة والأربعون. بيروت: جامعة بيروت الأميركية.
- عبد الخالق، أحمد (1991). أسس علم النفس. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الخالق، أحمد.، ودويدار، عبد الفتاح (1993). علم النفس أصوله ومبادئه. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية .
- عنصر، العياشي (1990). أزمة أم غياب علم الاجتماع . المستقبل العربي، 7 ، 37- 48.
- عيسى، محمد عبد الشفيع (1984). التبعية التكنولوجية في الوطن العربي: المفهوم العام والتطبيق العملي. المستقبل العربي، 3 ، 82 -97.
- غليون، برهان (1990). اغتيال العقل. الجزائر: موفم صاد.

- الفارس، عبد الرزاق (1993). السلاح والخبز: الإنفاق العسكري في الوطن العربي، 1970-1990. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فلوجل، ج (1988). علم النفس في مائة عام . نقله إلى العربية لطفي فطيم . بيروت : دار الطليعة .
- فهمي، محمود (1965). التنشئة الاجتماعية وذكاء أطفال الشيلك في جنوب السودان. في: لويس مليكة.
- قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية . ص 207-219. القاهرة: الدار الجامعية للطباعة والنشر.
- محرم، محمد رضا (1984). تعريب التكنولوجيا. المستقبل العربي، 6 ، 62- 81 .
- مراد ، يوسف (1965). مصر (ص. 427-491). في: نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مئة سنة. سلسلة العلوم الشرقية. الحلقة الثالثة والأربعون. بيروت: جامعة بيروت الأميركية.
- مزيان، محمد (1993). تحليل المعرفة النفسية إلى الدول غير المصنعة: حالة الجزائر. في: علم النفس وقضايا المجتمع المعاصر (ص 59- 68). الرباط: جامعة محمد الخامس .
- النابلسي، محمد (1995). نحو سيكولوجيا عربية. بيروت: دار الطليعة.
- النبهان، موسى و أبوحسان، زيدون (1996). البحث العلمي بين الضرورة والحصانة القومية. المستقبل العربي، 10، 99-107.
- النصر، علي سيف (1993). الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإنسانية، المستقبل العربي، 4 ، 116-132.
- هاني، عبد الرزاق وحماد، خليل (1996). المعوقات الاقتصادية والاجتماعية للبحث العلمي: دراسة وصفية قياسية لحالة من الجامعات الأردنية، المستقبل العربي، 10، 108-115.

المراجع الأجنبية

- Abu Hatab, F. (1992). Egypt. In V. Sexton, & J. Hogan, (Eds.). International psychology: Views from around the world. Lincoln: University of Nebraska Press.
- Ahmed, R., & Gielen, U. (1998). Psychology in the Arab countries. Menoufia: Menoufia University Press.
- Badri. M. (1979). The dilemma of Muslim psychologists. London: MWH Publisher.
- Byrne, D. (1971). The attraction paradigm. New York: Academic Press.
- Jahoda, G. (1980). Has social psychology a distinct contribution to make. Paper presented at the Conference on Social Psychology at the developing countries, University of Lancaster, Lancaster, UK.
- Kandel, D. (1978). Similarity in real- life adolescent friendship pairs. Journal of Personality and Social Psychology, 31, 306-311.
- Khaleefa, O. (1999). Research on creativity, intelligence and giftedness: The case of the Arab world. Gifted and Talented International. In press for Vol. 14, 1999.
- Khaleefa, O. (1997a). The predicament of Euro-American psychology in a nonwestern culture. World Psychology, 3, 29-64.
- Khaleefa, O. (1997b). The imperialism of Euro-American psychology in a non -Western culture. The American Journal of Islamic Social Sciences, 14, 44-69.
- King, D. (1984). Psychology in the Arab Republic of Egypt. International Psychologist, 25, 7-8.
- Leung., K.,& Zhang, J. (1995). Systematic consideration of factor facilitating and impeding the development of psychology in developing countries. International Journal of Psychology, 30, 693-706.
- Martin, S. (October, 1999). Psychologists in Arab countries face daunting challenges. APA Monitor, 29, 49.
- Mazrui, A. (1985). Africa and the search for a new international technological order. In P. Ndegwa, L. Murethi., & R. Green (Eds.). Development options for Africa in the 1980s and beyond (pp. 177-185). Nairobi: Oxford University Press.

- Moghaddam, F., & Taylor, D. (1985). Psychology in the developing world: An evaluation through the concepts of dual perception and parallel growth. American Psychologist, 40, 1144-1146.
- Moghaddam, F., Taylor, D., & Wright, S. (1993). Social psychology in cross -cultural perspective. New York: W. H. Freeman and Company.
- Rosenzweig, M. (1994). The diverse origins and the development of psychology in the USA. International Journal of Psychology, 29, 739-756.

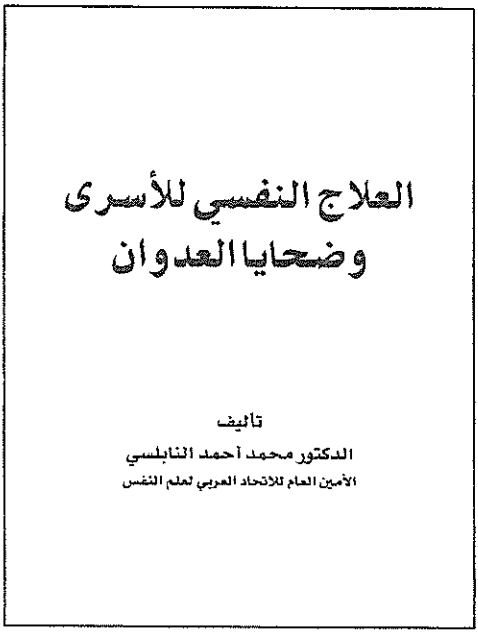

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعا في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في هذا المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

يطلب من مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية (إصدار عام 2001).

قضايا من المجتمع العربي

البروفسور قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

البروفسور قدري حفني من أوائل علماء النفس العرب المهتمين بعلم النفس السياسي، وهو اختار موضوع الشخصية الإسرائيلية عنواناً لموضوع أطروحته للماجستير. وهو يوالي كتاباته موظفاً الإختصاص لخدمة جهود التوعية في مجتمعاتنا العربية. وبما أن قدري يكتب في السياسة، فإن لك أن تقبل مقارباته العلمية، أو تعارضه، أو تناقشها. ما نؤكده أن البروفسور قدري شديد الإحترام للرأي الآخر، وهو بالغ الأناقة في معارضته له. من هنا تشجيعنا للقراء الأعزاء على مناقشة طروحاته وآرائه المنشورة في هذه العدد، والمتوزعة على المواضيع التالية:

- هل يمكن قتل الأفكار.
- مخاطرجمود الأفكار[1].
- الدعوة إلى احترام العقائد.
- صناعة صورة العدو.
- صيحة تحذير.

[1] الأهرام، 1 حزيران/ يونيو 2006.

هل يمكن قتل الأفكار

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

كثيرة هي الأفكار التي تستفز وتهدد مشاعرنا الشخصية، أو الوطنية، أو الدينية، أو الإنسانية. وكثيراً ما ينتابنا الغضب، ونتمنى لو لم تكن تلك الأفكار قد وجدت طريقها للتعبير أصلاً، ومن الطبيعي أن تتجه غضبتنا إلى من يحملون تلك الأفكار المستفزة، بحثاً عن سبيل للقضاء على ذلك التهديد؛ ونكون آنذاك حيال أحد سبيلين:

الأول: أن نقوم بتفنيد هذه الأفكار، ومناقشة أصحابها علناً، سعياً لإقناعهم، وتحصيناً لأنفسنا ولغيرنا من غوايتهم؛ وهو الأمر الذي يتطلب أن نكون أولاً على يقين من تماسك وصحة أفكارنا، وعلى يقين كذلك من قدرتنا على الدفاع عنها، فضلاً عن اكتسابنا مهارات الحوار اللازمة، وكلها أمور تحتاج جهداً في دراسة أفكارنا، ودراسة أفكار الآخرين أيضاً، والقبول بعرضهم العلني لأفكارهم.

الثاني: أن نوفر على أنفسنا كل ذلك العناء، ونختصر الطريق بإقامة سدود التحريم والتجريم للحيلولة دون انتشار تلك الأفكار، متخلصين من ضجيج الحوار وتجاوزاته؛ فإذا ما اكتشفنا استحالة ذلك؛ فلنحاول التخلص ممن يحملون تلك الأفكار، مؤملين أن تختفي الفكرة باختفاء أصحابها.

ويكفي أن نتأمل التاريخ ليتضح لنا أن المؤسسات، والنظم، والتنظيمات، لا بد وأن تنتهي يوماً، بل ويمكن إنهاؤها عمداً، وأن الأفراد جميعاً إلى زوال، أما الأفكار فإنها تتجدد وتتطور، ولا تفنى أبداً طالما استمر الوجود البشري. قد تجمد أفكار وتنغلق، وقد يعلو صراخها، أو يخفت همسها، لكنها أبداً لا تموت حتى ولو مات أصحابها، أو قتلوا، أو غيبوا وراء الأسوار. تتساوى في ذلك أشد الأفكار سخفاً مع أكثرها رقياً؛ تستوي في ذلك العقائد الدينية والوثنية والإلحادية، والأفكار النازية والشيوعية والصهيونيّة والاشتراكيّة....إلى آخره. الأفعال ترتبط بحياة أصحابها، وتنتهي بموتهم، والمؤسسات تنتهي بانتهاء الحاجة إليها، أو بتدهور أدائها؛ أما الأفكار فما دامت قد خرجت من أفواه أصحابها، أو من أقلامهم، فإنها تظل باقية حتى لو طال احتجابها.

رغم تلك الحقيقة العلمية التاريخية المؤكدة، فإن الكثيرين ما زالوا يتوهمون إمكانية اجتثاث الأفكار التي تهددهم من جذورها، لاجئين إلى إقامة السدود في وجهها، على أمل خنقها، فإذا ما صدمتهم حقيقة استحالة ذلك، وأن انتشار الأفكار المنوعة يتضاعف، ومصداقيتها تتزايد، لجأوا إلى تجريم من يفصح عنها، متجاهلين حقيقة أن حظر التعبير عن

فكرة معينة يزيد من انتشارها ويكسبها مزيداً من المصداقية، ويكفل تسللها إلى العقول دون مقاومة أو تفنيد؛ وأن قتل أو عقاب حملة تلك الأفكار يجعل منهم رموزاً عصية على الفناء، ويحيط تلك الأفكار بهالة من الاحترام والقداسة قد لا تستحقها.

لقد مارس البشر على مدى التاريخ محاولات الإبادة الفردية و الجماعية لأصحاب الأفكار المرفوضة من المحارق الهتلرية، إلى المنافي السوفييتية، فضلاً عن معسكرات التعذيب في العديد من الدول. شهدنا إعدام آلاف المهرطقين والمرتدين والزنادقة من المسيحيين والمسلمين واليهود. شهدنا قتل حسن البنا، وشهدي عطية الشافعي، وسيد قطب، وفريد حداد، وأبو جهاد، وسلام عادل، وعبد الخالق محجوب، وفرج فوده، وعبدالقادر عودة، وفرج الله الحلو، وأحمد ياسين وجيفارا وغيرهم كثيرون.

ألم يسأل أحد نفسه، ترى هل انتهت أي من الأفكار التي جسدها هؤلاء؟ ألم يواجه أحد نفسه بحقيقة أن التعذيب والقتل يولد فكراً وممارسة أشد عنفاً؟ ألم تخرج الصهيونية من رحم معاداة اليهود والمحارق النازية؟ ألم تسهم منافي سيبيريا في انهيار الاتحاد السوفييتي في النهاية؟ ألم يخرج فكر سيد قطب، ثم فكر أيمن الظواهري من رحم معسكرات التعذيب؟ هل انتهى الفكر الشيوعي بمقتل شهدي والحلو وحداد وجيفارا؟ هل انتهت الأفكار المجترئة على الأديان بالتخلص من آلاف المهرطقين والمرتدين والكفرة والزنادقة؟ هل انتهى الفكر المقاوم الفلسطيني باختفاء ياسين وأبي جهاد و رفاقهم؟

إن تعرض الأفكار للتداول المفتوح في الشمس و الهواء هو السبيل الأوحد لفرزها بحيث تذبل وتتوارى الأفكار غير القابلة للحياة، وتبقى في ساحة الصراع الفكري تلك الأفكار القادرة على البقاء. إن محاولة الحفاظ على فكرة معينة، وإبقاءها بعيداً عن التفنيد بحجة حمايتها من تهجمات وتجاوزات الآخرين أشبه بالاحتفاظ بجسد ميت موصول بأجهزة التنفس الصناعي، ما أن تتوقف تلك الأجهزة الصناعية عن عملها حتى يدب إليه العفن، وهي لا بد متوقفة يوماً وإن طال الزمن.

ترى ألم يحن الوقت بعد لندرك أن الحماية الحقيقية لأفكارنا ومعتقداتنا الدينية والسياسية والاقتصادية على حد سواء، إنما تتمثل في تعريضها للهواء والشمس، والدفاع عنها فكرياً حيال نقد الآخرين لها مهما كان التجاوز والاجتراء؟ ألم يحن الوقت بعد للتسليم بحقيقة أن العنف مهما كانت مبرراته لم ينجح قط في حماية أية فكرة مهما كانت قداستها؟ ألم يحن الوقت بعد للتسليم بأنه مهما بلغ يقيننا بصحة أفكارنا، فإن ذلك اليقين لا يكفي وحده للحفاظ عليها، وازدهارها ؟

أخشى أن يسرقنا الوقت، فقد تأخرنا كثيراً، ولكن الأمل لا ينتهي أبداً.

مخاطر جمود الأفكار

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

منذ أعوام طويلة اجتذبني الفكر الماركسي كما اجتذبني قبله فكر الإخوان المسلمين، وكنت بيقين الشباب وحماسهم أؤمن أنني بأفكاري، سواء كانت إخوانية، أو ماركسية، أمثل الشعب المصري، أو إذا ما التزمت جانب التواضع، فإنها تمثل غالبية هذا الشعب.

وما زلت أذكر مساء الأول من آب/ أغسطس عام 1960 بعد أن تمت تصفية معسكر التعذيب في أوردي ليمان أبو زعبل لتنقلنا سيارات الترحيلات إلى معتقل الواحات. اخترقت السيارة وسط القاهرة. وكان بوسعنا أن ننظر من فجوات نوافذ السيارة إلى شوارع القاهرة التي كان يخيم عليها المساء، وهناك من يسيرون هنا وهناك، وثمة أضواء تلمع داخل المنازل، حيث يمكن أن نلمح مظاهر الحياة تمضي في هدوء كأن شيئاً لم يحدث.

كانت جلستي في السيارة إلى جوار الصديق الراحل فيليب جلاب الذي أصبح صحفياً ونقابياً معروفاً بعد ذلك، وتهامسنا متسائلين: أين تلك الجماهير التي ضحينا ونضحي من أجلها؟ ولماذا تبدو لامبالية إلى هذا الحد؟ وظل ذلك التساؤل يؤرقني، وربما يؤرق غيري طوال 1383 يوماً قضيتها متنقلاً بين المعتقلات.

كان تفسيري لذلك الصمت الجماهيري آنذاك هو أن السلطة قد تمكنت من تزييف وعي الجماهير، بحيث لم تعد تعي مصالحها الحقيقية، أو أنها نجحت في إثارة الرعب لدى الجماهير، بحيث أرغمتها على الصمت.

ولم يرد إلى الذهن في ذلك الزمن البعيد أن اتهام الجماهير بالغفلة، أو الجبن، إنما يعني التسليم بأن أفكاري لا تعبر سوى عن نخبة بعيدة عن مشاعر و أفكار تلك الجماهير، ولم يخطر على البال قط أننا ربما أخطأنا في قراءتنا للواقع الاجتماعي المصري، أو لعلنا أخطأنا في اختيار النغمة الصحيحة لمخاطبة الجماهير، أو لعل الجماهير لا ترى فينا أننا نمثلها حقاً.

عجزت طوال تلك الأيام عن إعادة النظر في أفكاري، و ربما يرجع ذلك إلى حقيقة تؤكدها دراسات علم النفس السياسي، مؤداها أن نقد الذات تحت سياط التعذيب يهدد بانهيار هوية الضحية إلا لمن أوتي صلابة تفوق قدرة البشر، ولم أكن بحال من هؤلاء.

ربما ثمة علاقة بين كل ما سبق، وعنوان أطروحة الماجستير التي أنجزتها بعد ذلك، وكان موضوعها يتعلق بالجمود الإدراكي، حيث أتيحت لي إطلالة عميقة على تراث علم النفس المتعلق بالموضوع، وكيف أن التمسك بأنماط محددة من التفكير قد تحكم في أبناء بعض الحضارات القديمة، مما أدى إلى إعاقة اكتشافهم لأنماط أبسط وأكثر كفاءة في التعامل مع بعض ما واجههم من مشكلات.

استرجعت كل ذلك، وأنا أشهد ما يجري اليوم على ساحتنا السياسية: العديد من شرفاء المثقفين، أفراداً، وجماعات يملؤهم حب الوطن، والإخلاص له، و يحلمون له بمستقبل أفضل، ويرصدون قائمة حقيقية من السلبيات التي يحفل بها هذا الوطن، وتعاني منها الجماهير، وينتهون إلى نتيجة مؤداها أننا نعاني من مشكلات تكاد تشمل كافة مجالات حياتنا، من الرياضة، إلى التعليم، إلى الفساد، إلى الغلاء، إلى ما لا نهاية له من السلبيات، ويتوقعون أن يكون الشعب في حالة غليان لا ينقصه سوى طليعة مخلصة شجاعة تمضي به، ومعه إلى مستقبل أفضل. وتفاجأ تلك الطلائع المثقفة المخلصة بافتقاد الزخم الجماهيري الذي توقعته، ويجتهد الجميع في البحث عن سبب يفسر ذلك، فلا يجد البعض أمامهم سوى إدانة السلطة بالتضليل والقهر واتهام الجماهير بالغفلة والجبن، والاستكانة للظلم، والاستسلام للفساد والمفسدين. القصة القديمة نفسها تكاد تتكرر.

ويبقى سؤال ينبغي أن تبحث له تلك الطلائع عن إجابة: ترى إلى أين يؤدي بنا ذلك التفسير؟ ماهو الموقف من جماهير استسلمت للقهر طوعاً أو كرهاً، وأولت ظهرها لمصالحها، وللسلطة وللمعارضة على حد سواء؟ السيناريوهات المتاحة تبدو محدودة:

السيناريو الأول: الرهان على قوة خارجية تقوم قسراً بمهمة التغيير، وأمامنا تطبيقات عملية لذلك في العراق وأفغانستان.

السيناريو الثاني: الرهان على قوة داخلية مسلحة تنتزع السلطة بالقوة لتقوم بالمهمة المطلوبة، وتطبيقات هذا السيناريو، وما أفرزته من قيادات مازالت ماثلة في ذاكرتنا من عبدالناصر إلى الأسد إلى صدام حسين إلى القذافي.

السيناريو الثالث: أن يقدم الجميع على مراجعة موقفهم الفكرية دون تعال على الجماهير، فقد يكون الخطأ في قراءة واقعها الاجتماعي، أو في طبيعة الخطاب الموجه إليها.

غني عن البيان أن ذلك السيناريو الأخير يحتاج قدراً كبيراً من الشجاعة والصبر والتواضع، ولذلك فإنه قد لا يكون السيناريو المفضل، سواء لدي تلك الطلائع المحتجة، أو لدى المدافعين

عن النظام القائم؛ ولكنه في النهاية هو السيناريو الوحيد الذي يمكن أن يجنب الجميع مخاطر الفوضي والقهر والعسكرة والتدخل الأجنبي، وهي مخاطر لا قبل لأحد بتحمل نتائجها.

الدعوة إلى احترام العقائد

أ.د. قدري حفني

تتصاعد هذه الأيام دعوة لسن تشريع دولي يجرم انتهاك العقائد ويلزم الكافة باحترامها، وأظن أن مثل تلك الدعوة التي لاشك في نبلها، فضلاً عن ضرورتها، تطرح علينا عدداً من التساؤلات:

هل تقتصر الدعوة على احترام عقائد أصحاب الديانات السماوية الثلاث فحسب؟ أم تشمل العقائد الدينية جميعاً؟ أم تتسع لتشمل تلك العقائد التي تعتبر منحرفة أو منشقة عن دين سماوي؟ أم أنها يمكن أن تزداد اتساعاً لتشمل العقائد الفكرية جميعاً، ومنها بداهة ما قد يتعارض مع الأديان جميعاً؟.

ما المقصود باحترام عقائد الآخرين؟ هل المقصود هو عدم إيذاء مشاعرهم العقائدية؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هي الحدود بين ما أعتبره مجرد تعبير علني عن عقائد الآخرين، وما أعتبره اجتراء على عقيدتي؟ هل يمكن أن نتصور خطاباً دينياً، أياً كان، لايتضمن دعوة للدخول في هذا الدين باعتباره الدين الأفضل؟ ماهو الخط الفاصل لاعتبار مثل هذا الخطاب قد تجاوز حدوده وأصبح مؤذياً لمشاعر الآخرين العقائدية؟ هل استماعي مثلاً لفكرة تأليه السيد المسيح باعتباره ابن الله يدخل في نطاق إيذاء مشاعري كمسلم؟ وهل تأكيد الخطاب الإسلامي على نفي تلك الألوهية يعتبر إيذاء لمشاعر المسيحيين؟ وهل المطلوب إذن أن يقوم دعاة كل دين بتنقية خطابهم الديني مما يعتبره الآخرون جرحاً لعقائدهم حتى لو اقتضت تلك التنقية حذفاً لأركان أساسية من العقيدة الدينية لكل طرف؟

هل التوسع في إقامة الكنائس، وارتفاع أصوات التراتيل والقداس والأجراس يجرح مشاعرنا كمسلمين، مما يقتضي وضع الضوابط لبناء تلك الكنائس باعتباره التزاماً إسلامياً واجباً؟ هل ارتفاع مكبرات الصوت بالأذان وبخطبة الجمعة يجرح المشاعر العقائدية المسيحية، ومن ثم ينبغي البحث عن حل يتلافى مثل ذلك الجرح؟ هل رؤية الصلبان والمآذن يمكن أن تثير حرجاً دينياً؟ هل المطلوب أن تصمت أصوات الآذان ودقات الأجراس وخطب صلاة الجمعة

والتراتيل الكنسية، وأن تختفي المآذن وأبراج الكنائس؟ أم أن المطلوب تنظيم استخدام مكبرات الصوت عامة، وتنظيم بناء دور العبادة كإجراءات قانونية مدنية؟

هل يمكن للخروج من المأزق تبني خطابين، خطاب هامس يتداوله الأتباع والمريدون بحيث لايتجاوز حدود المساجد والكنائس، وخطاب مسموع ينتج خصيصاً للتصدير، ويوجه للجميع، ملتزماً بتجنب إيذاء المشاعر العقائدية للجميع؟ ألا يتعارض ذلك مع جوهر الديانات العالمية التي يحمل أتباعها مهمة إبلاغ رسالتها للناس جميعاً؟؟ وفضلاً عن ذلك فإن الأمر برمته مستحيل التنفيذ عملياً في عالم لم يعد فيه مكان أو إمكانية لازدواجية الخطاب الإعلامي.

هل من الممكن مثلاً إغلاق مصادر التشكيك في العقائد بتحريم الاطلاع على الفكر العقائدي للآخرين، فإذا لم يكن بد من التعرف على عقائد الآخرين فليكن من خلال عرضها من وجهة نظر الفكر المقابل فنتعرف مثلاً على الفكر المسيحي من خلال الكتابات الإسلامية، ويتعرف المسيحيون على الفكر الإسلامي من خلال كتابات مسيحية، ولكن هل مازال ذلك ممكناً في عالم اليوم، حيث يستطيع الجميع بث وتلقي جميع ألوان الطيف من دعوات تبشر وتدعو لجميع العقائد والمعتقدات على مختلف الأقمار الصناعية، فضلاً عن الإنترنت؟

هل يمكن الاحتكام إلى ديانة غالبية سكان الدولة، بحيث يقبل الجميع بخفوت الصوت الإسلامي في الدول ذات الغالبية المسيحية، وخفوت الصوت المسيحي في الدول ذات الغالبية الإسلامية؟

ألم يحن الوقت بعد لوضع حد للفزع من إمكانية تأثير الدعايات المضادة على ثبات العقيدة الدينية، رغم حقيقة أن انفتاح السماوات الإعلامية جعل الجميع يجادل الجميع في كل شيء بلا حدود، دون أن تحدث كارثة عقائدية لأي طرف؟ ألم يحن الوقت بعد للتسليم بحقيقة أنه مهما كان حجم الإغواء والتهديد فسوف تظل الغالبية الغالبة من المسلمين والمسيحيين في بلادنا على ديانتهم، وأنه لو وجدت في مصر مليون بعثة تبشيرية مسيحية، أو مليون جماعة إسلامية تدعو المسيحيين إلى الإسلام فلن يتغير من جوهر الأمر شيء؟ هل لنا أن نفكر في حماية عقائدنا بأسلوب جديد يضمن الحفاظ على العقيدة في ظل تعرض لا مفر منه لفكر مناقض لها بأن نربي أطفالنا وندرب أنفسنا أيضاً على التسليم بأننا لسنا وحدنا في هذا العالم، وأن مجموعنا نحن المؤمنين بالديانات السماوية الثلاث لايتجاوز نصف البشر، حيث يبلغ عدد المسلمين حوالي المليار، ويعتنق المسيحية حوالي المليارين، إلى جانب عدة ملايين من اليهود، ويبقى مايزيد على ثلاثة مليارات من غير المؤمنين، وأن مقياس الأفضلية هو أن نكون القدوة للآخرين في الخلق والعلم والسلوك؟

وأخيراً، علينا أن نتفق أولاً في ما بيننا على ملامح ما ندعو إليه، وأن نعلنه على الملأ، وأن نمارسه عملياً، لنكون بمثابة القدوة للآخرين سعياً نحو عالم يسوده احترام حقيقي ومتبادل للعقائد جميعاً، وإلا فسوف تكون السيادة لقانون الغابة، بحيث يفرض الطرف الأقوى رؤيته على الجميع.

صناعة صورة العدو

أ.د. قدري حفني

يبرز تراث علم النفس السياسي الدور الذي يمكن أن يلعبه التحدي الخارجي في ضمان تماسك الجماعات، ولم يكن غريباً إذن أن تقوم أجهزة الإعلام والاستخبارات بما يطلق عليه صناعة صورة العدو لدفع جماعة معينة للتماسك في مواجهة تحد خارجي، أو يدفعها للتناحر والتفكك بتصوير أن التهديد قادم من فريق آخر من أبناء الجماعة، أو باصطناع عدو جديد يسحب الأضواء بعيداً عن مصدر التهديد الواقعي لجماعة، وغني عن البيان أنه يصعب إيجاد صورة من فراغ، ولذا فإن صناع تلك الصور يتقنون صناعتهم مستغلين أحداثاً واقعية ليسوا هم صناعها بالضرورة.

لقد لعبت صناعة صورة العدو النازي المتوحش الذي يهدد الدول الديمقراطية دوراً بارزاً في تماسك دول الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، وما إن انتهت تلك الحرب، وانقسم معسكر المنتصرين إلى معسكرين، حتى تبلورت صورة العدو الشيوعي الديكتاتوري الملحد في مقابل العدو الرأسمالي الاستغلالي، واستمر صراع الصورتين طوال الحرب الباردة إلى أن سقط الاتحاد السوفييتي، ومع بزوغ عصر القطب الأميركي الواحد بدأت مرحلة جديدة في صناعة صورة العدو.

ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا إن صناعة تلك الصورة الجديدة قد أثرت على مجريات الأمور في منطقتنا العربية أشد التأثير.

لقد كانت صورة التحدي الخارجي الذي يهددنا تتمثل في أنه تهديد إسرائيلي صهيوني تدعمه الولايات المتحدة الأميركية. وظلت تلك الصورة قائمة بدرجة أو بأخرى حتى بعد توقيع اتفاقيات السلام العربية الإسرائيلية، وفي مقابل تلك الصورة العربية لمصدر التهديد، كانت ثمة صورة إسرائيلية أميركية لمصدر التهديد لدولة إسرائيل تتجسد ملامحها في أنه تهديد عربي

إسلامي يلقى مساندة من الاتحاد السوفييتي، ويهدف إلى إبادة إسرائيل والشعب اليهودي، فضلاً عن تهديد المصالح الأميركية.

واستمر الأمر كذلك إلى أن قام نوع من التحالف الإسرائيلي الأميركي لقتال الاتحاد السوفييتي الملحد في أفغانستان، وكان طبيعياً أن يرتكز الترويج لذلك التحالف على ترسيخ الهوية الإسلامية واحتلالها الصدارة بين المسلمين على اختلاف انتماءات الوطنية، ومنها الانتماء العربي.

وصاحب ذلك تصاعد الاتجاهات الأصولية الإسلامية، دافعة بالانتماء الاسلامي ليعلو غيره من الانتماءات الوطنية القومية، حتى كاد يصبح الصراع الفلسطيني الإسرائيلي صراعاً إسلامياً يهودياً، وتوارت تعبيرات الإسرائيليين والصهاينة ليحل محلها تعبير اليهود، واختفى تماماً تعبير العمليات الفدائية ليحل محله تعبير العمليات الاستشهادية، وما يحمله ذلك التعبير من دلالات.

وعلى إثر انهيار الاتحاد السوفيتي، وانفراط عقد التحالف الإسلامي الجهادي الأميركي، بدأت صناعة صورة جديدة للعدو الذي يهدد الإمبراطورية الأميركية، ومن ثم دولة إسرائيل، وكانت أهم ملامح ذلك التهديد الجديد، خاصة بعد أحداث11 أيلول/سبتمبر، إنه عدو إسلامي العقيدة، شرقي الملامح يجمع بين التعصب والتخلف والدموية، في مقابل صورة أصولية إسلامية ترى العدو أميركياً صليبياً يستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، ويبدو أن تلك الصورة الأخيرة كانت في حاجة لإدخال بعض الرتوش.

وتتالت الأحداث كما لو كانت تجري وفق سيناريو محكم، بعد أن تم تجهيز المسرح للخطوة التالية، وكانت واقعة الرسوم الكاريكاتيرية الدنماركية هي البداية التي أشعلت غضبة العالم الإسلامي، لم يكن مصدر تلك الرسوم أميركياً، ولا إسرائيلياً ولا صهيونياً، ولا حتى يهودياً، بل أوروبياً ليبرالياً معادياً للعقيدة الإسلامية، ولم يكن غربياً، والأمر كذلك، أن تتجه غضبتنا إلى تلك الليبرالية الأوروبية التي تطلق العنان لحرية التعبير دون ضوابط لتنال من عقيدتنا، ولم يكن غريباً أيضاً أن تتجه غضبة الجماهير المسلمة في فلسطين بوتقة الصراع إلى مقر الاتحاد الأوروبي.

وطالما أن ذلك العدو الأوروبي يستهدف الإسلام، وطالما أن الغالبية العظمى من الأوروبيين يدينون بالمسيحية، فليس من المستبعد في ظل علو انتمائنا الإسلامي على غيره من الانتماءات أن تتزايد حساسيتنا كعرب مسلمين تجاه المسيحيين العرب، وأن نستدرج جميعاً إلى تقسيم المنطقة العربية وفقاً للانتماءات الدينية للسكان، لعل تأمل ما يجري في العراق وفلسطين ولبنان، بل وحتى في مصر كفيل باستشراف المستقبل الذي نندفع، أو ندفع إليه دفعاً.

وطالما أن تلك السهام الموجهة إلى مقدساتنا قد انطلقت من ذلك المناخ الليبرالي الأوروبي الذي يعجز فيه رئيس الدولة عن كبح جماح صحيفة تتجاوز الحدود، فالأجدر بنا إذن أن نغلق أبواب تلك الدعوات المشبوهة للمزيد من الليبرالية في بلادنا.

الشواهد حولنا، وبيننا، تفيض عن الحصر، ولا تغيب عن فطنة اللبيب، وكلها تتوالى في اتجاه التحذير من الانفلات الليبرالي، ومن الاجتراء على المقدسات الدينية، ومن الضيق بالآخر المختلف عقائدياً. إن صناعة الصورة، أو صطناعها، ليست بحال قدراً لا يمكن دفعه أو التصدي له، مازالت أمامنا الفرصة متاحة، ولو شئنا لصياغة الصورة واقعية لما يتهددنا، ولطبيعة التحدي الحضاري الذي يواجهنا، وهي مهمة ليست باليسيرة، وتتطلب تكاتف جهودنا جميعاً.

صيحة تحذير

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

حين طالعتني الأنباء بما جرى من اعتداء على كنائس في الإسكندرية، تنازعتني أحاسيس مختلطة من الفزع والألم، وسرعان ما سادني شعور غلاب بالخجل، و لكني لم أحس قط بالمفاجأة.

ما حدث أمر متوقع، وتكراره متوقع كذلك، طالما استمر أداؤنا كما هو: تأويل يزداد تشدداً للنصوص الدينية المقدسة. غموض يكاد يكون تاماً في ما يتعلق بالتحديد الدقيق لتفسير نرتضيه جميعاً للمقصود باحترام العقائد. تقديس للعنف يكاد يشمل كافة نواحي حياتنا. نفور من أية دعوة للاعتدال والسلام، باعتبارها دعوة حكومية مشبوهة متخاذلة، حتى لو صدرت من رجال الدين. إعلاء للانتماء الديني على كافة الانتماءات، بما فيها الانتماء الوطني. سيل من العبارات المحفوظة، المعدة سلفاً للاستخدام المكثف عند حدوث كارثة لتأكيد ما نتمتع به من تسامح ديني متبادل يضرب بجذوره عبر تاريخنا الممتد، وفي أعماق عقائدنا الدينية، ولا بأس من تبادل القبلات وتركيز الكاميرات على العمائم السوداء والبيضاء، ورواية حكايات شخصية وتاريخية لا حصر لها عن المحبة الراسخة بين المسيحيين والمسلمين، واسترجاع نصوص دينية تكاد لا تذكر إلا في تلك المناسبات تحذر من إيذاء الذميين والمعاهدين، وتؤكد أن الدعوة الدينية الصحيحة لا تعرف العنف ولا الإكراه. ولا بأس في النهاية من اعتبار ما حدث مجرد

حادث فردي صدر عن شخص مخبول. وتنتهي الضجة لنعود كما كنا بالضبط نستعد لجني ثمار حدث جديد من أحداث الفتنة الطائفية.

إن ما يحدث منذ سنوات، وما حدث بالأمس القريب، قابل للتكرار طالما لم نصارح أنفسنا بداية أنه ليس حادثاً فردياً، حتى لو كان كذلك من الناحية الجنائية القانونية. إن مرتكبي مثل تلك الجرائم، حتى لو كانوا أفراداً لا تجمعهم رابطة القصد الجنائي، فإن ما يجمعهم أمر أعمق وأخطر من ذلك بكثير. إنه المناخ الفكري النفسي العام الذي يسود حياتنا. إنه المناخ الفكري الذي أفرز ذلك العامل البسيط الذي حاول قتل نجيب محفوظ. إنه المناخ الفكري الذي كاد أن يحرق القاهرة احتجاجاً على رواية تافهة اسمها وليمة أعشاب، التي احتفل بعض شبابنا مؤخراً بمرور عام على "انتفاضتهم". إنه المناخ الفكري الذي أفرز الحوادث "الإرهابية" التي عانينا منها طويلاً.

لقد كتب الكثيرون يحذرون من أن المواجهات الأمنية –رغم ضرورتها- لا يمكن وحدها أن تقضي على الأفكار، بل لعله لو لم تصاحبها مواجهة فكرية شجاعة مستمرة فإن ذلك قد يؤدي إلى إفراز أفكار وممارسات أشد تطرفاً وخطراً. كل ذلك قيل، ولكن كما لو كان أيضاً "كلام مناسبات".

أخشى أن يمضي ذلك الحدث الإجرامي، وتنتهي احتفالاتنا الموسمية بأمثاله، ونعود لنستغرق في الاستسلام اللذيذ لمتانة وحدتنا الوطنية. ذلك هو مصدر فزعي.

أما الخجل الذي يتملكني، وأنا أكتب هذه الكلمات، فمرجعه إلى عدد من الحقائق:

الحقيقة الأولى أنني مسلم أعتز بإسلامي، كما أفهمه إسلاماً متسامحاً متعايشاً ودوداً علمياً، ينفر من العنف والخرافة.

الحقيقة الثانية أنني مصري أولاً، ولا أجد تعارضاً بين ذلك وبين كوني مسلماً أعتز بإسلامي كما أفهمه. ولذلك فإنني لا أملك أن أتصل من انتماء مرتكب تلك الجريمة البشعة إلى الإسلام، وإلى مصر. إنه في النهاية شاب مصري مسلم، استجاب للمناخ الذي ساهمنا جميعاً في صياغته وتعميق جذوره. لا يخفف من ذلك أنني وغيري حاولنا السباحة ضد التيار، ولكن محاولاتنا لم تؤد إلى النتيجة المرجوة، وهو الأمر الذي يغمرني بالخجل.

إنني أرى الحاضر مشحوناً متوتراً، والنار لم تعد كامنة تحت الرماد فحسب، بل ألسنة اللهيب تتصاعد شيئاً فشيئاً. ترى هل حذرت؟ اللهم فاشهد. اللهم فاشهد. اللهم فاشهد.

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان – ص.ب 3062 التل / فاكس 961-6-438925 هاتف961-6-441805

- أصول الفحص النفسي ومبادئه
- قراءات مختلفة للشخصية – تحليل لشخصيات (نجيب محفوظ)
- الدليل النفسي العربي
- النفس المغلولة (سيكولوجية السياسة الإسرائيلية)
- يهود يكرهون أنفسهم – محاكم التفتيش الصهيونية بين معاداة السامية ولاسامية الأنا
- التحليل النفسي للرئيس الأميركي وودرو ولسون

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

WWW.Psychiatre- naboulsi.com

العطاء والرمز وعظمة الرجال*

أ. د عبد الستار إبراهيم

مقدمة:

دعوني بادئ ذي بدء أتقدم لكم بالشكر على هذه الدعوة الرقيقة، وعلى منحي شرف هذا اللقاء، وعلى مابذله بشكل خاص الصديق الزميل الأستاذ الدكتور عبدالله عسكر، ولكل ما بذله من جهد لجعل هذا اللقاء ممكناً بهذه الصورة المشرفة. إنه لشرف عظيم بحق أن أحظى منكم بهذه الثقة، خاصة وأنها في ذكرى أستاذنا الجليل مصطفى زيور. وسعادتي في واقع الأمر تنطلق من مصدرين، أولهما أنكم منحتموني فرصة التعبير عن مشاعري، والاحتفال بذكرى الراحل الجليل، أما المصدر الآخر لسعادتي أن هذا الاحتفال يمثل لي احتفالاً آخر بلقائي بكم : أصدقاء وزملاء وأساتذة ممن أكن لهم مودة وحباً في القلب من القلب.

وأصارحكم بأنني تحيرت في اختياري لعنوان مناسب لكلمتي معكم هذا المساء: أسميتها في البداية- مع الاعتذار للكاتب والأديب القدير إبراهيم عبد القادر المازني- "عود على بدء"، لكنني أدركت ما في هذا العنوان من خطأ منطقي، فالعقل لا يعود مطلقاً للبداية، لم أعد للبداية، وكيف للفكر أن يعود لما بدأ، وهاهم فلاسفة الفكر قد علمونا منذ العصور اليونانية السحيقة أن الإنسان لا ينزل البحر مرتين، وها هو المفكر الأميركي "أو ليفر هولمز"، يقول مؤيداً ذلك: إذا أتيحت للعقل فرصة الاطلاع على فكر جديد، يصبح من المستحيل عليه أن يعود بعدها إلى ما كان عليه في السابق." ثم فكرت في عنوان آخر: "عودة الإبن الضال"، ولكن بعدي في حقيقة الأمر عن مصر، وعن هذا المكان، لم يكن ضلالاً، بل كان عن إخلاص

---

* - محاضرة ألقيت في الجمعية المصرية للتحليل النفسي في ذكرى مصطفى زيور بتاريخ الجمعة 31 من شهر آذار/مارس 2006

لنفس ما تعلمناه من الراحل الجليل " البحث عن المعرفة.. متى وجدناها، وأينما وجدناها.. ومع من نجدها."

وأخيراً، استقر رأيي على هذا العنوان الذي بين يديكم الآن: العطاء والرمز وعظمة الرجال، فهذا هو منطلقي في التعبير عن مشاعري الحقيقية لما اكتسبناه من أستاذنا الدكتور "زيور" من عطاء فعلي، وعطاء رمزي، بكل ما تركه لنا من قيم جليلة وتراث وفير.

عقل و ثلاثة وجوه

أريد هنا أن أعبر أمامكم عن بعض ما تسعفني به الذاكرة من ذكريات انمحى الكثير منها، ولكن آثارها بقيت لتذكرني بالدين الذي أدين به لهذا الرجل، وللقسم الذي أنشأه وطوره وحافظ عليه تلامذته من بعده، ليصبح قلعة شامخة في زمن ضلت فيه نفوس كثيرة في سعيها عن بعض المعاني الجليلة في الحياة.

لكن دعوني، قبل الدخول في ذلك، أن أذكر أن عظمة الإنسان- من وجهة نظري على الأقل- يجب أن تقاس وتعرف من خلال مسارات ثلاثة:

- **المسار الأول:** آثاره **التفاعلية المباشرة** على من يتعاملون معه على نحو مباشر، سواء كانوا زملاء مهنة، أو طلاباً أو أفراد أسرة. فليس هناك أفضل من الاحتكاك المباشر إثارة لما يود الشخص أن يتركه من مثل عليا، أو قيم أو تصرفات بين المحيطين به. فمن خلال ما يمارسه أمامهم من متطلبات دوره الاجتماعي، وما يرسمه أمامهم من قدوة في ما يجب، أو لا يجب، فعله في المواقف الحرجة، يتمكن الناس من الملاحظة المباشرة لمصداقية العظيم بدون زيف أو ادعاء.

- **المسار الثاني:** آثاره الرمزية، أي ما تبقي منه للآخرين من تراث علمي، أو بشري، كما يتمثل في تلامذته الذين ورثوا عنه الريادة، وحافظوا على تراثه ومبادئه على نحو يفتح أمام الناس آفاقاً ممتدة من الفكر والقيم. والآثار الرمزية، تشمل أيضاً أساليبه في معالجة أفكاره وتوجهاته الثقافية والمعرفية، أي ما يمكن أن أطلق عليه، مع بعض التجاوز، إيديولوجياته الفكرية والمعرفية، أي بناءه المعرفي و معتقداته واتجاهاته العلمية، وما أمدته به هذه الأبنية الإيديولوجية من طاقة وحركة، وأساليب التفكير والكتابة والبحث العلمي .. إلخ. ومن مزايا الآثار الرمزية أنها تصبح متاحة لمن لم تتح لهم الظروف فرص مباشرة من التفاعل والاحتكاك المباشر بالعظيم، سواء من جيله، أو من الأجيال اللاحقة به.

- هذا عن المسارين الأول والثاني، وهناك ثالثاً ذلك **المسار الذي يتعلق بما أسميه عامل الشخصية** الذي يمكننا من معالجة المسارين السابقين وفق ما بينهما من صلات وتفاعلات

وتناقضات ظاهرة، أو غير ظاهرة بينهما. إننا نظل قبل ذلك، وبعد ذلك، عاجزين عن توظيف العظمة عملياً وفعلياً للصالح العام دون وجود شخصية متحركة ونشطة ومؤثرة. ولهذا أضم لعامل الشخصية أيضاً عامل الاعتراف الخارجي، أي مدى ما يبديه الآخرون، تلامذته، أو غيرهم، من اعتراف بأهمية التراث الذي بقي لنا من عظماء البشر، فبدون هذا الاعتراف ستظل أعمال هؤلاء العظماء محدودة في تأثيرها، حبيسة في عقول أصحابها. وأستطيع أن أقول هنا أن أستاذنا الراحل اتسم بخصائص وسمات وقدرات وجدانية ومعرفية، مكنته لا من فرض إرادته على من حوله بدون تسلط أو جمود، بل وأن يكتسب الحب والتقدير، مما مكنه من الاعتراف الخارجي الذي ساهم بدوره في توظيف أعماله والإبقاء على خلوده.

هذه هي المسارات الثلاثة التي أراها ضرورية عند تقييم التراث الذي يتركه لنا عظماء البشر، فإن نظرنا للدكتور زيور نظرة تقويمية، وفق هذه المسارات الثلاثة، لن نبالغ إن قلنا بأنه أوجد لنفسه مكانة متميزة في كل منها:

- فقد تميز كأستاذ..
- وتميز كرجل إدارة لجهاز علمي..
- و تميز كشخصية مؤثرة في الواقع العملي، والتوظيف الاجتماعي لرسالته التي بشر بها ..

لقد كان عقلاً بثلاثة عيون، أو ثلاثة وجوه. أقول ذلك وأضع هذا في ميزان عبقرية الرجل وعظمته، لأن من مقاييس الشخص العظيم أن يمتد بآفاقه الذهنية لا لتطوير ما يؤمن به فحسب، بل وأن يوفر المناخ الملائم للنمو والانتعاش لمن حوله، وللأجيال اللاحقة به، فضلاً عما يتسم به من قدرة على وضع الفكر موضع التوظيف العملي. من هذا المنطلق، ومن هذه المسارات مجتمعة معاً، سيكون من السهل علي أن أضع أمامكم بضعة من ملاحظاتي على النحو التالي:

1- الأستاذ- المعلم والشراكة الفكرية:

إنني محظوظ من حيث أنه أتيحت لي فرصة الاحتكاك المباشر بزيور، ومن أتيحت له هذه الفرصة يعرف أن الرجل ميز نفسه فيها كأستاذ ومعلم من الطراز الأول. ولهذا كان تأثرنا به مبكراً. أصبحنا بعد فترة قصيرة من دخول القسم بشقاوة الأطفال وبراءتهم ولهوهم عندما يجدون بين أيديهم شيئاً جديداً مشوقاً، فكنا إذا عرفنا اسماً جديداً أو مصطلحاً غريباً علينا من مصطلحات التحليل النفسي كنا نلهو به ونكرره بمناسبة ومن غير مناسبة، للمرح أحياناً، وللتفريغ الانفعالي أحياناً أخرى، وتعبيراً عن رغبتنا في تحقيق الحرية والانطلاق الذي حملته لنا النظرية التحليلية في تلك الفترة في أحيان ثالثة.

ولكن تأثرنا بالأستاذ كان يتطور دوماً، كنا مأخوذين به، وكنا في صعود دائم من أسفل إلى أعلى، بفضل هذا الرجل الذي انشغلنا به، ولكنه فضل أن يدفعنا أكثر للانشغال بذواتنا، فكانت فترة احتكاكنا الأولى به -على الأقل بالنسبة لي شخصياً- فترة بحث عن الذات. ساعدنا نمونا الفكري و نضوجنا التجريدي إذا ما استخدمنا مصطلحات بياجيه أن ننشغل بالدكتور، وننشغل أكثر بذواتنا. لهذا قد لا أكون مبالغاً إن اعتبرت تلك الفترة الجامعية الأولى فترة حمو وانطلاق في البحث عن الذات، وتحقيق الحلم المعرفي الذي أشعله فينا القسم الذي بناه زيور، وبكل المقاييس، وكل مراحل التطور التي مررت بها، كانت هذه الفترة أيضاً أكثر فترة من حيث الخصوبة المعرفية في حياتي المهنية التي امتدت حتى الآن لأكثر من أربعين عاماً. في تلك الفترة قرأت فيها أكثر ما قرأته في أي فترة لاحقة، بما في ذلك التحليل النفسي بكل مذاهبه، وفي الفلسفة وعلم النفس، والأنثروبولوجي، ووظائف الأعضاء، غير اهتماماتي الجانبية ببعض أنواع الأدب والفلسفة الوجودية والمادية الجدلية. لقد اكتسبت من تلك الفترة حبي لعلم النفس.

ومع البراءة والرغبة في التفتح الذهني، تفتحنا زملاء هذه الفرقة، وكان عددنا آنذاك لا يزيد على سبعة في سنتينا الثالثة والرابعة من قسم علم النفس: حسين عبد القادر، محسن يوسف، نادية زكي، ومجدي مجاهد، محمد دياب، وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة بأسمائهم، تفتحنا على نظرية التحليل النفسي الذي كان يقوم بتدريسها لنا مصطفى زيور.

كانت علاقتنا بالدكتور زيور مرسومة بشكل لم نخطط له، وأعتقد أنه أيضاً لم يخطط له، أي قريبة وبعيدة: قريبة بما سمح لنا أن نتعرف- من خلال محاضراته- على النظرية التحليلية بكل تفاصيلها وأسرارها، من صاحبها الأساسي ورائدها الأول في مصر. وكانت بعيدة بحكم ما يطبع العلاقات بين الأساتذة الكبار والطلاب في مراحل التكوين الأولى، إن هذا القرب والبعد الآني جعل تأثيره الذهني في من يحتك به يأخذ شيئاً من القدسية والتقدير. لقد حمانا بقربه منا بما غرسه فينا من معرفة وتوجهات ذهنية، وحمانا حتى في بعده عنا بما أضفاه على المعرفة من قدسية ومهابة في الوقت نفسه.

نعم، كان هذا القرب والبعد معاً عندما أنظر له الآن حماية من الضياع. وبهذا القرب والبعد المتآني فرض علينا بأستاذيته أن نحقق معه شراكة فكرية- إيديولوجية، حتى وإن اختلفت مساراتنا وما تبناه بعضنا- بما فيهم كاتب هذا المقال- من توجهات إكلينيكية ذات طعم سلوكي معرفي-عملي مختلف.

أقول هذا وأنا أعرف، وغيري يعرف، أن حياتي وممارساتي في علم النفس، وما تعرضت له من تجارب مختلفة على المستوى القومي والعالمي جعلتني اختط طريقاً تكاملياً مختلفاً نسبياً عن الاتجاه التحليلي. ومع ذلك، فإن اختلافي يحسب له في ميزان ما تعلمناه من الرجل بأن نخلص لا للرأي ولا للمذهب، ولكن الإخلاص الحقيقي يكون للمبادئ وقيم التعدد والتنويع. تعلمنا هذا لحسن حظنا في فترة مبكرة من تكويننا المهني، وبقي هذا في تكويني الأساسي، وربما بقي أيضاً في تكوين من احتكوا به في فترات انتمائهم لقسم علم النفس في جامعة عين شمس.

الإخلاص للمبادئ العلمية لا الإخلاص المذهبي، هكذا تعلمنا من هذا المناخ العلمي الذي وفره لنا الراحل الجليل بقسم علم النفس أن نتفتح على كل المسارات المتقدمة في هذا العلم. هذا أيضاً جزء من عظمة الرجل، فحتى ما بين الزملاء والأساتذة الذين نهجوا نهجه، وسلكوا طريق التحليل النفسي، لم تبني عظمتهم على تماثلهم وتطابق أفكارهم مع الأستاذ، بل على ما اختاروه لأنفسهم من توجهات نظرية وإيديولوجية جعلت من انتماءاتهم التحليلية لمعطف التحليل النفسي متعددة و ثرية ومختلفة في الآن نفسه.

لم ينبني ديننا للرجل على تماثل و تطابق مذهبي، بما آمن به و دعا إليه وبشر به. وأعتقد أن الرجل أراد ذلك، أراد لنا بحكم المناخ الذي ساهم في تطويره خلال مسيرته الإدارية لقسم علم النفس، أراد لنا أن نمتد فكرياً ونتطور ونختلف. لقد أراد لنا أن نختلف في الرأي، وفي التوجه، ولكن كان في ما أعتقد يؤمن بأن كل اختلاف في الرأي لا يعني اختلافاً في المبدأ.

ذلك هو الوجه الأول، أو العين الأولى للفكر الزيوري: عين الأستاذية التي تدعوك لطلب المعرفة والحكمة متى تجدهما، وأينما تجدهما، ومع من تجدهما. أو على الأقل إيمان أشبه بإيمان الشاعر الإنجليزي جان كيتس "بأن تدع الخيال المجنح ينطلق بعيداً في سماء فكر أرحب، وافتح باب سجن العقل على مصراعيه".

2- إيمان مطلق بالتعددية:

ذكرياتنا عن تلك الفترة ليست وافرة، ولكنها الآثار الرمزية هي التي أبقت شراكتنا معه. لقد التحقت بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية سنة **1959** عن وعي، وبعد أن اطلعت بطريق الصدفة، وقبل حصولي على الثانوية العامة على كتاب بعنوان "أسس الصحة النفسية" للدكتور عبد العزيز القوصي، الذي كان واضح التأثر بنظرية التحليل النفسي . وقد احتوى ذلك الكتاب على ما أتذكر أجزاء وافرة عن نظرية التحليل النفسي أشعلت اهتماماتي بالتحليل النفسي. وبالرغم من أنني لا أتذكر حتى الآن كيف وقع هذا الكتاب في يدي وأنا في قرية صعيدية نائية من مركز الأقصر. ربما جاءني من أحد أخوتي ممن كانوا أكبر سناً وطلاباً في الجامعة،

بالرغم من هذا ترك هذا الكتاب أثراً غريباً في نفسي، كانت موضوعاته كلها مثيرة للفضول الذهني والإثارة الوجدانية لشاب في سن المراهقة تعذبه- بحكم سنه ومعايشته لفترة المراهقة- الآلام النفسية المرتبطة بالقمع الاجتماعي والانطواء. بعد حصولي على الثانوية العامة، وحصولي على مجموع مرتفع جعلني الثاني على جميع مدارس الأقصر. قررت- بالرغم من الضغوط الأسرية لأن ألتحق بكلية التجارة جامعة القاهرة- قررت أن ألتحق بأي قسم لعلم النفس، ومن ثم كتبت لأخي الأكبر يوسف أبو الحجاج، وكان أستاذاً للجغرافيا في جامعة عين شمس، ورجوته أن يلحقني بأي قسم من أقسام علم النفس في مصر. ولحظي أبلغني بوجود شعبة وليدة بكلية الآداب جامعة عين شمس، بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية. وقد خاب أملي للأسف عندما علمت أن القسم قد أغلق على الطلاب الجدد، ومن ثم التحقت بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب في الجامعة نفسها، وبعد أقل من شهر من التحاقي بقسم اللغة الإنجليزية، أعلن قسم الدراسات النفسية والاجتماعية عن رغبته في قبول مجموعة جديدة من الطلاب سيتم اختيارهم من خلال أساليب القياس النفسي. وقبلت بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية، وتركت قسم اللغة الإنجليزية. لقد ذهبت لأعرف ما كنت أرغب في معرفته، ربما انطلاقاً من صراعاتي الشخصية، ورغبة في التعرف على النفس، والخلاص مما يصيب الشباب في تلك الفترة من قلق وصراعات، وبحث عن تحقيق الحلم، إذا ما استخدمنا مفاهيم "إريكسون"، فوجدت في شعبة علم النفس ما أريده، ووجدت فوق أي اعتبار آخر مجموعة من الأساتذة الذين تظل ذكراهم حية، وعلى رأس كل هؤلاء رئيس عائد من فرنسا، حيث عمل فيها مديراً للعيادة النفسية بإحدى أشهر جامعاتها: كان هذا هو مصطفى زيور.

لقد حاولت أن أعرف ما هي النفس، وما هو العقل، ولماذا نمرض نفسياً وكان أن فتحت لي مغاليق ومفاتيح لم أكن على علم بها من قبل، وشعبة نشطة يقودها محلل نفسي مرموق، ومن أول الأسماء في هذا التخصص وأعظمها. كان هذا هو زيور، الإداري الذي ترأس قسم علم النفس طوال فترة بقائي به طالباً في الجامعة، وشاهدته في كلية الآداب جامعة عين شمس: رجل مشغول دائماً، لا تراه إلا لماماً. لم يكن طويلاً ولا قصيراً، متوسط البنية، وإذا رأيته كان ينتقل بسرعة مذهلة من مكان إلى آخر، وصوت حذائه يدق الأرض دقاً بثقة واعتزاز، وكأنه في مارش عسكري (سمعت في ما بعد من ابنته الدكتورة نيفين أنه جاء من أصول جزائرية). كان الرجل مهيباً، لم نقرب منه إلا بمقدار، مشغول دائماً عن الحياة والمناصب الإدارية، مهنته أن يبحث عما هو مدفون في أعماق البشر ويناقشها، ومع ذلك فنحن لم نره يتحدث كثيراً إلا في مناقشات الماجيستير والدكتوراه، والتي كنا نتزاحم لحضورها لمشاهدة هذا الرجل. وكان من نصيبي آنذاك أن حضرت مناقشات عدة له، من بينها مناقشة عبد السلام القفاش، الذي كان

معيداً أو مدرساً مساعداً آنذاك في قسم الفلسفة، وقبل أن يلتحق بقسم علم النفس. هذا المناخ ساهم في إشعال اهتمامنا بهذه النظرية، وتمخضت عنه إثر تخرجي كتابة بعض المقالات المبكرة في مجلة "المجلة" ومجلة (الفكر المعاصر) عن بعض الشخصيات التحليلية مثل "يونج" و "فرانز ألكسندر".

وكان هناك زيور ثالث هو الذي قابلته صدفة في معرض الكتاب في القاهرة، وكنت عائداً من الولايات المتحدة الأميركية في زيارة قصيرة لمصر، فإذا به يحييني، ولم تكن هذه عادته، وقد ذهلت لأنه كان يعرف حتى اسمي، وبعض التغيرات الفلسفية، واتجاهاتي في الأيزنكية. ظل الحديث قائماً بيننا زهاء النصف ساعة سألني عن أحوالي وأين أنا الآن، وإذا ما كنت أزور قسم علم النفس في جامعة القاهرة، ثم تطرق الحديث عن "أيزنك" وفضيحة "سيريل بيرت" العلمية. لم أندهش، فقد كان متابعاً للتطور العلمي، حتى مع من كان يختلف معهم إيديولوجيا، لقد أثراني لقائي به القصير ذاك.

من جهة أخرى، لم يكن خافياً على القاصي والداني أن زيور كان محللاً نفسياً، وصاحب نظرية، ولم يغير من انتمائه لها، وربما كان حماسه هو الذي أغرى الآخرين بأن يظنوا أنه على خلاف مع التيارات الأخرى، كالقياس النفسي وعلم النفس السلوكي والتوجهات التجريبية الأخرى. و إغراء الاختلاف يدفع إلى إغراء آخر بأن يظن البعض أنه كان متعصباً لنظريته، ومصارعاً ضد أي اتجاه آخر. وكان هذا خطأ في فهم الرجل وقع فيه الكثيرون. لكن نظرة واحدة لقسم علم النفس في جامعة عين شمس في تلك الفترة من حياتنا تدحض هذا بوضوح، فلم يكن هناك أكثر إيماناً بالتنوع والتفتح لكل التيارات، مثل زيور، ولم يكن أكثر منه وعياً بأخطاء التعصب العلمي على نمو العلم وعلى تنمية العلماء. في يقيني أنه كان يدرك جيداً أن صراع الأفيال يحطم الزهور، ففضل أن تبني عظمته لا على تحطيم الزهور، بل على غرسها وإنعاشها، إنه فضل أن يتحقق فيه قول هاملت "الرجل العظيم حقاً هو الذي يحارب لسبب عظيم."

لهذا لم تكن صدفة أن يحدث التطور سريعاً بشعبة علم النفس، فقد انعكست رؤيا الراحل الجليل، في ما يبدو، على نمو هذا التخصص، فضم كل التيارات الأخرى، ومن مثلوها من الأساتذة الذين عينوا في القسم، أو بانتداب الأساتذة الآخرين، ومن ثم كان حظنا كبيراً بدراسة المقاييس النفسية، واختبارات الذكاء، وقياس الشخصية، واختبارات الإسقاط، وعلم نفس الأطفال، ونظريات التعلم، وعلم النفس الصناعي، جنباً إلى جنب مع مختلف تيارات التحليل النفسي، وفي هذه الفترة كان حظنا أن نتتلمذ على أيدي أساتذة آخرين لم يكونوا من بين المعتنقين لنظرية التحليل النفسي، فدرسنا مع السيد خيري، ولويس كامل، وعبد المنعم المليجي،

ومن خارج القسم درسنا مع يوسف مراد، ومصطفي سويف، وكامل النحاس، وأحمد فائق، وغيرهم. وقد بقي القسم على هذا التقليد الجميل حتى الآن بفضل من تتلمذوا علي زيور من علماء التحليل النفسي وعلم النفس بمختلف تياراته الأكاديمية، من أمثال فرج أحمد فرج، ومحمود أبو النيل، وفرج طه، ونيفين زيور، وغيرهم ممن لم تتح لي الظروف بالتعرف إليهم عن قرب. لقد كان إيمان زيور الأكيد بالتنوع والتعدد ما جعله يوجه الصراع إلى مجالات تنموية لا تحطم الزهور، بل تساعد على نموها وغرسها.

3- الكاريزما أو موهبة الحضور مع الفاعلية:

ماذا عن المسار الثالث **مسار الشخصية**، اسمحوا لي هنا أن أستعير بعض مصطلحات إحدى نظريات علم النفس السياسي. فلعالم النفس السياسي الأميركي جيمس باربر **James D. Barber** " نظرية في الشخصية القيادية، استطاع من خلالها أن يحدد الخصائص والأساليب التي تميز القائد الناجح في إدارته للأمور بفاعلية. واستطاع من خلالها أن يتنبأ بالنجاح القيادي في مختلف المواقف الاجتماعية، بما في ذلك إدارة المؤسسات، والأقسام العلمية، ومراكز البحوث. ثم بعد ذلك طور هذه النظرية، كوسيلة للتنبؤ بنجاح الأداء لدى رؤساء الجمهورية الأميركيين[2].

ما يهمنا من هذه النظرية أن "باربر" صنف القادة والرؤساء بحسب أربعة أنماط تبرز من التقاء أطراف متصلين كميين **continuum** رئيسيين هما:

الأول: النشاط - الخمول (**activity-passivity**)ويتعلق بمدى بذل الطاقة والنشاط الذي يستثمره الفرد لإنجاح عمله. فمثلاً لو اتخذنا من النماذج الرئيسية التي وضعها لنا باربر نجد أن ليندون جونسون **Lyndon Johnson** كان نموذجاً للبعد النشط وفق "باربر"، فجدوله مشغول دائماً، ولم يكن يرجع لمنزله إلا في الهزيع الأخير من الليل، وهو في هذا يحتل الدرجة العليا من بين الرؤساء الأميركان، مقارنة، مثلاً، بكلفين كوليدج **Calvin Coolidge** الذي وضعه "باربر" في البعد الخامل، فقد عرف عنه أنه كان ينام **11** ساعة ليلاً، بالإضافة لفترة راحة في الظهيرة. ويقع بقية الرؤساء على مواقع متوسطة من هذا البعد. وإذا أخذنا نماذج أكثر حداثة، فنحن نجد أن كلينتون مثلاً يقع في أعلى الدرجة بينما "ريجان" مثلاً كان عل العكس يكثر من الراحة لدرجة أنه كان ينعس خلال الاجتماعات، أما جورج بوش الإبن، فيحتل درجة

---

[2]- ضمن "باربر" تحليلاته للرؤساء الأميركيين في مجلد ضخم بعنوان: **Barber James D. (1980). The Presidential Character. Eaglewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.**

متوسطة، ولكنها أقرب للجانب الخامل منها إلى الجانب النشط. ومن هذا المنطلق ربما نجد أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر احتل أيضاً درجة عليا على مقياس النشاط.

المتصل الكمي الثاني: الفاعلية الإيجابية- السلبية (**active-negative**) ويختص بفاعلية أداء القائد لعمله ،وما يمنحه لهذا العمل من حب واهتمام وزخم وجداني. بعبارة أخرى يجيب لنا هذا المتصل عن أسئلة عن الشخص القيادي من هذا النوع: هل هو مثلاً يؤدي عمله بحماس وحب وإيجابية؟ هل يستمتع بأداء الدور، أم أنه يوحى لنا بالتقاعس وعدم الرضا؟ هل يقوده الآخرون ويوجهونه، أم أنه هو الذي يقود ويوجه ويحرك الناس من حوله لتحقيق أهدافه؟

ومن هذين المتصلين تتكون أربعة أبعاد:

- النشط- الإيجابي **ACTIVE-POSITIVE**
- النشط- السلبي **ACTIVE-NEGATIVE**
- الخامل- الإيجابي**PASSIVE-POSITIVE**
- الخامل- السلبي**PASSIVE NEGATIVE**

لو أننا اهتدينا بمفاهيم هذه النظرية لإلقاء الضوء على شخصية أستاذنا الجليل، لكان من السهل علي أن أضعه في فئة النشط- الإيجابي. فقد كان أشبه بالمايسترو الذي يوجه العازفين من حوله، ويكيف ما يصدر عنهم من أنغام لمثله العليا. ولهذا أراه يحتل وفق مفاهيم باربر موقعاً مرتفعاً على بعديْ النشاط الفاعلية الإيجابية معاً **active-positive**. بعبارة وصفية أكثر يسراً كان نشطاً متحمساً محباً لعمله بدرجة عالية من تقدير الذات والتأثير في الآخرين. في هذا النمط يوجد من نسميهم بالقادة الكاريزميين، أي ممن يتسمون بالحضور والكاريزما، بما لهم من قدرات على التأثير في الآخرين، وهو فضلاً عن ذلك اتسم بالإيجابية والفاعلية، أي أن قدراته التأثيرية وجهت لأهداف إيجابية تبني ولا تهدد. إن كل سمة فيه جعلت منه شخصية متميزة، بما في ذلك حضوره، وعلمه، ودعمه لتلامذته وزملائه. وأثق أن من كانوا أكثر قرباً منه، وبقوا معه فترات أطول مني هم أقدر من يعطينا الكثير من الأمثلة والمواقف التي تشير بالفعل إلى اتصافه بهذا البعد من الشخصية. لقد تناغمت في شخصيته:

- كأستاذ يؤثر و يوجه ويدافع ويحمي.
- ودوره كإداري في جهاز علمي يجب أن يكون منارة للإبداع والحرية والتعددية.
- وشخصية صاحبة رسالة.

تناغمت في شخصيته قوى النشاط ودوافع الفاعلية والحماس، والتقت جميعاً في وحدة وبناء شخصي نادر زرعت فيه بذور البقاء ولحن الخلود.

رحمك الله أستاذنا... وشكرا لكم !!!!!!

من إصدارات مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

- العلاج السيكوسوماتي المعرفي.
- سيكولوجية الشائعة / شائعات الحرب العراقية أنموذجاً.
- علم النفس الأمني.
- الأمراض النفسية وعلاجها / دراسة في مجتمع الحرب اللبنانية.
- الثلاثاء الأسود / خلفيات ما جرى في 11 أيلول.
- النفس المقهورة / سيكولوجية السياسة العربية.
- أميركا في المستنقع العراقي.
- الخصوصية العربية والعقل الأسير/ نحو سيكولوجية عربية.

العنوان: دليلك للتعامل مع التوحد.

المؤلف: الدكتورة رابية حكيم.

الناشر: مكتبة جرير.

يتكون الكتاب من خمسة فصول هي:

الفصل الأول: (أعراض طيف التوحد) ويشمل شرحاً للتوحد التقليدي - وصف حالات ثلاثة أطفال بالتوحد التقليدي - اضطراب آسبرغرز - وصف حالة طفل لديه اضطراب آسبرغرز - الاضطراب التفككي - اضطراب ريتز - الاضطراب النمائي الغير محدد.

الفصل الثاني: (أسباب التوحد وبعض النظريات) ويشمل الوراثة والتوحد - التوحد ونظرية الببتايد الأفيونية - الفطريات (الكانددا) والتوحد - السريتونين والتوحد - التوحد والمعادن الثقيلة مثل الرصاص والزئبق – الكبرتة والتوحد.

الفصل الثالث: (تشخيص التوحد) ما هي المقاييس العالمية المستعملة؟ – من هو المسؤول عن تشخيص التوحد – دور الاختصاصي النفسي واختصاصي التخاطب في التشخيص – الاختبارات التعليمية التي تساعد على وضع الخطة الفردية.

الفصل الرابع: (الطرق المستعملة لعلاج التوحد) برامج التحليل السلوكي **ABA** - شرح مفصل لبرنامج تيتش **TEACCH** وكيفية تنظيم البيئة، واستعمال الجداول، مرفق بالصور الملونة للتوضيح - نظام التواصل عن طريق تبادل الصور **PECS** - برنامج سن رايز - العلاج بالتكامل الحسي - التضامن السمعي - الكرينوسيكرل - التواصل الميسر - الأدوية الطبية - العلاج المضاد للفطريات - حمية الكازين والقلوتين - وحمية فينفولد - فايتمين بي **6** والماغنيزيوم - الأوميغا **3** - السكريتين - التخلص من المعادن الثقيلة - العلاج المناعي.

الفصل الخامس: (أسئلة وأجوبة) متى أستطيع تشخيص طفلي – ما هي الأساسيات التعليمية التي أستطيع تنفيذها مع طفلي في المنزل؟ كيف أستطيع اختيار المركز الجيد لتعليم طفلي؟ كيف أدرب طفلي على الحمام؟.

يتصف التوحد بوجود تأخر في اكتساب اللغة لدى الطفل، وضعف في العلاقات الاجتماعية مع من حوله. أيضاً يكون للطفل حركات متكررة، أو اهتمامات محددة.....وتظهر الأعراض عادة، إما واضحة في ضعف التواصل الاجتماعي واللغوي منذ السنة الأولى.. أما في حالات أخرى، فيكون الطفل قد مر بمرحلة تطور طبيعية... ولكن حصل له تراجع، ففقد المهارات اللغوية أو الاجتماعية بعد بلوغه السنة والنصف، أو السنتين. نسبة التوحد 75 حالة في كل 10000 وهي في الذكور أكثر من الإناث بنسبة 4 الى 1.

ولكن هناك حقائق جديدة ذكرها مركز يوتاها للتدخل الطبي الحيوي في أميركا نقلاً عن Center of Disease Control CDC وهي أن نسبة التوحد أصبحت حالياً حوالي 1 في كل 150 أيضاً ذكر International Child Development Resource C ICDRC نسبة مقاربة هي 1 في كل 160 طفلاً في ولاية كاليفورنيا في أميركا.

- ارتفاع نسبة التوحد وصل إلى110 ٪ في السنة، مقارنة باضطرابات أخرى، مثل التخلف العقلي الذي ارتفع بنسبة 17.5 ٪، الصرع ارتفع بنسبة 12.6 ٪، والشلل الرعاش بنسبة 12.4 ٪.

إذاً، الأعداد في ازدياد مستمر، سواء كان في الخارج، أو في بلادنا العربية، ولكن للأسف لا توجد إحصائيات رسمية لدينا إلى الآن...

أسباب التوحد

ترجع أسباب التوحد إلى عاملين أساسيين، أولاً: عوامل جينية وراثية، حيث يكون لدى الطفل من خلال جيناته قابلية للإصابة بالتوحد.. ومازالت الأبحاث قائمة في مجال الجينات بشكل مكثف... ومن أحدث الأبحاث التي لها علاقة بالجينات، وذكرت في مؤتمر أبحاث التوحد في أميركا، هو عدم فعالية بروتين معين وهو الميتالوثيونين، المسؤول عن نسبة الزنك والنحاس في الجسم. ثانياً: عوامل خارجية، تلوثات البيئة، مثل المعادن السامة، كالزئبق والرصاص، واستعمالات المضادات الحيوية بشكل مكثف، أو تعرض للالتهابات أو الفيروسات..وغيرها من الأسباب

التغيرات الطبية الحيوية التي تحدث نتيجة ذلك هي زيادة تكاثر الكانديدا (الفطريات) والبكتريا في الأمعاء، زيادة نفاذية الأمعاء Gut Syndrom Leaky نقص الفيتامينات والمعادن، وضعف التغذية بشكل عام، ضعف المناعة، ونقص مضادات الأكسدة، نقص الأحماض الدهنية، ونقص قدرة الجسم على التخلص من السموم.

أنواع طيف التوحد

1 – التوحد التقليدي **Autism Clasical**.

2 – اضطراب آسبرغرز **Asperger's Disorder**.

3 – اضطراب ريتز **Rett's Disorder**

4 – الاضطراب التفككي **Disintergrative Disorder**

5 – **PDD NOS** وجود بعض سمات من التوحد .

سوف نقوم بشرح أعراض التوحد التقليدي واضطراب آسبرغرز ..

أعراض التوحد التقليدي

تبدأ ملاحظة الأعراض فى السنة الثانية والنصف من عمر الطفل (**30-36** شهراً) والمعروف أن التوحد له 3 أعراض رئيسية:

1 – ضعف العلاقات الاجتماعية.

2 – ضعف الناحية اللغوية .

3 – الاهتمامات و النشاطات المتكررة.

وقد تصاحبه اضطربات في السلوك، مثل نشاط زائد، وقلة تركيز، أو نوبات غضب شديدة، أو صعوبة في النوم. وقد يظهر سلوكاً مؤذياً لنفسه، وأيضاً تبول لا إرادي... هناك بعض الحالات يصاحبها تشنجات (صرع).

التخلف العقلي ونسبة الذكاء: التخلف العقلي هو إعاقة منفصلة تماماً عن التوحد... قد يكون مصاحباً للتوحد انخفاض لنسبة الذكاء... ولكن هناك أيضاً أطفالاً توحديين درجة ذكائهم في المعدل الطبيعي، أو مرتفع.

1 - ضعف التواصل الاجتماعي

أي ضعف في العلاقات الاجتماعية مع أمه.. أبيه، ومع أفراد العائلة والغرباء. بمعنى أن الطفل لا يهتم بوجود الآخرين.. لا يفرح عندما يرى أمه أو أبوه.. لا ينظر إلى الشخص الذي يكلمه... لا يستمتع بوجود الآخرين ولايشاركهم اهتماماتهم ... ولايحب أن يشاركوه ألعابه..... يحب أن يلعب لوحده ... ولا يحب أن يختلط بالأطفال الآخرين.

أيضاً، لا يستطيع أن يعرف مشاعر الآخرين، أو يتعامل معها بصورة صحيحة (مثل أن يرى

أمه تبكي أو حزينة، فهو لا يتفاعل مع الموقف بصورة طبيعية مثل بقية الأطفال).

2 – ضعف في التواصل اللغوي

ضعف في التعبير اللغوي أو تأخر في الكلام.. أحياناً استعمال كلمات غريبة من تأليف الطفل، وتكرارها دائماً.... أو إعادة آخر كلمة من الجملة التي سمعها.. .. أيضاً قد تكون هناك صعوبة في استعمال الضمائر، فمثلاً لا يقول " أنا أريد أن أشرب" بل يستعمل اسمه فيقول " حسن يريد أن يشرب ".

3 – نشاطه و اهتماماته وألعابه متكررة ومحدودة :

فلا يوجد فيها تجديد، مثل أن يلعب بالسيارات فقط، أو المكعبات، أو طريقة لعبه لا تتماشى مع اللعبة التي يلعب بها، مثل أن يرص السيارات الصغيرة بطريقة معينة بدلاً من أن يتخيل أنها تسير في الطريق. أيضا يحب الروتين ولايحب التغير في ملابسه، أو أنواع أكله أو طريقة تنظيم غرفته.. التعلق بالأشياء، مثل مخدة معينة، أو بطانية، ويحملها معه دوماً، وقد يكون عنده أيضاً حركات متكررة لليد، والأصابع.

عنوان الكتاب: العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية.

المؤلف: شين كوفي.

الناشر: مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية.

تعليق: نادر الملاح.

يقع كتاب العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية (**The Seven HABITS for Highly Effective TEENS**) لمؤلفه شين كوفي (**Sean Covey**) في **273** صفحة في نسخته العربية التي قامت بترجمتها عن اللغة الإنجليزية مكتبة جرير في المملكة العربية السعودية، وصدرت طبعته الأولى في **2004**م. وهذا الكتاب هو أحد إصدارات مؤسسة فرانكلين كوفي المعروفة، والتي أصدرت عدداً من الكتب المتميزة كان من بينها كتاب (العادات السبع لأكثر الناس فعالية) و (العادات السبع لأكثر العوائل فعالية) و(الأول أولاً) و(القيادة بمركزية المبدأ) و(قوانين الطبيعة العشرة للإدارة الناجحة للوقت والحياة).

قسّم كوفي كتابه هذا إلى أربعة أجزاء، تدرج فيها من العمومية إلى الخصوصية كمنهجية لبناء الرسالة التي يرغب في إيصالها للقارئ. فالجزء الأول، الذي عنونه كوفي

(الإعداد) تناول مفهوم العادة وكيفية الاستفادة منها، ثم مفهوم (النموذج) ومجالاته التطبيقية واستخدامها في بناء وتطوير الذات. أما الجزء الثاني (النصر الخاص)، فيتناول فيه العادات الثلاث الأول، وهي:

1. كن مبادراً.
2. حدد أهدافك ذهنياً مسبقاً.
3. ضع الأولويات أولاً.

ويستكمل كوفي عاداته السبع في الجزء الثالث (النصر العام) والذي يتناول فيه العادات الثلاث اللاحقة، وهي:

4. فكر بطريقة أنا أربح وأنت تربح.
5. إسعَ أولاً إلى أن تفهم لكي يفهمك الآخرون.
6. تعاون مع من حولك.

أما الجزء الرابع والأخير (التجديد)، فيتحدث فيه كوفي عن العادة السابعة والأخيرة، والتي يطلق عليها (إشحذ المنشار)..

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب العملية والواقعية التي تخاطب العقل والعواطف في آن واحد بعيداً عن التنظير، وهو ما دفع عدداً من الشخصيات المعروفة للإشادة بمستواه المتميز، كجيري جراي مؤلف كتاب (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة) الذي قال في هذا الكتاب "كتاب العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية يعطيك فكرة جديدة عن معنى كونك شديد النجاح. إنه يعلم أهمية وضع الأهداف والتمسك بها من أجل تحقيق أحلامك". وكذلك ميك شانون الرئيسة والمديرة التنفيذية لمؤسسة شبكة معجزات الأطفال (**Children's Miracle Network**) التي اعتبرت هذا الكتاب "هو القول الفصل. كلما أسرعت في تنمية عادات جديدة قوية، أصبحت حياتك أكثر فعالية. هذا الكتاب سوف يساعد في عمل ذلك بالضبط". أما المحاضر والفنان العالمي دوجلاس سبوتد إيجل، فيقول: "بالنسبة للرياضي المحترف، فإن الفوز بمباراة كرة سلة أمر مهم، ولكن الفوز في مباراة الحياة أكثر أهمية. كتاب العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية يقدم خطة للمراهقين كي يصبحوا لاعبي فريق مع رفاقهم في الحياة، وعائلاتهم، وأصدقائهم. إنه يعرض استراتيجيات كي تصبح شخصاً أفضل في كل شيء، وتنمي مهاراتك الفردية".

العنوان: اغتيال الحريري: أدلة مخفية.

المؤلف: يورغن كاين كولبل.

ترجمة: د.هاني صالح - كامل اسماعيل.

الناشر: N/A.

إغتيال الحريري تحول إلى كارثة لبنانية حملت ردود فعل عاطفية وإمراضية في المجتمع اللبناني وجواره. حتى تحول الأمر إلى ما يمكن إدراجه في خانة اضطرابات الشدة عقب الصدمية. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يضع أمام القارىء كما كبيرا من المعلومات، المستقاة من مصادرها الأصلية، تاركا له الخوض في لجتها، وغربلتها وتقويمها، وانتقاء الأنسب منها، الذي يقود إلى الجواب المنشود... من يقف وراء زعزعة الأمن والاستقرار في لبنان، ومن المستفيد الأول من ذلك؟

صحيح أن الكاتب يبدأ كتابه بالحديث عن جريمة اغتيال الحريري، وينهيه بالحديث عنها أيضا، لكن جل صفحات الكتاب مكرسة لتسليط الضوء على الأحداث التي قادت إلى هذا الاغتيال، وعلى "الأبطال"الذين يقفون وراء هذه الأحداث، ومن يحرك هؤلاء "الأبطال" الدمى من وراء الستار، ويسخرهم لخدمة مصالحه الاستراتيجية الاقتصادية والجيوسياسية، تحت شعار "إشاعة الديموقراطية" في المنطقة، هذا الشعار الذي أثبت الواقع الملموس زيفه، فالإناء الأميركي لا يمكن أن ينضح إلا بما فيه.

المعرفة العلمية في نموذجها الأنثوي

"أنثوية المعرفة"

الدكتور عماد فوزي شعيبي

هل هنالك من مشروعية لتناول موضوع المعرفة من زاوية الفصل بين الجنسين؟. هذا السؤال لم يعد مشروعا فحسب، إذ أنه يتم التعامل معه على أنه موضوع للبحث في سياق الفروق بين الجنسين في علم النفس؛ وهو يتجاوز الحركة النسوية **(Feminism)** التي تعني تأكيد المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق، مستخدمة الداعي السابق لإلغاء الفوارق النوعية في المعرفة بين الجنسين. وكذلك فهو يتجاوز النسوية الجديدة (نسوية ما بعد الحداثة) التي تميزت بنقد الانفراد العقلاني للذكر **(Pallogocentrism)** ورفض مركزيته التي جاءت تتمة للنزعة المركزية الأوروبية، كما تتجاوز الجنوسة **(Gender)** أو النوع الجنسي الذي لا يعني الفوارق الجنسية البيولوجية فحسب، بل يضيف إليها مجمل الأوضاع والخبرات والأدوار الاجتماعية التي تجعل الرجل رجلا والمرأة إمرأة.

على هذا الأساس من التمايز نشأت في أوروبا نزعة فلسفية دعيت بفلسفة العلم الأنثوية، تحاول أن تبرز القيمة الأنثوية في المعرفة

- مدخل إلى الجانب الأنثوي في المعرفة:

لعلنا نستطيع أن نعزو إلى يونغ[1] عالم النفس الشهير البدايات المنهجية لهذا التقسيم بين عقليتين إحداهما ذكرية ودعاها بالروح الذكرية **(Animus)** والثانية أنثوية ودعاها بالروح الأنثوية **(Anima)** وهو ما حدا بالباحثين لاحقا إلى ربط ذلك بالجانب البيولوجي؛ حيث أن النصف الأيسر من الدماغ المسؤول عن الجانب المنطقي قد ربط بالروح الذكرية، والنصف الأيمن من الدماغ هو المسؤول عن الجانب الأنثوي. وهنا يتضح الأمر من خلال ما يلي: [2]

---

[1] - ك. غ. يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، 1985، ص300-301.

[2] - فكرة الزمان عبر التاريخ، مجموعة من العلماء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص322-327.

"وجدير بنا الآن، وقد وصلنا إلى هذه النقطة أن نذكر المكتشف الحديث في فسيولوجيا المخ: أعني التمييز الذي اهتدى إليه ردابليوسبيري، بالقول إننا ننقسم بالفعل إلى شخصين يعيشان داخل رؤوسنا، في النصفين الكرويين الأيمن والأيسر من المخ. وقد كنا نعرف منذ زمن طويل أن النصف الكروي الأيسر من المخ يهيمن على اللغة، على حين أن الأيمن يختص بالتعرف (أو التمييز). وكذلك يتعلق النصف الأيسر بالمنطق والتعقل، بينما يختص الأيمن بالتذوق كالاستمتاع الفني .

ويرتبط نصفا المخ في ما بينهما بمعبر من الألياف العصبية، فإذا استؤصل هذا المعبر، فإن كلا منهما يستمر في العمل منفصلا عن الآخر. وهكذا، إذا عرضت تفاحة على النصف الأيسر من المخ (الذي يرتبط في الواقع بالعين اليمنى)، وإذا عرضت برتقالة على النصف الأيمن أي على العين اليسرى، وسئلت ماذا شاهدت لتوك فستجيب: تفاحة. ولكن إذا طلب منك أن تكتب بيدك اليسرى ما شاهدته في التو واللحظة، فإنك ستكتب: برتقالة. وإذا سئلت ماذا كتبت من فورك، فستجيب: تفاحة. ومعنى هذا أن كل نصف من نصفي المخ لا يعلم ما يفكر فيه الآخر، عند قطع خطوط الاتصال.

غير أن النتائج الناشئة عن هذه التجربة، والتي لها أهم الدلالة هي أن الكائن الذي تسميه "أنت" - أي ذاتك - يستقر في النصف الأيسر من دماغك. وهناك "أنت" أخرى على بعد بوصات قلائل، في النصف الأيمن: ولكنها صامتة.

فعندما أجري عملية حسابية على الورق، فإنني أستخدم نصف مخي الأيسر، مع قسط معين من المعونة التي يقدمها النصف الأيمن من حين إلى آخر، عن طريق الاستبصارات المفاجئة.

إن هذه - إجمالا - هي الطريقة التي يعمل بها المخ البشري: فالنصف الأيسر هو "الإنسان الأمامي"؛ الأنا التي تتعامل مع العالم. والنصف الأيمن عليه أن يعبر عن نفسه عن طريق النصف الأيسر. ومجمل الأمر، أن النصف الأيمن يجد بطئا شديدا في أداء وظيفته، ذلك أن النصف الأيسر في عجلة دائما من أمره، ولا يكف أبدا عن معالجة المشكلات، ويميل إلى معاملة النصف الأيمن في شيء من نفاد الصبر. وهذا هو السبب في أن الإنسان المتحضر يبدو أنه لا يملك من فعالية النصف الأيمن إلا أقلها.

ويبدو من المحتمل أن نوابغ الحساب لم يقعوا بعد ضحية لسيطرة النصف الأيسر الآسرة. فهم يبصرون الجواب عن مشكلة ما، وينقلونها فورا، دون أن يعوقهم الشريط الأحمر المألوف للبيروقراطي الذي يقيم في النصف الأيسر من المخ.

وينبغي أن نؤكد أن هذه هي المشكلة الحقيقية للإنسان المتحضر. فنحن قد تطورنا إلى مستوانا الحاضر من خلال استخدام اللغة والمفاهيم. ونحن نستخدم هذه باستمرار إلى درجة أننا "توحدنا" مع النصف الأيسر من المخ. ولكننا نرى أن في هذا ضررا حقيقيا، لأن "الشخصية" ليست بمعنى ما، هي الشطر اللغوي فينا فقط؛ إنها كليتنا، لكن الحياة المعاصرة تطالبنا بأن نكون خارجيين فقط؛ أي نبدي غير ما نخفي. وتنشأ المشكلة من موقف الأنا من اللاأنا الذي يعيش في النصف الأيمن من المخ، الذي نميل إلى معاملته بوصفه شخصا أبله، وأخا أصغر ليس له حظ من التألق، بل إننا نتجاهله دائما، ونطلب منه الصمت. فإذا تحملنا مشقة الإصغاء إليه، منعنا منه الكثير، وذلك تحت هاجس القبض على القانون بكلتا أيدينا.

ومن الأمور الدالة، أن المخ الأيسر لديه إحساس قوي بالزمان، على حين أن الأيمن لا يملك شيئا من هذا الإحساس. وليس معنى هذا أن النصف الأيمن يفتقر إلى القدرة على حساب الزمان. بل على العكس أنك حين تقول لنفسك إنه ينبغي عليك أن تصحو في الساعة السادسة بالضبط، وتفتح عينيك والساعة تدق السادسة، فهذا من عمل النصف الأيمن. إذ أن الأمر بالنسبة له كتلة للزمن من النصف الأيسر وتخزينه لحين قدومه غير المحدد في قياسه الزمني[3].

فالمخ الأيسر يتعامل مع سطوح الأشياء، مع الأشكال، والمخ الأيمن يتعامل مع البصائر، ومع مايتوارى تحت السطح.

إن المخ الأيسر وسيلة لتوفير الجهد، ولتوفير الطاقة. فيما ينتج المخ الأيمن الإحساس المتوهج العجيب بالواقع حين يكون مفعما بالطاقة، ولعل ذلك يتأتى لك في صباح يوم من أيام الربيع، حين تكون مرهقا يتولى المخ الأيسر العمل. والكد الذهني المستمر يمكن أن يولد الحالة التي سماها سارتر "الغثيان"، وهذا ما يفسر الآن باعتباره الحالة التي يستعرض فيها المخ الأيسر

---

[3] - الحكاية التي يرويها وليم سيبروك عن أليستر كراولي توضح هذه النقطة: عندما كان كراولي في جزيرة سيفالو، أقبلت نجمة سينمائية تدعى إليزابث فوكس لزيارته، وكانت في حالة دائمة من التوتر العصبي، فأخبرها كراولي أنه ينبغي عليها البدء في العلاج بشهر تقضيه في التأمل على قمة الصخرة المطلة على البحر. فأفزعتها الفكرة، غير أنها وافقت. وهناك عاشت في كوخ منحدر السطح، يجلب إليها صبي الماء والخبز والعنب كل يوم عند الغروب. وأحست في الأيام الأولى بالضجر، وكانت سريعة الاستثارة. وما أن حل اليوم التاسع عشر، حتى لم تعد تحس بشيء غير السأم. ثم على حين غرة، انتقلت إلى حالة من الهدوء العميق والسكينة، دون أن تراودها أية رغبة في الحركة. وكان ما حدث ببساطة هو أن نصف مخها الأيسر المسيطر. الذي اعتاد الحركة المحمومة التي اعتادتها في هوليود. أدرك رويدا رويدا أنه يستطيع التوقف عن الجري، ثم تحولت السيطرة إلى النصف الأيمن، بإحساسه باللازمانية والطمأنينة. وهذه وسيلة علاجية صحيحة الآن ومثبتة.

العالم، مع افتقاره لكل رؤية عن معناه، وهنا يكون المخ الأيمن قد تخلى عن مهمته: فيبدو الواقع فجا، خاليا من المعنى.

وهنا نصل من الجدل إلى شطره الأصعب الذي يتأبى على الإدراك. فالمخ الأيمن هو الذي يعرض على المخ الأيسر "الفورية"، أي ما يحدث هنا والآن. والمخ الأيسر "يتفحص بدقة" العالم، أما الأيمن فيضفي المعنى والقيمة. وعيناك اللتان تفحصان الآن هذه الكلمات، تخبرانك فعلا بأكاذيب. ذلك أنهما تعرضان عليك عالما لا واقعيا أساسا بوصفه الواقع الوحيد. أقول "هذا واقعي"، وأنا أدق على المائدة بمفاصل أصابعي، غير أن مفاصل أصابعي ليست إلا "فاحصات" أخرى، مثل عيني".

وقد بلغ الأمر بالإبستمولوجي الفرنسي غاستون باشلار إلى الذهاب نحو اعتبار أن الجانب الأنثوي مسؤول عن الجانب الحلمي الجميل فينا، حيث يحاول غاستون (باشلار)جاهدا أن يؤكد لنا صلة حلم اليقظة بالروح المؤنثة كي يكون الخيال الشعري خلاقا وعميقا وجميلا وخاليا من هموم الحياة، بل تحقيقا أمثل للسعادة، بينما نراه يؤكد على ذكورة الأحلام والمنامات، (وهما مفردتان مذكرتان في اللغة الفرنسية)وهو مرجع حلم اليقظة الإبداعي وهو - عنده - "ظاهرة روحانية طبيعية جدا ومفيدة جدا للتوازن النفسي، ويجب أن لا نعامله على أنه انحراف للحلم، وأن لا يوضع من غير مناقشة في مصاف الظواهر الحلمية حيث أن تدخل الوعي في حلم اليقظة يحمل علامة حاسمة "[4]. ويحدد (باشلار) حلم اليقظة على أنه تقوية ذاكرة الخيال[5]، هذه الذاكرة المستقرة على شكل نمط أصلي أو عريق مستقر وثابت تحت ذاكرة، وعندما نستطيع أن نوقظ نمط الطفولة الأصلي، تستأنف جميع الأنماط الأصلية العريقة والكبيرة انتعاشها، لتقوم القوى الأبوية والأمومية بعملهما، فيفلت منهما الزمن ويعيش كلاهما، فينا، في زمن آخر[6]" فهنالك سلخ للزمن (DÉTEMPORALISATION) في حلم اليقظة. وهنا يمكننا معرفة حالات تكون أنطولوجيا تحت الكينونة أو الوجود (ÊTRE) وفوق العدم (NÈANT) . وفي هذه الحالات يخف تناقض الوجود واللاوجود ويحاول الوجود الأقل أن يكون ... وجودا"[7]، وهنا يحررنا حلم اليقظة في ما هيته الخاصة من وظيفة الواقعي؛ "فما إن نتأمله في بساطته حتى نرى

---

4 - Gaston Bachelard, *La Poétique de la rêverie*, Paris, P.U.F., 1971.,P :10

5 - Ibid, P.U.F. , P : 96

6 - Ibid ,Paris, P.U.F. , P : 108

7 - Ibid, Paris, P.U.F., P : 95

تماما أنه شاهد على وظيفة الواقعي، وهي وظيفة مفيدة تحفظ النفس الإنسانية على هامش جميع فظاظات اللا أنا العدوانية"[8].

فعندما يكون حلم اليقظة عميقا حقا، فإن الكائن الذي يأتي ليحلم فينا هو روحنا المؤنثة[9]، رغم أنه - لتوه - قد أكد لنا أننا نحن الذين نحلم في حلم اليقظة. وهكذا فإن أول تعين لروحنا المؤنثة هي أنها قريننا الذي هو منا، ولا انفصال له عنا. لكن حلم اليقظة يحتاج لكي يبرز كروح مؤنثة أن يترافق بالتوحد (SOLITUDE) وفق معادلة نستقيها كما تستقى المعادلات الكيمائية، ونقترح استخراج مثل هذه المعادلات في تفكيك ما جاء مكثفا فيما سبق، لتكون روح.

على النحو التالي:

روح مؤنثة + توحد ← حلم يقظة شاعري

ولكن هذا سيكون شرطا لحلم يقظة شاعري، إلا أن الشرط الأهم حلم يقظة مثالي هو توافر الروحين معا. ففي حلم اليقظة المتوحد نعرف أنفسنا (في المذكر والمؤنث معا) ويقوم حلم اليقظة (هنا بالذات) بجعل مادته والحالم مثاليين في وقت واحد.

وعندما يحيا حلم اليقظة في ثنائية المذكر والمؤنث تكون المثلنة (IDÉALISATION)[10] عيانية ومن غير حدود. فكي أعرف نفسي معرفة مزدوجة ككائن واقعي وممثلن، يلزمني أن أصغي إلى أحلام يقظتي، وكي أفهم وجودية حلم اليقظة فهما أفضل، يجب أن أطبق جميع الدروس التي تعلمتها من علم نفس الأعماق، حيث أن المثلنة القصوى يجب أن تتوج علم نفس تام[11]، وهنا فإن (باشلار) يؤكد كما اعتاد دائما على أن علم النفس الذي بين أيدينا ناقص. ونخطط ما سبق على النحو التالي:

روح مذكرة وروح مؤنثة + توحد + حلم يقظة ← المثلنة

ويوضح (باشلار) " أن حلم اليقظة، في حالته الأبسط والأنقى، ينتمي إلى الروح المؤنثة، وتأكيدا فإن كل تمثيل مبسط يوشك أن يبتر الواقع.

---

[8] - Ibid, P : 12

[9] - Ibid , P : 52

[10] - سنعتمد هنا هذا المصطلح لتسهيل التعامل مع المرادف الفرنسي الذي يعني جعل شيء ما مثاليا.

[11] - Ibid , P : 49

فلنقل إذا: إننا نرى، إجمالا، أن الحلم يتعلق بالروح المذكرة، وأن الحلم اليقظ يتعلق بالروح المؤنثة، وأن حلم اليقظة يمنحنا الراحة الحقيقية؛ راحة المؤنث، وفيها نكسب رفاهية العيش؛ رفاهيه تمهل وسلام. ففي حلم اليقظة يمكننا أن نجد العناصر الأساسية لفلسفة الراحة"[12]. ونستطيع أن نلخص ما سبق على النحو التالي:

روح مذكرة + نوم ← حلم

لكن اجتماع الروحين المذكرة والمؤنثة في حلم اليقظة(أي في الإبداع الإنساني وهو يوازي استخدام نصفي الدماغ الأيمن والأيسر) سوف يجعل الكائن مثاليا، وهو اجتماع لا يفضي بالضرورة إلى (حلم + حلم يقظة)، وهنا الاستثناء هو الذي يجعل (باشلار) يرى في حلم اليقظة المصاغ بالروحين المذكرة والمؤنثة ضربا من مثالية، ويؤكد في آخر كلماته الواردة في كتاب " شاعرية أحلام اليقظة"، أنه لكي لا يقال أن الروح المؤنثة هي كينونة كل حياتنا، فإنه يود أن يصوغ كتابا آخر يكتبه هذه المرة قلم مذكر؛ أي قلم روح مذكرة، لكن الحياة لم تسعف الفيلسوف، فمات بعد كتابه هذا بسنة واحدة (1962)، وبقي بالنسبة لنا نحن الباحثين أن ضربا من الالتباس قائم بين الروح المذكرة والروح المؤنثة في صياغة حلم اليقظة، إذ برغم أن (باشلار) أفاض في تحليل قدرة الروح المؤنثة على صياغة حلم يقظة شاعري، وأشار إلى أن اجتماع الروحين يعطي كائنا مثاليا، وحذرنا من أن الروح المذكرة ترتبط بالحلم، فإن دور حلم اليقظة بالروح المذكرة قد بقي سجين رفات الرجل...

- الفروق بين الجنسين على المستوى المعرفي بيولوجيا[13]

هناك أبحاث كثيرة تتناول موضوع الفروق بين الجنسين، وهي في بعضها تذهب إلى اعتبار أن هذه الفروق بيولوجية[14]، وأن تفاوت القدرات المعرفية بين الجنسين يعكس الاختلاف في

---

[12] - Ibid , P : 18

[13] - كيمورا، د.، مجلة العلوم ، المجلد 10، العدد 5، مايو/أيار1994 ،ص67-75.

[14] - هنالك دراسات تميل إلى أضفاء البعد البيولوجي على أية ظواهر سلوكية كالكذب مثلا؛ ففي أحدث دراسة أعلن باحثون أميركيون أن الإنسان الذي يكذب من دون أن يظهر أي علامة ندم يعاني طبيا خللا دماغيا وكانت دراسات سابقة أظهرت وجود نشاط كبير في منطقة مقدمة الجبهة، وهي المنطقة التي تسمح عادة بالإحساس بالندم أو تأنيب الضمير لدى الكذاب. إلا أن فريق يالينغ يانغ وأدريان رين (من جامعة كاليفورنيا ولوس انجليس) تمكن عبر الاستعانة بصور الرنين المغناطيسي، من اكتشاف اختلاف في بنية هذه المادة الدماغية بين الكذاب المريض والأفراد "الطبيعيين"وتمحورت دراسة الفريق الطبي على 108 متطوعين، منهم 12 كاذبا (11 رجلا وامرأة)، و16 فردا يتميزون بشخصية معادية للمجتمع، لكنهم لا يعانون الكذب المرضي (15 رجلا وامرأة)، و21 فردا طبيعيين (15 رجلا وست نساء)واكتشف الباحثون وجود اختلافات في توزع المادة الرمادية والمادة البيضاء في

التأثيرات الهرمونية في شكل الدماغ ونموه ، وهذه هي النتيجة التي انتهت إليها (كيمورا) الباحثة في الأسس العصبية والهارمونية للوظائف الفكرية الذهنية للإنسان، في قسم العلوم العصبية السريرية في جامعة كيربي في كندا ؛ حيث تعتبر أن الفوارق بين النساء والرجال لا تقتصر على السمات الجسمية والوظيفية والتناسلية فحسب، بل تتعداها إلى الكيفية التي يحل بها كل منهما المشكلات الفكرية أيضا؛ حيث تدل تجاربها على أن آثار الهرمونات الجنسية في التنظيم والتعضي الدماغي، تحدث في مرحلة مبكرة من الحياة ، حتى أن العوامل البيئية تفعل فعلها منذ البداية في دماغين صمما لدى الأنثى والذكر بصورتين مختلفتين، أي أنها تقر بأن العامل البيئي يتصل أيضا بالعامل البيولوجي والهرموني والجنسي، الذي يسبقه، أي أن الاستجابات البيئية هي بالأصل من تركيبة المتعضي، سواء أكان ذكرا أم أنثى، وهذا ما يجعل تقييم التجارب الشخصية بمنأى عن تلك الاستعدادات الفيزيولوجية أمرا متعذرا.

في أواسط الشهر الأول من عام **2005**، اقترح رئيس جامعة هارفارد "**L**سومرز"أن الفروق الفطرية في بنيان دماغي الذكر والأنثى يمكن أن تكون أحد عوامل الندرة النسبية لتخصص النساء في مجالات العلوم ." إذ تكشف تجارب التصوير هذه أن التباينات التشريحية موجودة في تشكيلة منوعة من المناطق في أرجاء الدماغ . فعلى سبيل المثال استخدمت**M.J**(كولدشتاين) "من كلية طب هارفارد" وزملاؤها تقانة التصوير التجاوبي المغنطيسي في قياس العديد من الباحات **areas** القشرية وتحت القشرية الدماغية. ووجد هؤلاء الباحثون، إضافة إلى أشياء أخرى ، أن أجزاء من القشرة الجبهية **frontal cortex**، التي تعد مقر العديد من الوظائف المعرفية العليا ، تكون لدى النساء أكبر منها لدى الرجال ، وكذلك الحال مع أجزاء من القشرة الجوفية **limbi cortex**التي تعنى بالاستجابات الانفعالية . وفي المقابل ، تكون عند الذكور أجزاء من القشرة الجدارية **parital cortex**، التي تعنى بإدراك الحيز **space**، أكبر مساحة منها لدى الإناث، ولاسيما اللوزة المخية **amyygdala**التي تمثل بنية لوزية الشكل تستجيب للمعلومات التي تثير الانفعال _ أي إلى كل شيء يسبب خفقان القلب وتدفق الأدرينالين .

والمادة البيضاء في الدماغ، إذ أن من يعانون الكذب المرضي سجلوا وجود نسبة أكبر من المادة البيضاء في منطقة مقدمة الجبهة، (أكثر بـ25.7 في المئة مقارنة بالأفراد المعادين للمجتمع وأكثر بـ 22 في المئة مقارنة بالأفراد "الطبيعيين").في المقابل، تبين أن الكذاب المريض الذي يخدع الآخرين يتميز بوجود نسبة أقل من المادة الرمادية في منطقة مقدمة الجبهة (أقل بنسبة 14.2 في المئة مقارنة بالأفراد الطبيعيين). وقال الباحث أدريان راين: "يتطلب الكذب الكثير من الجهد. ويمنح وجود المادة البيضاء الكاذب كل الأسلحة الضرورية لهذا الفن المعقد في الخداع"راجع جريدة الحياة ، لندن ، الاثنين 3،تشرين الأول،أكتوبر ،العدد15525.

ونشير هنا إلى أن هذه الفروق في الحجم، وكذلك الفروق الأخرى المذكورة في تلك المقالة هي فروق نسبية ، فهي تشير إلى الحجم الإجمالي للبنية بالقياس إلى الحجم الإجمالي للدماغ[15].

وثمة أبحاث أخرى تكتشف فروقا تشريحية بين الجنسين على المستوى الخلوي. فعلى سبيل المثال اكتشفت "s.بتلسون" وزملاؤها (في جامعة مكماستر) أن النساء يمتلكن كثافة كبيرة من العصبونات في أجزاء من قشرة الفص الصدغي **temporal lobe** تعنى بمعالجة اللغة وفهمها . فعند عد العصبونات في عينات منها بعد الموت، وجد الباحثون طبقتين، من أصل الطبقات الست الموجودة في تلك القشرة، تحويان عددا من العصبونات (في وحدة الحجم)أكبر لدى الإناث منه لدى الذكور . وقد ذكرت مثل هذه المكتشفات لاحقا فيما يخص الفص الجبهي.

وبتوافر مثل هذه المعلومات، يستطيع علماء الأعصاب الآن استقصاء ما إذا كانت الفروق بين الجنسين في عدد العصبونات تتلازم مع فروق في المقدرات المعرفية؛ أي على سبيل المثال، استقصاء ما إذا كان تعاظم تلك الكثافة في القشرة السمعية لدى الأنثى، يرتبط بأداء التفوق للنساء في اختبارات الطلاقة اللفظية عندهن.

ومما يثير الاهتمام أن الباحات الدماغية ، التي وجدت "كولدشتاين" أنها تختلف بين الرجال والنساء هي نفسها التي تحتوي عند الحيوانات على أكبر عدد من مستقبلات الهرمونات الجنسية أثناء التشكل والتنامي . وهذا الترابط بين حجم المنطقة الدماغية لدى البالغين والفعل الستيرويدي في الرحم يوحي بأن بعض الفروق الجنسانية (بين الجنسين) ، وفي الوظيفة المعرفية على الأقل، لا تنجم عن التأثيرات الثقافية أو عن التغييرات الهرمونية التي تصاحب المراهقة ؛ أي أنها قائمة منذ الولادة .

لقد انتهج "S.بارون كوهن"[16] ومعاونوه (في جامعة كمبردج) مقاربة خلاقة مختلفة لدراسة أثر الطبيعة مقابل أثر التربية فيما يخص الفروق بين الجنسين في المجال المعرفي. فلقد ذكر الكثير من الباحثين تباينات في توجيه الناس للولدان الذكور والإناث . وعلى سبيل المثال ، وجد "بارون –كوهن" وتلميذته ل."وتشمايا" أن البنات في سنتهن الأولى يقضين زمنا أطول في النظر إلى أمهاتهن قياسا إلى الذكور في العمر ذاته. وحينما عرضت على هؤلاء الأطفال

---

[15] - ل. كاهيل، دماغه ودماغها ،مجلة العلوم، المجلد 21،العددان8/7، تموز/يوليو، آب/ أغسطس،2005، ص.64-65.

[16] - المرجع السابق،ص.65.

تشكيلة أفلام لمشاهدتها، حدقت البنات لمدة أطول في فيلم يتعلق برؤية وجه ما ، في حين حدق الغلمان لمدة أطول في فيلم يعرض سيارات.

وبالطبع فإن هذه التفصيلات يمكن أن تنسب إلى فروق في طريقة تعامل البالغين مع الغلمان والبنات الصغار سلوكا ولعبا . ولاستبعاد هذه الإمكانية تقدم "بارون –كوهن" وتلاميذه خطوة أبعد، إذ أخذوا كاميرا فيديو **video camera** إلى جناح الولادة في أحد المستشفيات بغية فحص ما يفضله رضع عمرهم يوم واحد . وقد عرض على هؤلاء الرضع مشهد من اثنين : إما وجه بشوش لطالبة حية ، أو قطعة خشب متحركة تشبه وجه الطالبة لونا وحجماً وشكلاً ولكنها تتضمن خليطاً ملخبطاً من ملامح وجهها. وتحاشياً لأي انحياز، لم يكن القائمون بالتجربة يعرفون جنس الرضيع أثناء الاختبار. ولدى مشاهدة أشرطة الفيلم وجد هؤلاء الباحثون أن البنات أمضين وقتا في النظر إلى الطالبة، في حين صرف الغلمان وقتاً أطول في النظر إلى الجسم الآلي . لقد اتضح هذا الفرق في الاهتمام الاجتماعي في اليوم الأول من حياة الرضيع، مما يعني ضمناً أننا نولد من الرحم، ونحن نملك بعض الفروق الفطرية المعرفية(الاستعرافية) **cognitive**[17].

إن دراسة (كيمورا) للتأثيرات الهرمونية في عمل الدماغ خلال مسيرة الحياة، توحي بأن الضغوط التطورية تسمح بوجود تفاوت بين الجنسين بالقدرة الاستعرافية **(Cognitive)** أي في عملية المعرفة بحد ذاتها، وعلى هذا فإن الفوارق بين الجنسين معرفياً، تكمن في الطرز المختلفة للمهارات الفكرية التي يتمتع بها كل منهما أكثر مما هو يعود للمستوى الذكائي لبعضهما البعض.

هذه القضية التي تطرحها (كيمورا) تطرح علينا إشكاليتين:

إشكالية الفوارق الكاملة بين مطلق اختلاف جنسي هرمونياً: أي أن فوارق ما ينتج عن تلقي المتعضي ذكراً أو أنثى لكل من الهرمونين، الذكري أو الأنثوي، تتشكل بصورة مطلقة كفوارق بين الجنسين، وهو البحث الذي قامت به (كيمورا).

الفوارق اللحظية بين الجنسين هارمونياً: أي هل أن تبدل للوضع الآني للهرمونات الذكرية، أوالأنثوية، لدى كل من الذكر والأنثى يؤدي إلى تبدل الوضعية الآنية والطريقة الاستعرافية آنياً، التي ينتجها، أو يتعامل بها، كل من ذكر بعينه أو أنثى بعينها، لأن هذه الهرمونات تحرض بدورانها في الدم على الإمكانات المختلفة لكل من الذكر والأنثى من الناحية المعرفية أصولاً .

---

[17] - المرجع السابق، ص.66.

بشكل عام ترى (كيمورا) أن الرجال يتفوقون على النساء بسرعة إنجاز بعض الأعمال المكانية "spatial" (التي فيها حيز) لا سيما تلك الاختبارات التي تتطلب من الشخص الذي يتخيل أن يقوم بتدوير جسم ما أو ملاعبته، كذلك يتفوق الذكور في اختبارات الاستدلالات الرياضية، وفي الاهتداء إلى الطريق الصحيح في متاهة، كما أن الذكور أدق من النساء في الاختبارات الحركية الموجهة نحو هدف ما، كتوجيه قذيفة، أو اعتراضها.

أما الإناث فهنّ أسرع في تعرف الأشياء المتماثلة أوالمتوافقة أوالمتقاربة؛ أي هن أكثر قدرة على السرعة الإدراكية، والإناث أفضل بالطلاقة اللفظية؛ ومنها القدرة على إيجاد الكلمات التي تبدأ بحرف معين، أو يتوافر فيها قيد آخر، وهن يفقن الذكور في العمليات الحسابية، وفي تذكر المعالم المتواجدة في الطريق، وهن أسرع في أداء المهام اليدوية الدقيقة كوضع الأسافين في الثقوب المخصصة لها.

وتبين (كيمورا) أن الإناث أفضل في تذكر المعالم التفصيلية، ويملن إلى استخدام المعالم المرئية للتوجه في حياتهن اليومية. أما الاستراتيجيات التي يتبعها الذكور فلم تحدد تحديداً واضحاً بعد .

وقد ظهرت في دراسة لإيليز وسيلف رمان من جامعة بورك وظيفة أخرى للأنثى تتعلق بذاكرة المعالم؛ فالنساء أفضل من الذكور في ملاحظة المعالم المتغيرة لمكان ما، بما فيها الفوارق الدقيقة، وكذلك في الاختبارات التي تتطلب مواءمة للصور المضاهية، أي التي تختلف عن بعضها البعض اختلافاً دقيقاً، أو إيجاد كلمات تبدأ بحرف ما، أو تعتمد على الطلاقة الفكرية، كتسمية الأشياء ذات اللون الأحمر على سبيل المثال . وعليه تبني (كيمورا) قناعتها بأنه لما كان الرجال والنساء يتقاسمون مادة وراثية واحدة، باستثناء الصبغيين (الكروموزومين) الجنسيين، فإن الفروق بين الذكر والأنثى تأتي بنتيجة الهرمونات المختلفة للدماغ في مرحلة تكونه، فيبدأ التمايز الجنسي .

ففي مرحلة مبكرة من الحياة تفعل الأستروجينات والأندروجينات (وهي هرمونات الذكورة، ولا سيما التيستسترون)، فعلها في المرحلة الجنينية، حيث يكون لكل كائن حي من الحيوانات الثديية، بما في ذلك الإنسان، الإمكانية بأن يصبح ذكرا أو أنثى، فإذا كان الجنين يحمل الصبغي Y كانت الخطوة الأولى نحو الذكورة تتمثل في تشكل المنسلين الذكريين (الخصيتين)، وهكذا يبدأ إنتاج الهرمونات الذكرية، أما إذا لم يفرز المنسلان هرمونات ذكرية، أو حال سبب ما دون أن تفعل الهرمونات فعلها في النسيج اتخذ هذا الكائن شكل أنثى .

إذا تكونت الخصيتان فإنهما تفرزان مادتين تفضيان إلى الذكورة في جنين رحم الأم، وهما التستسترون وعاجل التراجع المولليري.

وتعتقد (كيمورا)، وفقاً لأبحاثها، بأن الهرمونات الجنسية الذكرية لا تتسبب بتحويل أعضاء الجهاز التناسلي إلى أعضاء ذكرية فحسب، بل هي مسؤولة عن تنظيم سلوك الذكورة في مرحلة مبكرة من العمر، وأيضاً تحديد اتجاه طريقة المعرفة لدى الذكر منه عن الأنثى .

هذه النقطة استخدمتها (كيمورا) من ملاحظة أن البقعة الدماغية المسؤولة عن التنظيم، أو التي تسمى تحت المهاد، أو الوطاء، وتتصل بالغدة النخامية الصماء هي أكبر حجماً لدى الذكور منها لدى الإناث، حيث تشير دراسة لـ(لوفاي) من معهد سالك للدراسات البيولوجية، أن بقعة تحت المهاد الأمامي هي أكبر حجماً في الذكور منها في الإناث، وهي أصغر في الرجال الجنوسيين منها لدى الرجال متغايري الجنس، فهذا الجزء مماثل لدى الأنثى لذلك الموجود لدى ذوي الميل الجنسي المثلي، حيث بات توصيف ذوي الميول الجنسية المثلية، اليوم، بأن سبب وضعهم جنسي؛ أي هناك شيء بيولوجي .

وقد ثبت وفقاً لدراسة (كلاديوم) من جامعة ولاية شمالي داكوتا، ودراسة ساندرس، أن هناك فوارق من حيث الأداء في الاختبارات الاستعرافية بين الرجال الجنوسيين ومتغايري الجنس، إذ أن أداء الجنوسيين دون أداء متغيري الجنس في موضوع الحيز المكاني.

وفي دراسة جديدة وجد (هول) أن النتائج التي حصل عليها الجنوسيون الذكور في مختبرات التسديد كانت أقل مما حصل عليها متغايرو الجنس من الرجال، لكنهم تفوقوا عليهم في الطلاقة الفكرية، كتسجيل الأشياء ذات اللون المحدد في دائرة واحدة، وهذه قيمة أنثوية.

وعليه: ترى كيمورا أنه بسبب التعرض للهرمونات الجنسية في مرحلة مبكرة من الحياة تنشأ تغيرات في الدماغ تستمر آثارها طيلة العمر، إلا أنها ترى بأن استخدام هذه الهرمونات نفسها في مراحل لاحقة لن يكون لها هذا الأثر، أي أنها تحدد المشكلة، معرفياً، بأنها تمايز يتحدد في الجنسين منذ لحظة التكوين في الرحم، ولا يتغير مع الزمن، ومع تعرض الكائن لمتغيرات هرمونية بعد الولادة، ولكن (كيمورا) لا تؤكد ما إذا كان هذا التأثير الهرموني الذي حدد الطبيعة التكوينية (التنظيمية) للدماغين الذكري والأنثوي لا يتأثر فعلياً في صلب بحثها، بل في محيطه بدرجة صعود وهبوط في استخدام تلك الملكات الذكرية والأنثوية، إذا ما تعرض لتغير وتبدل في الهرمونات كزيادة نسبة التستسترون لدى الرجل نتيجة الإثارة الجنسية، أو نتيجة تبدل وضع الأستروجين لدى الأنثى مع الدورة الشهرية، فالموضوع برمته عند (كيمورا)

يندرج في إطار أن جرعة التستسترون التي يأخذها الجنين في بطن أمه في المنسلين المتشكلين، هي التي تحدد الطبيعة الجنسية والمعرفية بصورة تنظيمية ونهائية .

إلا أن من الملاحظ في أغلب الدراسات الطبية الحديثة أن الأنثى مع بدء الدورة الشهرية، أو قبيلها، يحدث أن يتجمع لديها سائل إضافي في الدماغ يسمى (حبس سوائل دماغية) مما يؤثر على قدرتها الذهنية المنطقية، أو المعالجة التي تنسب إلى ما هو ذكري وفقاً لأنثوية العلم، إلا أنه لا تتوافر دراسات مخبرية متكاملة تدرس الحالة التفصيلية لمتغيرات يومية للأداء المعرفي نتيجة صعود وهبوط، أي من الهرمونين الذكري والأنثوي، مع متغيرات حياتية لكل من الذكر والأنثى، وعلى هذا فقد بيّن الباحث (ميني) من جامعة (مك كل) أن الميل لألعاب العراك يظهر في الذكور الصغار بتأثير الديدهيديسترون في اللوزة المخية، وليس في الهيباتالاموس.

وعلى هذا ترى (كيمورا) أن حرمان الوليد الذكر في بطن أمه من التستسترون بخصائه، أو إعطاء الوليدة هرموناً مسبباً للذكورة خلال عملية نمو الدماغ المبكرة، فإنهما يؤديان إلى عكس كامل للتصرفات المرتبطة بالجنس؛ فتتصرف الإناث تصرفات ذكور، ويتصرف الذكور تصرفات مختصة بالإناث.

ومن أهم الدلائل وأقواها ما بينته الدراسات على الإناث اللواتي يتعرضن لكميات كبيرة من الأندروجينات الكظرية قبل الولادة، أو لدى حديثي الولادة، إما لسبب مرضي، أو لتناول أمهاتهن لبعض الأدوية أثناء الحمل، ما يجعل البدن يصنع كميات كبيرة شاذة من الأندروجينات الكظرية، ما يؤدي إلى مشكلات في تحديد الجنوسة، ويمكن تصحيح التأثيرات التذكيرية الناجمة عن تلك الأندروجينات، (التستسترونات) للبنات في مرحلة مبكرة من العمر، كما توقف المعالجات الدوائية فرط إفراز الأندروجينات بينما تأثير الهرمونات الذكرية يبقى في أدمغتهن، والتي تحدث قبل الولادة لا يمكن تصحيحها أو ردها، وقد أظهرت دراسات قام بها باحثون مثل أير هاربت من جامعة كولومبيا، ورنش من مؤسسة كيري، أن البنات اللواتي تعرضن لكميات كبيرة من الأندروجينات (هرمونات ذكرية) أثناء الحمل بهن، غدون أكثر صبيانية وعدوانية من شقيقاتهن العاديات، كما أنهن يفضلن ألعاب الذكور كألعاب السيارات في صيغة مماثلة لما لدى الأطفال الذكور .

وتوحي الدراسات أن الأنثى التي تتعرض في بطن أمها إلى ازدياد في تركيز الأندروجينات، تفعل فعلها في مستوى الأداء الحيزي أو المكاني، إلا أن العلاقة ليست خطية، فقد لا تزداد القدرات الحيزية بمقدار زيادة الأندروجينات. والمسألة مسألة استجابة، وهنا فإن دراسة (كيمورا) تفيد بتفوق الرجال ذوي التستسترون المنخفض عن أمثالهم ذوي التستسترون المرتفع في

اختبارات الحيزات المكانية، وبراعة النساء ذوي التستسترون المرتفع أكثر من مثيلاتهن ذوي التستسترون المنخفض، وتوحي هذه النتائج أن هناك مستوى مثالياً للأندروجينات يكون عنده الأداء الحيزي أفضل ما يمكن، وقد يقع هذا المقدار ضمن الحدود المنخفضة للذكور.

كذلك الأمر في الاستدلال الرياضي، فقد بينت أبحاث (كيمورا) شيئاً شبيهاً للنتائج حول موضوع اختبارات القدرة الحيزية للرجال، فكان أداء الرجال من ذوي الأندروجينات المنخفضة أفضل من سواهم لدى الإناث، فلم تظهر علاقة واضحة أفضل في الهرمون، أو حسن الأداء.

إلا أن دراسة (بن بون) من جامعة ولاية أيوا قد بينت أن النبوغ، أو التفوق في الرياضيات، مرده إلى عوامل بيولوجية مهمة، فالباحثة (بن بون) وجدت مع زملائها تفوقاً مطرداً للذكور على الإناث في الاستدلال الرياضي بنسبة 13 إلى 1 .

وهناك طريقة أخرى لدراسة الفوارق بين الذكر والأنثى بفحص وظائف بعض الأجهزة الدماغية، ومقارنتها لدى الجنسين، حيث تشير هذه الدراسات أن النصف الأيسر للدماغ يؤدي بالغ الأهمية للكلام، في حين تتركز الوظائف الحسية الحيزية في النصف الأيمن .

وهناك ملاحظة تشير إلى عدم التناظر بين نصفي الدماغ، باعتباره أشد منه لدى الذكور منه لدى الإناث، ففي دراسة (جشونت) من مدرسة (هارد بارت) الطبية، تبين أن الأندروجينات تزيد من الفعاليات للنصف الأيمن من الدماغ .

ووجد دولا كوستا 1991 أن قشرة النصف الأيمن من الدماغ في الذكور أكثر ثخانة منها في النصف الآخر، وهناك أدلة تشريحية تدعم الاعتقاد بأن نصفي الكرة الدماغي قد لا يكونان غير متناظرين بدرجة واحدة لدى الجنسين، بدليل أن إصابة النصف الأيمن لدى كل من ذكر وأنثى لدى إحدى التجارب لم يكن له أثر موحد في موضوع الحيز إذ كان أثره أكبر في الرجال منه لدى النساء .

ننتهي إلى أنه من جملة ما تقدم ترى (كيمورا) أن الأدلة تشير إلى وجود اختلاف في التعضي الدماغي لدى الجنسين يبدأ في مرحلة مبكرة جداً من الحياة، وأن الهرمونات الجنسية توجه هذا التمايز بين الجنسين أثناء النمو الجنيني، وأن هناك علاقة بين مستويات هرمونات معينة، والكيان الاستعرافي للشخص في مرحلة البلوغ .

ومع ذلك، فإن المشكلة الثانية التي طرحناها في إطار هذا البحث، وهي التبدل المعرفي نتيجة تبدل الهرمونات في مرحلة متقدمة هي بعد البلوغ، تطرح بشكل واضح اليوم في بعض الأبحاث، حيث بينت (هامب تويغ) من جامعة غرب أورتاريو أن الأنماط الاستعرافية حساسة للتقلبات الهرمونية في جميع مراحل الحياة، وأن أداء النساء لبعض المهمات خلال الدورة الطمثية

يتفاوت حسب تقلب مستوى الأندروجين، فقد ترافق ارتفاع مستوى الهرمونات ليس مع هبوط القدرات الحيزية فقط، بل مع تعزيز القدرات الحركية، وأن وجود فوارق ثابتة بين الجنسين قد تكون كبيرة أحياناً، بما يوحي بأن للجنسين قدرات مهنية قد تكون مختلفة، وغير مرتبطة بالتأثيرات الاجتماعية، أي ليس لهذا الأمر بعد اجتماعي.

- فلسفة المعرفة الأنثوية:

درجا على بعض مما سبق في علم النفس، وفي الفلسفة الأنثوية عند باشلار، والاكتشافات العلمية في هذا الخصوص، تبني د.يمنى الخولي في مقدمة تصديرها لكتاب د.ليندا جين شيفرد "أنثوية المعرفة" رؤيتها إلى أن العلم هو كيان تتكامل فيه سائر الخصائص الإنسانية الإيجابية الذكرية والأنثوية على السواء، وليس الذكرية فحسب، وأن المطلوب هو إظهار الجانب الحي المحجوب أو المطمور من العلم، عن طريق البحث عن عناصر الأنثوية في واقع الممارسة العلمية، وفي البحوث، وفي الكشوف العلمية الراهنة.[18]

- أنثوية المعرفة عند شيفرد:

العلم من منظور الفلسفة الأنثوية عند ليندا جين شيفرد يقوم على أساس النظر إلى الجوانب التي يثريها النصف الأيمن من الدماغ في المعرفة العلمية، من حيث تجاوز التراتبية الهرمية الأحادية الجانب أو الرؤية، وصولا إلى رؤية التنوع بجماليته ومنافعه[19]، وذلك بالاعتماد على ثراء (مبدأ الأنثوية) عند يونغ وأتباعه المحدثين، وهو الذي يرى الأنثوية كمفردة علم تتمايز عن المبدأ الأنثوي النمطي(السائد) وعن التصور السطحي للأنوثة كحلوة ومثيرة فيها كل ما هو لطيف وناعم، وهي مفردة تعني القوة التي تجذب وتربط وتجمع الناس معا نحو الكلية **(Wholeness)** وهنا يمكن للرجال أن يكاملوا الجانب الأنثوي في أنفسهم، وتتكامل النساء مع الجانب الذكوري في نفوسهن، يساعدها في هذا المفهوم الصيني عن الين واليانغ الذي يقسم المعرفة والسمات وفقا للجدول التالي[20]:

الين: الأنثوية	اليانغ : الذكرية
استسلام	قوة أولية
متلق، هامد	مقتحم، فعال، ديناميكي

---

[18] - مقدمة د.يمنى الخولي ،في كتاب د.ليندا جين شيفرد ،أنثوية المعرفة ،عالم المعرفة ،العدد306، آب/ أغسطس2004، الكويت، ص:9.

[19] - أنثوية المعرفة، مرجع سابق، ص 19.

[20] - المرجع السابق، ص 34.

الشعور	التفكير
الايروس، مبدأ الترابطية	اللوجوس،مبدأ الاهتمام الموضوعي
تطبيق المعرفة	المعرفة من أجل المعرفة
الشمولية	التحليلية
لا انضباطية	انضباطية
العشوائية **chaos**	النظام
البهجة، المتعة	الإنجاز والفعالية
الأمان، الألفة	التجربة ، المغامرة
حس الجماعة	التنافس
الوعي المشتت	تركيز الانتباه
الروح، الجسد	الرأس، الذكاء
الحدس	المعرفة المجتناة عن طريق الحواس
غير محسوس	المحسوس
الاسترخاء	التركيز والتصميم
الخضوع ،التحفظ	المتابعة ، البناء
ناعم	صلب
الأرض، الماء	النار، الهواء
رطب	جاف
الظلام، الليل	النور، النهار
القمر	الشمس
بارد	حار
الشتاء	الصيف
سلبي	إيجابي
أفقي	رأسي
الخضروات	اللحوم

إذا ، المقصود هنا الجانب الأنثوي **Anima** في كل من الرجل والأنثى معا ، وهو أنثوي لغة ومصطلحا ، لأنه أكثر بروزا لدى الأنثى منه لدى الرجل، وعند عدم توافره في الأنثى غير

النمطية، فإننا نكون هنا إزاء امرأة لا تستخدم الجانب الأنثوي من عقلها، أي الأنثوية المعرفية لديها، بل تغلّب الجانب الآخر، أي الذكري منه.

إن اعتبارات الاختلاف بين الرجال والنساء قائمة بالفعل ،حسب شيفرد، إذ بخلاف أن بحوثاً أنثروبولوجية أجرتها مارغريت ميد **M.Mead** تشير إلى أن الجنوسة بنية ثقافية، ثمة أقطاب للبيولوجيا الاجتماعية أمثال ويلسون. **E.O.wilson** يرون أن الأنماط السلوكية القياسية للذكور والإناث قد تحددت بيولوجياً.

وتلك هي المناظرة الطبيعية بوصفها شيئاً مؤنثاً وأسماها "الأم" بينما تحدث عن السماوات والشمس، بوصفها المحدث (الأب). وأعتبر أن علاقة الذكر بالأنثى هي بطبيعتها علاقة الأعلى بالأدنى، والحاكم بالمحكوم، وأن الأنوثة هي "تشوه" على الرغم من أنها تحدث في السياق العادي للطبيعة[21].

وعلى الرغم من أن تهمة الأنثوية حاضرة باستمرار في سياق العلم المسفه، حيث سفّه العلماء الإنكليز منافسيهم في فرنسا بأن أطلقوا عليهم لقب المتأنثين، وهاجم فرنسيس بيكون الفلسفة الأرسطية على اعتبار أنها سلبية وضعيفة (وأنثوية)[22]، وبنى دفاعه عن استخدام الفلسفة التجريبية الجديدة تدشيناً للميلاد الحقيقي "للعصر الذكوري" حسب تعبيره، وبناء العلم الحديث لسنوات طويلة على أساس المنطق الذكري التجريبي في العلم، إلا أن تيارات عدة كانت تحاول أن تمنع هذا الاتجاه الأحادي في هيمنة آلية معرفية واحدة على المنجز العملي، حتى أن إيان متروف **I Mitroff.** قد انتقد هيمنة الروح الذكرية على روح برنامج غزو القمر مشدداً على ضرورة الاعتراف بأهمية تعلم كيفية ممارسة العلم بالعاطفة[23]. وهنا لاحظت شيفرد اعتماد العلم على الملاحظة والقياس والتفكير، واستعباد الشعور والحدس الأمر الذي دفعها إلى ملاحظة أهمية العملية السيميائية في اكتشاف العلاقة التبادلية بين ظرف السيميائي النفسي وبين العالم الخارجي[24]، وهو نفسه الموقف الذي يكتشفه باشلار في كتابه"تكوين العقل العلمي" بخصوص العقبة الإيبستمولوجية التي تتأتى من إضفاء النزعة النفسية الجوانية على موضوع المعرفة العلمية، حيث ترى شيفرد بأن المرحلة الأخيرة من السيمياء تبزغ فيها التقابلات "الذكرية

---

[21]- **Aristotle,"On the Generation ot Arimal, vol.chicago: William Benton , Encyclobedia Brintanica, 1952,p.278.**

[22] - **Londa Shiebinger,The Mind Has No Sex, Cambridge,Mass.:Harvard university prss,1989,pp.137-138.**

[23]- **Ian Mitroff, The subjective Side of science, Seaside, calif.:Inter-systems Publications,1983,p.210.**

[24] شيفرد، مرجع سابق ،ص.57.

"الذكرية والأنثوية" وتندمج معاً لتخلق شيئاً جديداً وفائقاً، مايعني أن تكامل الجانبين الذكري والأنثوي في المعرفة هو الذي يولد الحالة الجديدة؛ وكأنها تقارب هنا لحظة الجمع بين التموجية والجسيمية في الضوء لتنتج عند لوي دوبري الظاهرة الجسيمية التموجية، ليجمع بذلك نظرية ماكسويل وماكس بلانك، وهو ما يراه غاستون باشلار أحد نماذج القطيعة الإبيستمولوجية التي تجمع المتناقضات ذكرية وأنثوية. وهنا تصوغ شيفرد تصوراتها عن الجوانب الأنثوية في المعرفة، مقسمة إياها إلى ثمانية عناصر، هي: الشعور والتلقي والذاتية والتعددية والرعاية والتعاون والحدس والترابطية، وفقاً لما يلي:

1- الشعور :'بحث يدفعه الحب'[25]

إذا كانت المعرفة الذكرية تصر على الحياد العاطفي، إلا أن عدداً من العلماء يطالبون بالالتفات إلى ندرة الود في العلم الذي يؤوله "متروف" باعتباره كبتاً للاستجابات الوجدانية أو للمشاعر. وهنا تطالب شيفرد باستكشاف العاطفة والشعور في عملية التوازن في العلم أحادي الجانب، والتقدم بإسهام إيجابي عن طريق :

- لفت الانتباه إلى القيم والأخلاقيات.
- المعاونة في تقويم المواءمة ودعائم التناسب.
- أن يكون البحث مدفوعاً باستثمار الطبيعة بدلاً من الرغبة في التحكم بها.
- احترام الطبيعة بدلاً من استغلالها وكأنها سلعة.
- مراعاة مشاعر الآخرين (شيفرد، 19).

وتعتمد الفيلسوفة الأنثوية شيفرد في فهمها للذكرية والأنثوية محاور يونغ الأساسية التي تحققها الترسيمة التالية:

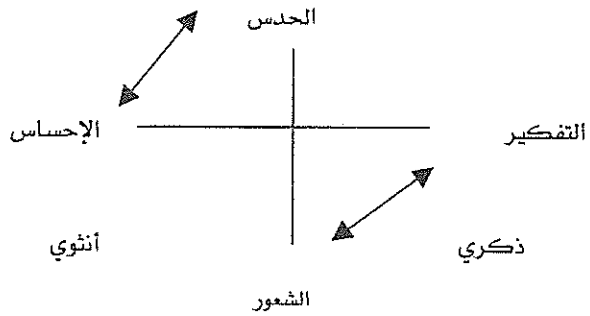

[25] شيفرد، مرجع سابق، ص. 79-110.

وتلاحظ أن البشر في الطفولة يعتمدون أساساً على وظيفة واحدة، ولكن مع النضج، يطور كثير من البشر وظيفة مساعدة من المحور المقابل، فالتفكير يطور الإحساس كوظيفة ثانية. وفي ما بعد قد يتم تطوير وظيفة ثالثة من المحور نفسه بوصفها وظيفة مساعدة، وهي الحدس في هذه الحالة. فيما أن الوظيفة المقابلة لوظيفتنا الأولية هي آخر ما يتم تطويره، وهي هنا (الشعور). فالإحساس والحدس سبيلان للإدراك يزودانا بالمعلومات، فيمدنا الإحساس بمعارف عن العالم الخارجي من خلال الحواس، فيما ينفتح الحدس على الوعي الفجائي، وعلى التأمل، وعلى الخيال، وعلى كل الممكنات. وإذ كان الإحساس هو النمط التجريبي الذي يجمع أشتات المعطيات، ويزودنا بوقائع جديدة، ونمط التفكير هو النمط النظري الذي يشيد نماذج ومنظومات منطقية، فإن كلاً من الإحساس والتفكير يشكلان الأسلوب الذكري في المعرفة، فيما الشعور والحدس يشكلان العنصر الأنثوي فيها. وهنا تشرح شيفرد بأن الشعور يتقدم مع التفكير بعملية التقويم والحكم، فإذا كان التفكير هو وظيفة لحل المشكلات، وترتيب الأشياء، أو الوقائع، أو الأفكار، في تسلسل أو تراتب هرمي له معناه ومغزاه، فإن وظيفة الشعور هي التقويم أي تقويم الشيء على أنه جدير، أو تحديد القيمة فهو ليس مجرد عاطفة من قبيل الحبور والاستثارة والغضب والخوف والعار، إنما هي التبصر في كل الوظائف، ووظيفة الشعور أيضاً خلق الدفء، حيث توجد برودة العقل (البارد الصرف)، وخلق الجمال، حيث يوجد المخ، وتؤدي في شكلها الانبساطي إلى مهارات اجتماعية في الحس والإقناع، وتبني جسوراً بين البشر والاستجابة الايجابية من قبيل مفردات من نوع : ذاتي، وقيم، وإنساني، وخير أو شر، وتلطيف الظروف والانسجام والسياق والكيفية.

نمطية الشعور تتجسد من خلال إحساس قوي بالقيم، وأحكام الشعور لها عقلانيتها الخاصة بها، القائمة على حس ملائم مشحوذ بالخير والشر، والصواب والخطأ، والجميل والقبيح، وهي تعتمد على سياق الموقف، لا على فئة من القواعد الموصوفة، وحيثياتها تبدو غير معقولة لدى أصحاب نمطية التفكير (المنطقي)؛ لأنها قائمة على أساس القيم لا على أساس المنطق، ولذلك فالطرفان يتكلمان لغتين مختلفتين. ويمكن لمشاعر الجسد أن تعطي المحتوى لوظيفة الشعور من أجل إصدار أحكام القيمة. وحين الالتجاء لأحكام القيمة، فإن المناقش يتريث بُرهة لاستشراف الأمر عبر جسده، مما يسم الشخصيات الشعورية بالتباطؤ، بينما أصحاب نمط التفكير يستجيبون بعقولهم استجابة أسرع.

ويقدم الفيزيائي إبرهارد ريدل نموذجه الشعوري بالقول: المعادلة بالنسبة لي شيء تحريكيّ؛ فأنا يجب أن أحتويها في داخلي وأتساءل :"هل يمكن أن يكون ذلك صواباً، وهل يتفق مع إحساسي بالعملية".

ويتفق في هذا البعد الشعوري الفيلسوف محمد بديع الكسم عندما يعتبر أن البرهان يصبح صحيحاً، لأنني اقتنعت به داخلياً. صحيح أن في هذا بعداً يتصل بالتفكير، إلا أنه يتصل بعمق في فكرة الشعور التي تعني الدخول في أعماق الذات. يقول:"الإنسان هو الذي يختار حقائقه، إذ يختار ذاته، ... إن كل حقيقة- قيمة هي حقيقة- لي"[26]، "العلم بدوره، ليس علماً إلا بالوجدان وللوجدان، فإذا كنت مثلاً أقرر نظرية فيثاغورث، فذلك لأنني رأيت أن هذه النظرية... بعد أن حققت في ذهني خطوات البرهان...إنها حقيقة لي، وصدقها عندي لا ينبع من صفتها الكلية، التي تفرضها على العقول جميعاً فرضاً واقعياً، إنما ينبع من بنيتي العقلية التي تلزمني بالتسليم بها إلزاماً"[27]، "فعقلي يجد فيها توازنه وراحته"[28].

يوضح ريدل أن الجسد يبصر وظيفة الشعور بالحكم عما إذا كان شيء ما صواباً أم خطأ، ونستطيع أن نتعلم بالتدريج كيف نستجمع المحتوى من كل أجزاء ذواتنا، وليس من الرؤوس فقط.

إن الشعور هو الذي يتساءل عن أولوية مشروع علمي وعواقب المعرفة المجتناة، أي أن دوماً هو الناقد (التقييمي)؛ أي الباحث عن القيمة.

إن التفكير والشعور كليهما لبيب في وظائف التمييز بين الأولويات، وفي تقويم أهمية مشروع البحث العلمي، وفي جني المغانم الفكرية، وتبيان القيمة الجمالية، وفرض أخلاقيات الموقف، أي أن الشعور يقوم بالتمييز والنبذ، إنه يخبرنا بما نريده، ويقينا من إلحاق الضرر بأنفسنا وبالآخرين عن طريق المعرفة نفسها.

لقد لاحظ يونغ، الذي تستمد منه شيفرد أساسيات فلسفتها الأنثوية، أن الحب والقوة يستبعد كلاهما الآخر قائلاً: "حينما يحكم الحب، لا أحد يريد القوة، وحين تسود القوة يختفي الحب"[29]، لتستنتج منه أن الشعور يأتي العلم بطراز من البحث مدفوع بحب الطبيعة، بدلاً من الرغبة في التحكم بها، ويعطيه الإحساس العاطفي بالعمل، والاستثارة بتعلم أشياء جديدة، والحبور برؤية نموذج ينبثق، أوليس الإنجاز العلمي هو (الانبثاق) **Emerge**، حسبما يقول باشلار؟، وهو من قبيل الزمن العمودي. هنا يترافق الشعور الجمالي بالانبثاق، بالخبرة، وبالتفكير فيما ليس مفكراً به مع الإنجاز العلمي نفسه، فتلهم التفكير ويتكاملان معاً، ففيه

---

[26] د.محمد بديع الكسم، البرهان في الفلسفة، وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص.31.

[27] المرجع السابق، ص. 33.

[28] المرجع السابق، ص. 61.

[29] C.G.Jung,Two Essays on Analytical Psychology, Princenton University Press,1959,P.78

(أي الشعور) تلك العاطفة نحو معرفة الطبيعة كمعشوق، والانغماس الحميم فيها بحثاً، بحيث تقيم شعوراً بالارتباط بالطبيعة موضع البحث.

هذا الشعور بالارتباط بالطبيعة يحول بين العالِم، وبين التعامل مع منتجات الأرض على أنها مجرد بضائع لاستعمالها والاستغناء عنها، بل يدفع التوحد مع موضوع الدراسة، بما يفضي إلى معرفة أعمق.

إن الشعور يخلق وداً في العلم، أي نوعية تفاعل اجتماعي؛ هو التعاون وتقاسم العمل بين العلماء والباحثين ومساعديهم.

2- التلقي (الإنصات إلى الطبيعة)[30]

التلقي حسب شيفرد واحد من خصائص الطراز البدائي للأنثوية، وهذا الترميز مأخوذ من الرَّحم من حيث هي وعاء منفتح للإخصاب. وهذا التلقي يهب العلم انفتاحاً على الإنصات للطبيعة، والاستجابة في نوع من الحوار، أو التشارك مع الطبيعة.

إن ثمار التلقي في المعرفة العلمية لا تتبدى للعيان فوراً. إنه الذي يفسح المجال أمام الصبر على الأسئلة التي تستغرق وقتاً طويلاً، وتتطلب الكثير من التفكير عبر الإنصات، وليس العمل والإنجاز فقط، إنه ذلك التفحص للمعطيات، والإنصات من العلماء لبعضهم البعض. إنه ليس إنصاتاً سلبياً؛ إنه استدعاء للصبر وإيقاظ للوعي والانفتاح والاستجابة.

المتلقي يحتوي، ويجمع المعطيات، في داخله ينبثق شيء من التفاعلات والتحولات و التبدلات. وهو يستطيع بالتالي أن يقول لا، فهو ليس سلة مهملات تقبل كل شيء يلقى فيها. إنه التأمل في المعطيات، وصورة الإنصات إلى الطبيعة، وتلقي الآخرين، وأن يتلقاك الآخرون.

التلقي لا يخضع لمفردة السيطرة على الأشياء، والتلاعب بها، إنه ملاحظة الأشياء وتركها تحدث، فتصبح الطبيعة معطيات ومعلومات مفتوحةً للإدراك. وهذا يشكل أساساً للعلم، لأن العلوم هي في قاعدتها الأساس علوم ملاحظة.

التلقي هو تضحية بالأفكار المسبقة، وبالنظريات الدوغمائية. إنه أقرب إلى التواضع الذي يستطيع مالكه أن لا يصعب عليه الاعتراف بأن الفكرة خاطئة، وبالتالي عدم الارتهان في محبس الأفكار. فالجهد اللازم كي يغير الناس أفكارهم يفوق ما هو مطلوب لجعلهم يتقبلون نظرية جديدة تطرح لأول مرة. فالإيديولوجي هو شخص لا ينصت. إنه لا يتلقى. يتمسك بالأفكار

---

[30] أنثوية العلم، مرجع سابق، ص 111- 130.

كما لو أنه يتمسك بأناه، ما يدفعه لعدم الاستماع أو القبول بالآخر. هذا ما حدث في اضطهاد غاليليو، وهو ما حدث بتهكم الفلكي أرثر إدنفتون من نظرية سابراهمنيان تشاندراسكار حول علاقة الكتلة بخسوف النجوم، واحتاج الأمر إلى عشرين عاماً إلى أن يتم قبولها، وهذا ما حدث مع اينشتاين في نظرية النسبية الخاصة، وقد مارس السلوك نفسه تجاه الفيزياء الكمومية. ألا يقال: "لا طاعة لنبي في قومه"؛ إنه المثال الذي يطرح نفسه كدليل على امتناع الإنصات، والتأمل، والتعلم، لما هو جديد. فالجديد هو ما ليس مفكراً به، والسائد يشكل عقبة إبيستمولوجية تمنع تعلم الجديد، كما يقول الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار.

إن الإنكار هو آلية نفسية مفيدة في حماية الذات من التعامل مع أشياء تهدد سكونها، واطمئنانها إلى ما لديها. خاصة إذا ما كانت هذه الأشياء من قبيل العماه أو العشواء (**chaos**) أو اللاخطية التي تكتنف الطبيعة، والتي تغدو غير قابلة للتنبؤ، أو التي لا يكون لها حل واحد.

العشوائية تماثل حسب شيفرد الخصائص الأنثوية: عدم القابلية للتنبؤ، والعملية اللاخطية، وأهمية السياق فيه، وترابطية الأجزاء، وهي تعطي انطباعاً عن عالم متنوع يجب الإنصات إليه، وعدم الركون إلى النظرة أحادية الجانب لفهمه.

يلاحظ يونغ أنه حينما يهيمن على الحياة الواعية اتجاه أحادي الجانب يبني المقابل المساوي له (رد الفعل) قوةً في اللاوعي، تثبط من أداء الوعي، حينئذ تستطيع المتقابلات أن تشكل شريكاً مساهماً، وهذا ما يستدعي أن يتم تلقيه والإنصات له، مما يجعلنا متحفزين دائماً، لأن نبدل من منظورنا للعالم تبديلاً جوهرياً.

3- الذاتية: (اكتشاف النفس من خلال التجربة)[31]

بخلاف التصور النفسي أو حتى المرضي (**Egocentrism**)؛ نعني التمحور حول الذات، فإن الذاتية عند شيفرد هي أمرأنثوي إلى حد ما في المعرفة. متسائلة: "ماذا لو أن النظرة الموضوعية للطبيعة استضاءت عن وعي بما هو شخصي، وأقيم الشخصي على أساس الموضوع؟".

تستند شيفرد، في رؤيتها للذاتية، للاختبارات التي تؤكد أن البشر، في واقع الأمر، يتعلمون كيف يرون؛ فمن أجل الخروج بمعنى من خبرة ما لا بد أن يؤوّل وعينا الدفعات الكهربائية المنقولة من الحواس إلى الدماغ، وبالتالي فجانب من تكيفنا العادي هو اتفاق مع الآخرين بشأن ما نراه وما نسمعه (وكأنها هنا تعتبر الوعي هو اتفاق أو مواضعة بين الناس تشكلها حالة الوعي السائد)، كما هو الحال في تجربة القطط التي وضعت في بيئة لا ترى فيها

---

[31]- شيفرد، مرجع سابق **131-160**

سوى شرائط أفقية. وحين البلوغ لم تعد تستطيع أن ترى سوى العالم الأفقي، وكذلك فإن الذين يولدون مكفوفين، ويستردون بصرهم بعد عملية جراحية لا يعرفون كيف يفسرون ما يرونه. وعلى هذا الأساس فهي ترى أن الواقع الموضوعي شيء نعتقد أننا جميعاً نتشارك فيه. ومثل هذه الدراسات تؤكد على أن جهازنا العصبي لا يتقبل إلا ما تمت برمجتنا على رؤيته. إنها إشارة من شيفرد إلى المواضعاتية من ناحية، وإلى العقبة الإيبستمولوجية، كما جاءت عند الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، الذي يعتبر أن المعرفة الشائعة والجانب النفسي في المعرفة كلاهما يشكل عقبة إيبستمولوجية في وجه التطور المعرفي الذي هو بكلمة (التفكير في ما ليس مفكراً به). ولهذا فإن ما نعتاد عليه يمنع عنا التفكير في ما لم نفكر به، أو في ما لا تسمح لنا حواسنا برؤيته. فالنحلة لا ترى اللون الأحمر، بل ترى الألوان فوق البنفسجية، والخفاش يدركها كصدى لموجاته فوق الصوتية، ويشعر بها الثعبان كأشعة تحت حمراء، وعينا الحرباء تتحرك على محورين أي أنها ترى أبعاداً غير أبعاد رؤيتنا. وهذا ما يطرح تساؤلاً عن موضوع الكون الموضوعي، إلا أن الإيبستمولوجي في جامعة هارفارد (إزرايل شيلفر) يرى العلم كمشروع نسقي عام، المحكوم بالمنطق، وبالواقعة التجريبية، وهدفه صياغة الحقيقة التي هي : الوضع الذي تتبدى به حالة ما في زمان ومكان، وحيث يشدد العلم على البحث الموضوعي الذي يتنزه ولا ينحاز، ويتجرد ويخلو من الأنا، إلا أن شيفرد ترى غير ذلك، إذ تعتبر أن المعرفة (بنائية)، مستخدمة مصطلح مارلين فيرجسون، "المعتقد التجريبي" لوصف موقف التفتح للإنصات إلى مفاهيم جديدة. وهنا يتأسس مفهوم (فن الإنصات) وهو أن نكون متفتحين لأن نسمح لشيء ما أن يلج أو يتبدى دون أن نعترض سبيله بتفكيرنا وبتأويلاتنا. وهو فن يتطلب تعليقاً مؤقتاً للشك وللإنكار، وذلك عن طريق (انعكاس الذات) بالسؤال: لو أن هذا صحيحاً، فماذا إذاً؟ علام يدل ضمناً؟ ما هي محصلات هذه الفكرة؟.

إن الموضوعية، من حيث هي أداة لاجتياز عدم الثقة، قد خدمت في خلق واقع مجمع عليه"، ولكن على حساب المختلف والعياني. وهنا يعتبر العالم الداخلي فحص هوى وخيال، وهذا نتاج فلسفة الوضعية المنطقية التي تغلغلت في ثنايا العلم الحديث كمقاييس ضد الخرافات. وعليه، فإن شيفرد ترى بأن خلق واقع مجمع عليه من خلال الموضوعية لا يعادل بالضرورة الحقيقة، أو الواقع (بمعنى الموجود هنا). ففي عام 1989نشرت لجنة السلوك العلمي في الأكاديمية القومية للعلم كتيباً بعنوان "في أن تصبح عالماً" تعترف فيه بأن المعرفة العلمية تنشأ عن "عملية إنسانية" إلى حد بعيد، وأن الجانب الأكبر من المعارف التي يستخدمها العلماء في اتخاذ القرارات ليست

نتاجاً للبحث العلمي، بل تتضمن بديلاً من هذا أحكاماً محملة بالقيمة والرغبات الشخصية، وحتى شخصية الباحث وأسلوبه[32].

وإذ يقيم الذاتيون الحجج في مواجهة الموضوعية، توافق شيفرد على أن المقاربة الذاتية المحض ليست مفيدة، لأنها لا تسمح بالمشاركة في المعرفة، فهي ترى ضرورة استضاءة النظرة الموضوعية للطبيعة عن وعي بما هو شخصي، على أن يقام الشخصي على أساس الموضوع. فمن المنظور الأنثوي؛ "كل حقيقة كائنة في سياق". وعلى الرغم من أننا قد لا نعرف الحقيقة أبداً، إلا أننا نستطيع استكشاف الوجوه المختلفة للواقع بتقارب متزايد. وتعتبر أن نظرية الكوانتم (الكوانتية) كما نظرية العشواء قد بدلتا من حال الفيزياء والرياضيات كل على الترتيب. فبدلاً من كون جامد من الموضوعات يلاحظه العالم المتجرد تكشف نظرية الكوانتم عن شبكة كلية من المتواصل المتبادل. ففي الكوانتية تتبدى الخصائص المحالة إلى الأنثوية، حيث أن مبدأ اللا يقين لهيزينبرغ يمثل بعضاً من المعالم المرافقة لنظرية الكوانتم، وبالتالي للعلاقة بين الملاحِظ والملاحَظ، وبالتالي فإن النوع البشري كله، والطبيعة بأسرها، جزء من المنظومة نفسها، وعليه فإن النظرية الكوانتية تثبت كنظرية العشواء، أن عدم القابلية للتبوء أساسية في الطبيعة (وهذا ما يتم غالباً إسقاطه على الأنثوية) حيث أننا لا نستطيع الحديث إلا بلغة الاحتمالات، واللايقين الذي يدمجنا في تغذية خلفية راجعة **Feed Back** (استرجاعية) بحيث نعدل عملياتنا أثناء سيرنا. فالكوانتية تؤكد أن الواقع لا يمكن أبداً وصفه بدقة . فاللايقينيات تتضخم بعمليات تكرارية حتى يصبح لها تأثير جوهري على العالم الأكبر.

إن العلم، بتوجهه نحو الموضوع والمعطيات الموضوعية، يتخذ رؤية انبساطية (خطية) للعالم، وتكون الذات هي العامل المحرك الأول، والموضوع ذا أهمية ثانوية. وبالإعلاء من قيمة قدرتنا على الإحاطة الموضوعية بالعالم، نقمع أهمية إسهامات العوامل الذاتية، وأهمية اكتشافنا في المادة العلمية، فكلما أتعلم أكثر عن العالم، أتعلم أكثر عن نفسي، وبالتالي أتعلم أن أسترجع الإسقاطات التي أقولب فيها العالم. إن هذا الإسقاط يطابق الرؤية التي لدى يونغ والتي لدى باشلار أيضاً. فالعالم عند الأخير يتم تصغيره، وبالتمثل بما يفيد في تكوينه وتشكليه، فيكون واقعاً، مبنياً، واقعاً ينتمي إلينا ربما أكثر مما ينتمي إلى ذاته كواقع مجرد، واقع لنا ومعنا[33]. فالعالم هو تمثُّلي[34]، هذا الإسقاط عند يونغ هو ترحيل المحتوى الذاتي إلى موضوع، إلا أن إسقاطنا على موضوع ما لا يعني أن العالم محض وهم.

---

[32] **On Becoming a Scientists, "the National Academy of Science s Committee on the Conduct of Science, Cwashington, D.C:1989,P.I.**

[33] **Gaston Bachelard,Etudes,Paris,Vrin,1970,P.73**

[34] **Ibid, P .12.**

4- التعددية[35]: (نسائج من التفاعل)

ترى شيفرد أن شكل الطبيعة يرمز إليه حجاب إيزيس في المثيولوجيا المصرية، فهو متعدد الألوان، ويرمز إلى الروح الخلاقة بالتنوع الهائل، وهو خلاف ما تتمثل عليه آلية العلم التي تنزع نحو التراتبية **Hierarchy** والبساطة والتقدم الخطي والتفكير في حدود (إما...أو). فالانحياز للتراتب الهرمي يحول التقدم إلى خطيّ، وهو ذكوريّ، بينما يُعزى إلى القوى الدائرية الدخول في ذات الهوية، وهو البعد الأنثوي في المعرفة.

فتنظيمات النساء ذات بنية دائرية، بينما تنظيمات الرجال تراتبية هرمية. كذا فإن لغة الحوار عند الذكور ترسم الاستقلالية والتفرد، بينما لغة الحوار الأنثوية تميل نحو إقامة عالم من التواصل.

العلم الغربي وفقاً لشيفرد مؤسسة ذكورية، تميل للتراتب الهرمي؛ يحتل فيها الفيزيائيون القمة(على رأسهم النظريون ثم التطبيقيون) ثم يأتي بعدهم الكيميائيون وعلماء البيولوجيا... ويأتي في الموقع الأخير علماء النفس وعلماء الاجتماع. وهي تفيد كبنية في الاستجابات السريعة التي تأتي مع الأوامر، والخروج بنتائج فعالة ومباشرة. وهذا النوع من البنى الذكرية، حيث لا يوجد في القمة غير قلة من النخب سرعان ما تثير التنافس وصراع القوى، ما ينشر الخوف والوعيد. وعلى هذا فإن كل شخص في التراتب الهرمي يُنمط سلوكه تبعاً لمن يعلونه؛ الأمر الذي يعزلهم عن التفاعل.

إن التراتب الهرمي في تصنيف الأشياء يختزل الخصائص المتعددة الأوجه والمعقدة إلى شيء موحد يمكن أن يُقاس أو يُوزن، بما يخدم بردّ المعقد والذاتي إلى مفرد. وهكذا فإن "قوانين الطبيعة" تدلُّ على أن القوانين مفروضة من أعلى، وفقاً للتراتب الهرمي، وكثيراً ما يدرج العلماء عليها بالقول بظواهر تفرض نفسها، أو ظواهر تطيع هذه القوانين ؛ فسمة التراتب: الطاعة.

وهنا تطرح إيفين فوكس كيلر مفهوم النظام بديلاً من القانون، لأنه أرحب منه، ويخلو من الإجبار، والنظام يمكن أن ينشأ عن ذاته، أو مفروض من الخارج، لكنه يخلو من آثار القسر الخارجي الذي يطرحه القانون.

كما أن التراتبيات الهرمية تؤدي إلى توحيد الاتجاه وإلى الأبد. وترى شيفرد أنها(أي التراتبيات الهرمية) قد انبثقت من الثنائية الغربية (إما ... أو)، وهي قائمة على المنطق الخطي، الذي يسم التصنيف المطلق للأشياء وهو ما يقيد حدود التعددية. فالشخص في التصنيف الأحادي

---

[35] شيفرد، مرجع سابق: ص.**161-194**.

الهرمي الغربي إما أن يكون مسيحياً أو مسلماً أو يهودياً ... بينما في النموذج التعددي الصيني لا يرى المرء صراعاً في تطبيقه لمبادئ وشعائر الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية... على مختلف نواحي الحياة.

المنطق الغائم هو النموذج الأهم في التعددية، وهو الأنجح اليوم في عالم التكنولوجيا:

فعلى الرغم من أن مصطلح "المنطق الغائم" كثيراً ما يستخدم للحط من شأن عمليات تفكير المرأة، فإنه يطبق الآن في فرع من فروع الرياضيات التي نشأت إبان ربع القرن المنصرم.

إن المنطق الغائم، بجذوره الضاربة في الإبهام المتأصل في ميكانيكا الكوانتم، إنما يساير الغموض واللايقين المتأصلين في عمليات التفكير الإنساني في بعده الأنثوي. إنه يتمثل الظواهر بوصفها أحداثاً متصلة بدلا من أن تكون خيارات كل شيء أو لا شيء. وبدلاً من حل المشاكل من خلال سلسلة قرارات نعم – أو –لا (يمثلهما الواحد والصفر في أجهزة الكومبيوتر)، نجد أن استخدام الكومبيوتر للمنطق الغائم يعيّن أرقاماً تقع في حيز ما بين الصفر والواحد.

وإذ يقوم المنطق الغائم على قرارات التعميم بدلاً من القياسات الدقيقة، يحول الأوصاف المحملة بالقيم، مثل بطيء ومتوسط وسريع، إلى إشارات شفرية. وهذا يجعل الآلات تسير بسلاسة وكفاءة أعلى. فنواظم التغذية الاسترجاعية العادية، مثل منظمات الحرارة، تجعل مكيفات الهواء تعمل أو لاتعمل. أما مكيف الهواء المحكوم بالمنطق الغائم فيتباطأ تدريجياً كلما بردت الغرفة، وصولاً إلى درجة الحرارة المرغوبة، وينتج عن هذا وفر في الطاقة يصل إلى عشرين في المئة.

وعلى الرغم من أن المنطق الغائم تطور في الولايات المتحدة الأميركية[36]، ولكن لم يستخدمه في التطبيقات العملية إلا وكالة ناسا للفضاء، واثنان من الشركات الأميركية. وعلى العكس من هذا، تبنته بحماس فائق أكثر من خمسين شركة في اليابان. ويعزى تدني قبول المنطق الغائم إلى انحياز علماء الغرب إلى الدقة ومنطق ثنائية (إما / أو). استخدمه اليابانيون من أجل تشفير الماكينات بمرونة التفاعل مع البيئة، بدلاً من إنتاج ماكينات فقط تتبع برمجة أربابها. إنهم يستخدمون الدوائر الإلكترونية المصممة بالمنطق الغائم لاتخاذ القرارات الذاتية حول الوضوح واللمعان واللون في التلفزيون، ولتعزيز الصور في مسجلات الفيديو وآلات التصوير، ولتعيين التغيرات في درجة حرارة الماء، وضبط التدفق فلا يسبب انهمار الماء الساخن حروقاً. ولقد طُبقت الدوائر الغائمة أيضاً على المصاعد، والفرامل غير قابلة للإيقاف.

---

[36] أجل نشأ المنطق الغائم **fuzzy logic** وتطور في أميركا، ولكن على يد عالم إيراني يعمل هنالك هو لطفي زادة.

لقد تمخض عن الانحياز الغربي إلى الدقة والبساطة علم متين وتكنولوجيات وطيدة، ومع هذا تبين قصة المنطق الغائم أنهما ليس دائماً أنفع وأنجع الطرق للنظر إلى العالم. وبدلاً من قسر كل موقف على أن يتلاءم مع المنطق البسيط، منطق كل شيء – أو – لاشيء، يعطي المنطق الغائم قيمة للثالث المرفوع.

إن التعددية جامعة ورحيبة الآفاق، تهبنا سبلاً مختلفة للرؤية والشعور والتفكير والتقويم، حيث على سبيل المثال تبصرنا ثنائية الموجة-الجسيم بأن الضوء جسيمات وموجات، أي كلاهما.

إنها طريقة كلاهما

إن صبوة الأنثوية إلى السياق والوصال تخدم النزوع الذكوري إلى التصنيف. وحين يعملان معاً، يهبنا هذا رؤية للعالم أكثر ثراءً وانضباطاً.

تعكس ميكانيكا الكوانتم تحولاً عن قوانين التراتب الهرمي المفروضة على البنية السكونية، وتصف أنساقاً أكثر تعقيداً وتفاعلية. إنها تصف الاحتماليات والعلاقات في الطبيعة، بدلاً من كتل بناء الطبيعة البسيطة. وفي مقابل قوانين الكون الميكانيكية، تتحدث نظرية الكوانتم عن مبادئ وتأثيرات: مبدأ اللايقين لهايزنبرج، ومبدأ الاستثناء لباولي، ومبدأ بور في التتام، التأثير الكهروضوئي تحت وطأة ذلك الجانب من نظرية الكوانتم المعروف بثنائية الموجة/الجسيم، وهنا انحلت كتل البناء الأساسية للمادة إلى نماذج شبه موجية من الاحتماليات والتواصلات.

لقد عبّر نيلز بور، وهو من رواد ميكانيكا الكوانتم، عن ترابطية الأنثوية حين قال: "الجسيمات المادية المنعزلة هي تجريدات، لا يمكن تعريف وملاحظة خصائصها إلا عن طريق تفاعلها مع الأنساق الأخرى. بعبارة أخرى، لا يوجد شيء من قبيل الجسيم المنعزل – لا يمكن فهم الجسيمات إلا بوصفها تواصلات، فئات من الروابط تشكل نسيجاً معقداً لما نسميه المادة.

تصف نظرية الكوانتم الطبيعة الأساسية للمادة بوصفها تواصلاً ورابطة، وليست تراتباً هرمياً من الأشياء. ولما كانت كل أجزاء النسق مترابطة معاً بواسطة نسائج من الجذب والتواصلات اللاموضعية، فإن كل جزء يتأثر بالتغير في جزء آخر من أجزاء النسق.

تكشف ثنائية الموجة / الجسيم عن أننا يجب أن نلاحظ الموضوعات في أوضاع عديدة مختلفة لكي نستكنه إمكانيتها الحقيقية، ولا تعد إحدى سبل رؤية الواقع (من حيث هو موجة أو من حيث هو جسيم) أصوب من الأخرى – إنها رؤى متتامة. لا تعتمد إلا على ظروف الموقف، وكيف نختار أسلوب النظر إليه، وأسلوب قياسه.

وأيضاً تصف نظرية العشواء رؤية تعددية للعالم، لتحل محل قوانين الطبيعة الحتمية الغير قابلة للارتداد. وذلك عن طريق تبيان أن التنبؤ الدقيق مستحيل في الأنساق المعقدة. يتيح لنا علم التعقيد أن ننظر إلى الطبيعة بوصفها ولوداً وثرّة المنابع، وافرة ومتواصلة. وفي هذه الرؤية الجديدة لا تعود المادة سلبية، بل إنها قادرة على النشاط التلقائي، وعلى أن تنظم ذاتها بذاتها.

على أن فيزيائيي الطاقة العالية يعتقدون أن المشكلة الحقيقة للعلم تظل في حدود كوننا فحسب، إلا أن ستيفن هوكنج **S.Hawking** قد تنبأ في محاضرته "هل النهاية في مرأى الفيزياء النظرية؟" بأن الفيزيائيين قد يتملكون مع خواتيم القرن العشرين "نظرية عن التفاعلات الفيزيائية كاملة ومتسقة وموحدة، وسوف تكون كل الملاحظات ممكنة." وبالمثل، نجد ليون ليدرمان **L.Lederman**، مدير مختبر معمل فيرمي القومي، يعكس بحث الفيزيائي عن البساطة والأناقة حين يقول: "آمل أن أفسر الكون بأسره بمعادلة مفردة بسيطة تستطيع أن تضعها في جيب قميصك".

وفي مقابل هذا البحث الدؤوب عن النهائي والبسيط، تتعامل نظرية التعقيد مع ظواهر الحياة اليومية، مع العالم الدنيوي الذي ارتبط تقليدياً بالأنثوية -عالم السحب والشلالات، والزهور والجبال، والماء الذي يغلي والدخان الذي يتصاعد من المدفأة. وبدلاً من فرض بنية تراتبية هرمية على المادة، أو اختزال الكون في معادلة منفردة، يستكشف بريجوجين كيف تنظم الأنساق ذاتها تلقائياً. و يدرس إليا بريجوجين نشأة المنظومة عن العشواء في الأنساق، كما تختلف باختلاف تيارات الحمل الحراري، و يدرس الحفز الذاتي الكيميائي ،والتسارع الذاتي للتفاعل طارد الحرارة،ودورة الحياة للمتمورة (الأميبا)، والأنساق الاجتماعية. وبدلاً من البحث عن قائد ليخلق النظام، تستغل كل واحدة من تلك المنظومات لولبيات التغذية الاسترجاعية لتعزز التحرك صوب مستوى جديد من التنظيم.

وكبديل لفرض النظام من أعلى، يناقش بريجوجين كيف تنبثق الكيفيات التي لم تكن في "البرنامج الأصلي". وكمثال على ذلك، فأدنى من العتبة الحرجة[37] من الطاقة المزودة بها لمنظومة ما، تحتفظ مفردات المنظومة بحركتها العشوائية مستقلة عن بعضها البعض. وبينما تستجيب بعض المفردات لطلقة الطاقة المنبعثة إلى النسق، فإن حركتها تكون خافتة وتعود المنظومة إلى حركة التوازن العشوائية. ولكن حين يكون ثمة طاقة كافية، أو ضغط لعبور

---

[37] العتبة الحرجة **critical threshold** تعبير يراد به نقطة التحول أو نقطة البداية المطلقة لتغيير أو تبديل، أي النقطة التي يعني اجتيازها الدخول في نظام جديد أو مختلف .

العتبة الحرجة، تشرع المنظومة في أداء حركة ضخمة. إنها تنظم نفسها لتشكل مستوى جديداً من التعقيد.

في ما وراء هذه العتبة، يحدث كل شيء؛ كما لو أن كل جرم عنصري كان يراقب سلوك جيرانه، وكان يأخذه في اعتباره لكي يؤدي الدور الخاص به بصورة ملائمة، ولكي يسهم في النموذج الإجمالي. وهذا يوعز بوجود التضايف، أي العلاقات الإحصائية القابلة لأن تحدث مجدداً بين الأجزاء المتباعدة من المنظومة.

وفي ورشة عمل عن الحياة المستنبتة أقيمت مؤخراً، اجتمع ما ينوف على ثلاثمئة بيولوجي وفيزيائي وعالم كومبيوتر، وأقاموا الحجة على أن التطور لا يعود فقط إلى الطفرات العشوائية المتبوعة بانتقاء طبيعي، بل بالأحرى يتضمن التطور ترابطاً بين الانتقاء الطبيعي والنظام التلقائي. ومن الشيق حقاً، أن النماذج التي تعزز ذاتها بذاتها (المعروفة بوصفها "جواذب") لا تتشكل إلا إذا كانت المنظومة ذات تنوع كاف.

ومؤخراً، تمثلت نسائج التفاعلات في الطبيعة في فرضية جايا[38] كما طرحها جيمس لافلوك **J.Loveiock** ولين مارغولس **L.Margulis**. تتقدم هذه الفرضية، التي سميت باسم إحدى الآلهة المثيولوجية، بنموذج لديناميكيات كوكب الأرض وديناميكيات الخلية. إنه يصف كوكبنا من حيث هو كل متكامل متناظم، منظومة تحكم ذاتها بذاتها، وفيها تشتبك كل مناشط المجال الحيوي مع العمليات المعقدة للجيولوجيا وعلم المناخ والفيزياء الجوية.

- **تفكير كلاهما/و**

وإذ يفرض علينا التراتب الهرمي أن نختار بين شيء وآخر، فإنه يضيق التعددية. ويختزل حجاب إيزيس الرائع المتعدد الألوان إلى الأبيض أوالأسود.

وكما قال يونج:"تتطلب الحقيقة النهائية، إن كانت توجد أصلاً، كونشرتو من الأصوات العديدة."

---

[38] فرضية جايا **Gaia Hypothesis** تشير إلى أنظمة شبه مستقرة تعمل دائماً في نطاق مجال الأرض بأسره لتحتفظ بدرجة مدهشة من التوازن في الظروف الضرورية للحياة على الرغم من كل التقلبات و على مدى مئات الملايين من السنين، فتحفظ مثلاً نسبة الأوكسجين في الغلاف الجوي أو متوسط الضغط الجوي أو ملوحة ماء البحر. بعض هذه الأنظمة غير معروفة أو مفهومة الآن، لكنها جميعاً عاملة وفاعلة. يعني هذا الفرض أن الأرض لا هي كائن عضوي كما تصور الاقدمون ولا هي آلة ميكانيكية كماتصور المحدثون، إنها نظام مختلف عن هذا وذاك.

نتعلم من براعة وتعقيد الطبيعة الرائعين أن "الحقيقة" لها وجوه عديدة، تعتمد على منظور الملاحظ. كل حقيقة جديدة، حتى في العلم، جزئية غير مكتملة، وبالمثل لها حدود ثقافية. وفي مقابل المقاربة الذكورية المباشرة الخطية، تدور عملية التطواف الأنثوية حول مشكلة ما، تنظر إليها من كل الجوانب، وتشاهد كل روابطها.

يستلزم تفكير (كلاهما/ و) عقلاً معقداً قادراً على احتواء كل الاحتمالات. هذا النوع من الرؤية يصعب عليه من الناحية السيكولوجية أن يتواصل في ثقافة إما/ أو مادام لابد له أن ينتمي كلياً إلى أحد المعسكرين، وفي هذا السياق فقد بلغ الأمر بسيلفيا بولاك، وهي عالمة في بيولوجيا الخلية، إلى قبول الطبيعة بوصفها معقدة وضبابية -لا تشبه أبداً ساعة أو ماكينة- بل إنها زاخرة بالاحتماليات.

- بدائل لبنيات التراتب الهرمي

في هرم التراتب لا بد أن ينزاح شخص كي يفسح المكان لشخص آخر تواق للصعود إلى القمة. أما في البنية الدائرية، فيتقابل الناس في مرمى البصر، والكل يقيم في المستوى نفسه. يمكن أن تتسع الدائرة لتضم آخرين من دون إزاحة أحد. قد ينظر إلى التفرد أو التفوق على أنهما يهددان انسجام الجماعة.

وفي مقابل بنية التراتب الهرمي والبنية الدائرية وبنية الدوامة، يتقدم جريجور نيكولس وإليا بريغوجين بنموذج جديد قائم على التنظيم الذاتي الناشئ من خلال لولبيات التغذية الاسترجاعية. إنها العملية التي ينشأ فيها النظام عن العشواء، وتنتظم فيها ذاتياً وتلقائياً حول "جواذب"، وهي عملية مماثلة للعملية السيميائية، كتب في هذا المجال يونج: "في البداية يبدو الطريق إلى الهدف مشوشاً ومسهباً وفقط بالتدريج تتكاثر المعالم التي ترشد إلى السبيل. لا يسير الطريق قدماً، بل يبدو ملتفاً في دوائر. والمزيد من المعارف الدقيقة تدخل به في دوامات. و الحق أن العملية بأسرها تدور حول نقطة مركزية، أو ترتيب ما حول المركز، يجتذبها لتقترب منه فيما تتزايد التضخيمات في الوضوح وفي المدى.

إن الثقة مطلوبة من أجل حدوث التنظيم التلقائي. وحين افتقاد الثقة، نحط في التراتب الهرمي، الذي لا يمكن أبداً أن يتسامح مع العشواء. أما النموذج القائم على التنظيم الذاتي فيتسامح مع اختلاف الآراء والمهارات. يتجلى الأفراد في تسهيل مختلف مهام المجموعة. تتعاقب القيادة اعتماداً على خبرات خاصة يتطلبها الموقف المعين.

إن البيئات التي ترحب بالتعددية، وتطور نسيجياً من التفاعل بدلا من تراتب هرمي، إنما تعزز نماء الأساتذة وطلبة الدراسات العليا على السواء، على سبيل المثال. الأساتذة أيضاً يتعلمون

ويزدهون عن طريق الإنصات إلى الطلبة واحترام إسهاماتهم –بدلاً من أن يتربعوا ويتصرفوا كأنهم يعرفون كل شيء. ويتنامى اعتمادٌ متبادل، بدلاً من تدفق المعرفة والخبرة في اتجاه واحد من الأستاذ إلى التلميذ.

4- الرعاية: (مقاربة طويلة المدى)

يبدو أن العلم يبخس قيمة الأشياء التي تجعل رحلتنا في الحياة أمتع ، على طريقة البيئة المحيطة الباعثة على الراحة، الدردشة التي يستريح لها المرء، مساعدة زميل- إذا كانت ستنزعنا من العمل. يرفع العلم الحديث من قيمة الكفاءة والتنامي السريع في المعطيات والأسبقية والمراجعة النقدية للأفكار والنظريات والنتائج السريعة... والتقدم. فماذا يمكن أن تكون علاقة الرعاية بالعلم؟ قد تبدو للوهلة الأولى غير ملائمة، في عالم آخر منفصل عن العلم. وذلك هو موضوعي على وجه التحديد.

يستطيع موقف الرعاية أن يوازن من جهامة التركيز على الفاعلية التي تجرد الحياة من عذوبتها. هذا العالم اللاهث الذي نحيا فيه جعل الصدارة للفاعلية، حتى باتت بعض المختبرات مصانع للبيانات، كما أن الضغوط من أجل الإنتاج دفعت الناس إلى طريق الخداع. لسوء الحظ، نادراً ما جرى اعتبار الدور المعاون الذي تلعبه الرعاية في الحياة من الأهمية بمكان، بحيث إن استخفاف علماء الجهاز العصبي بدراسة الخلايا التي تلعب دور الرعاية قد حال دون اكتشافات مفادها أن الخلايا الدبقية تسهم في الاتصال بين المخ وبين بقية الجسم.

وبهذا تقوض الخلايا الدبقية أسطورة تخوم الدم –المخ- وهذه الأسطورة انعكاس فسيولوجي للاعتقاد الغربي في انفصال العقل والجسم. ومن الشائق حقاً، أن عدد الخلايا الدبقية لكل عصبون يتزايد كلما ارتقت الثدييات في سلم تطور الأنواع، بدءاً من الفئران ووصولاً إلى الإنسان . ربما أنعشت دراسةٌ آسرة لمخ آينشتين، الذي كان قد حفظ من أجل الدراسة. وبالمقارنة بينه وبين أحد عشر مخاً لذكور من عامة البشر، وجدت أن مخ آينشتين به أكبر عدد من الخلايا الدبقية لكل عصبون. وكان الاختلاف لافتاً بوجه خاص في المناطق المرتبطة بالقوى الإدراكية للتصور والتفكير المعقد.

كثيرا ما جرى إهمال عملية الرعاية، لأنها ليست درامية. ومع هذا، فهي ليست سلبية. إنها إيجابية بصورة بالغة، بيد أنها ذات إيقاع مختلف، إيقاع دائري ورتيب – تواظب على مهمتها ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وعاما إثر عام.

ليست الرعاية مسألة بطولية أو درامية أو مثيرة، بل هي عملية وديعة متنامية، مثلما تنحت الريح صخرة. تتبني الرعاية، من حيث هي علاقة ثقة وارتباط، بواسطة الآمال والتوقعات. إنها جانب حميم من الحياة يتألف من أفعال صغيرة لتركيز الانتباه. الرعاية تتطلب التلقي. وكما يعتمد الشكل النهائي لصخرة نحتتها ريح على طبيعة الصخرة، بالمثل تماماً تعتمد شاكلة العالم على الطبيعة الفريدة للفرد.

5- رعاية الأفكار: (المطلوب في الرعاية نقد المسلك، وليس نقد الشخص)

إن الأفكار التي تتجاوز النموذج الإرشادي العلمي الجاري عادة ما يقابلها المجتمع العلمي النقدي والشكاك بالسخرية أو الرفض الناعم.

يلعب النقد دوراً له قيمته في العلم. وبصرف النظر عن الخوف من النقد، ومن أن نبدو حمقى، يدفع النقد الناس إلى التفكير بعناية في أفكارهم، وعرض دليل مقنع لتأييدها.

الموقف النقدي السائد يعكس الهيمنة المسبقة في العلم لأسلوب المحاورة الذكوري بالقياس إلى لغة آخرين يملن أكثر إلى طرح اقتراحات وأسئلة من أجل توضيح أو استدرار مزيد من المعلومات. من الناحية الأخرى، يستخدم الرجال الأسئلة من أجل استعراض المعرفة والمناوشة حول الوضع والمنزلة. إنهم يميلون إلى استهلال أسئلتهم بتقريرات، وطرح أسئلة متعددة، ومتابعة إجابات المتحدث بأسئلة إضافية أو تعليقات. "الخشونة وتصيد السقطات في المساجلة". وبينما يمثل البرهان الدقيق مرتكزاً في العلم، تحتاج بذور الأفكار والنظريات الجديدة إلى بيئة آمنة وواقية يمكنها أن تنضج فيها قبل أن تواجه ضوء النقد الكاشف.

يستطيع العلماء مساعدة زملائهم على التلقح بأفكار جديدة، وذلك عن طريق الموازنة بين النزعة الشكيّة والنزعة النقدية وبين المعتقد التجريبي وموقف الرعاية.

- المقاربة طويلة المدى

أصبح المنظور التكويني لصيقاً بالأنثوية، بسبب يعود إلى مسؤوليات الحمل وتربية الأطفال طويلة المدى. والآن فقط ندرك الثمن المدفوع في الخفاء للمقاربة قصيرة المدى في العلم، وتنمية التكنولوجيا، ومادمنا نبحث عن أرباح قصيرة المدى، فنادراً ما نأخذ في الاعتبار صحة وازدهار أجيال المستقبل. وعلى الرغم من أن مقاربة الرعاية في جوهرها عملية متأصلة، فإنها ترنو دائماً إلى نتائج ومحصلات طويلة المدى.

إن العلم الحديث في أميركا، أساساً، مجال يسوده نفاذ الصبر. نادراً ما يتحلى الباحثون بالصبر إزاء الأسئلة التي تستغرق وقتاً طويلاً، وتتطلب الكثير من التفكير والإنصات، وليس فقط أن تفعل وتنجز. إنهم يريدون الإجابات فوراً. يريدون إجابات كل يوم.

وكشأن أية خاصية من خواص الذكورية أو الأنثوية، فإن الرعاية لها هي الأخرى جانبها المظلم. وتماماً مثلما نجد مقاربة الكفاءة الذكورية –التطرف الأحادية الجانب في إنجاز العمل، ولا يهم كيف– تجرد الحياة من العذوبة، نجد المقاربة الأنثوية الأحادية الجانب لها مخاطرها:

تخنق الرعاية الزائدة الإبداع والابتكار، كشأن إفراط "الأمومة" في حماية الأطفال، الإسراف فيها يعوق سبيل العلم. وبسبب من ندرة الرعاية في العلم. فإن أولئك الذين يتحلون بها يمكن أن يثقل كاهلهم كثيراً بحث الطلاب عن الإرشاد الأكاديمي، أو متاعب الزملاء الذين يحتاجون إلى من يبادلهم الحديث– وإلى درجة تعوق إنتاجية من يتحلى بالرعاية.

6- التعاون: أن نعمل في انسجام التعاون في الطبيعة

"لم يعد من الممكن أن يتسامح التكامل مع الأنانية"بكمينسترفولر

حينما عرض تشارلز داروين نظريته في التطور لأول مرة في جمعية لينين، افتتح ورقته بتصور للطبيعة كصراع وحشي بين القوى المتقابلة:"الطبيعة بأسرها في حالة حرب، الكائن الحي يحارب الآخر، أو يحارب الطبيعة الخارجية". وفي الملتقى نفسه، وصف ألفرد والاس **A.R.Wallace** شريكه في اكتشاف الانتخاب الطبيعي، النباتات والحيوانات بأنها منهمكة في "الصراع من أجل البقاء، الذي لا مندوحة أبداً عن أن يفنى فيه الكائن الحي الأضعف والأقل اكتمالاً". ويقر داروين في كتابه (أصل الأنواع) بـ "الصراع الشامل من أجل الحياة... كل الكائنات العضوية تكشف عن منافسة ضارية".

على أية حال، تبزغ ثمة نظرة دنيوية تعاونية يمكن أن تستنهضنا لنرى ارتباطات جديدة، ويمكن أن تدفع العلماء إلى طرح تساؤلات مختلفة. هذه الفكرة تتجلى لدى روبرت أغروس وجورج ستانكيو في كتابهما "البيولوجيا وعلم الحفريات والفيزياء" يمكن أن ترسم صورة للطبيعة ذاتها، من حيث هي "تحالف تعاوني أحرى من أن تكون ساحة قنص قاسية وغير مبالية" تهب البقاء فقط لأصلح فرد. يشير أغروس وستانكيو إلى أن الطبيعة تتجنب المنافسة عن طريق تقسيم أماكن المعيشة إلى مواطن إيكولوجية. تتكيف الأنواع مع أنماط معينة من الغذاء، أو أوقات للتقوت، أو ظروف معيشية، بدلاً من التنافس على الغذاء عينه، أو الحماية ذاتها. على سبيل المثال، ثمة ثلاثة أنواع من طائر الحباك الأصفر في أواسط أفريقيا، تعيش معاً بسلام جنباً

إلى جنب. لا تتنافس على الطعام، إذ يتغذى أحدها على الحبوب السوداء الجافة، ويفضل النوع الثاني الحبوب الخضراء اللينة، والنوع الآخر يأكل الحشرات فقط.

تحديد النسل الاختياري إستراتيجية أخرى من إستراتيجيات الطبيعة للعيش معاً في سلام. يصفع هذا وجه النموذج الداروني، الذي يتمسك بأن النوع سوف يتكاثر بلا حدود ما لم يستوقفه افتراس أو جوع أو مرض أو تغير حاد في المناخ. على أية حال، تبين الدراسات الميدانية أن حيوانات كثيرة تحدد تكاثرها بوساطة أساليب داخلية غير ضارة، مثل التبويض بشكل أبطأ، أو التوقف عن التبويض بالمرة، كما يحدث في حالة الفئران في ظروف التكاثر الشديد. وتعمل حيوانات من قبيل الإلكة والثور الأميركي والموظ[39] و الأسود وحيتان العنبر العظيمة ذات الأسنان، والفقمات القيثارية على تأجيل سن البلوغ الجنسي حين يحدث الانفجار في أعدادها. حيوانات أخرى كالخراتيت البيضاء تعتمد على العزوف عن الزواج حينما تضم القطعان أعداداً ضخمة من الأتباع البالغة التي لا تجد سبل المعيشة.

في الزراعة الحديثة، تعتبر الأعشاب الضارة منافسة لمحصول النبات، وبالتالي يتم استئصالها بواسطة مبيدات الحشائش. ومؤخراً درس العلماء في جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز الممارسات التقليدية للمزارعين المكسيكيين، الذين يعاودون تشذيب العشبة الضارة التي عادة ما تنبت بين صفوف الذرة، هذا بدلاً من اقتلاعها. وجد الباحثون أن جذور العشبة، المعروفة باسم الحسيكة المشعرة **Bidens pilosa**، تفرز مركبات مميتة للفطريات والخيطيات التي تدمر الذرة . فقط يقوم المزارعون بتشذيب العشبة بعد مرور خمسة عشر يوماً على بزوغ الذرة، ثم كل ثلاثين يوماً بعد هذا. وبدلاً من أن تدخل العشبة في منافسة مع الذرة، تقوم بالسيطرة على الآفات من دون أن تسلب الذرة مواداً مغذية ذات اعتبار في التربة.

وكما يلاحظ عالم فيزيولوجيا النبات فريتز ونت: " **F.Went** أنه لا يوجد صراع ضار بين النباتات، ولا اقتتال متبادل كما في الحرب، بل ثمة تنام منسجم على أساس من التزامل المتبادل. إن مبدأ التعاون أقوى من مبدأ التنافس" وفضلاً عن هذا، لا تهدد الأعشاب الضارة بمزاحمة المحاصيل، وفقاً لما يقوله ونت، إلا حين تزرع المحاصيل في غير مواسمها، أو في مناخ خاطئ. وحتى في البيئات الخشنة كالصحراء، أو مواطن المعيشة التي تكثر فيها النبات كالأحراش، وجد ونت تعايشاً سلمياً، ولم يجد نوعاً يزاحم نوعاً آخر:"في الصحراء، حيث من المعتاد أن تكون الحاجة إلى المياه والتعطش إليها حملاً تنوء به كل النباتات، لا نجد منافسة عنيفة على

---

[39] الموظ **moose** حيوان ضخم في حجم الأيل أو الظبي، يعيش في أميركا الشمالية، ويشبه حيوان الإلكة **elk** في أوروبا وآسيا

البقاء، حيث يزاحم القوي الضعيف. بل على العكس، المنافع المتاحة –المكان والضوء والماء والغذاء– موزعة على الكل مثلما يتقاسمها الكل. وإذا لم تكن كافية لكي ينمو الكل طويلاً وعفياً، يبقى الكل أقصر في القامة. تختلف هذه الصورة الواقعية اختلافاً كبيراً عن الفكرة المحتفى بها طويلاً، والقائلة إن سبيل الطبيعة هو المنافسة الضروس بين الأفراد".

7- التعايش التكافلي، علم التعاون

أفضل مثال لدراسة التعاون الفعلي في الطبيعة هو التعايش التكافلي **symbiosis**، إنه أحد فروع البيولوجيا ويدرس الكائنات الحية غير المتماثلة التي تعيش معاً معيشة تعاونية –من قبيل الاقتران المركب من فطريات وطحالب خضراء نسميها الحزازات، أو البكتريا التي تعيش في أمعاء البقر، وتساعد على هضم السليولوز. إن التعايش التكافلي، بمغزى ما، هو مدار البحث الأنثوي الفريد. ومن حيث هو علم العلاقة، يعطينا نموذجاً للاعتماد المتبادل على المستوى البيولوجي.

يبين عمل لين مارغ ولس كيف أن الأنثوية يمكن أن تبدل منظورنا، وتؤدي إلى إثارة أسئلة عن الطبيعة جديدة بشكل جذري. وبدلاً من افتراض أن التنافس هو قانون الطبيعة، تستكشف مارغ ولس دور التعاون في التطور. وكتبت تقول:"إن علاقات التعايش التكافلي وفيرة، على الرغم من أنها غالباً ما تعالج في الأدبيات البيولوجية بوصفها غريبة؛ الكثير منها يؤثر على المنظومة الإيكولوجية بأسرها".

تقدم مارغ ولس دليلاً مقنعاً على أن التنوع البيولوجي ينشأ عن تعاون الكائنات المجهرية بقدر ما ينشأ عن التنافس الداروني. ومنذ عشرين عاماً مضت صادرت على أن الخلايا النووية (كالخلايا في أجسادنا) تتطور عن أكثر من نوع من البكتريا، ذلك أن الخلايا النووية مجتمعات بكتيرية تتطور معاً. بعبارة أخرى، واحدة من البكتريا تأكل الأخرى. لكن لا تهضمها، والآن تريد كلتاهما أن تبقى الأخرى. في البداية اعتبروا نظريتها في أصول الخلية "مستهجنة" و"فاضحة" ولا يمكن مناقشتها في ملتقيات علمية محترمة.

"المصدر الأساسي للجدة التطورية هو تدبر المتعايش المتكافل – ثم يقوم الانتخاب الطبيعي بتنقيح الأمر برمته. وليس الأمر البتة مجرد تراكم الطفرات".

معظم نظريات التطور تؤكد على الطفرة بوصفها المصدر الرئيسي للبيانات الوراثية. إلا أن التعايش التكافلي، في حجج مارغ ولس، يتفتق عن جدة بيولوجية وراثية أبعد كثيراً مما يفعله تراكم تصادف الطفرات، على الرغم من سيادة الاعتقاد بأن هذا الأخير أساس التغير التطوري.

إن آليات الطفرة من قبيل تغيرات أزواج القواعد، والاقتضابات والتضاعفات والمناقلات، مأخوذة من منظور اختزالي. أما الآليات البديلة، مثل تزايد عدد فئات الكروموسومات، فمأخوذة من منظور تأليفي أكثر- ولكن جرى تجاهلها إلى حد كبير. ويبقى التعايش التكافلي مبهماً، فهو في حكم مجال فرعي من مجالات البيولوجيا لا يتمتع بالتمويل. فإما أن يتم تجاهله، وإما أن يقتصر على وضع تعريف له في الكتب الدراسية الكبرى للتطور.

وفضلاً عن التطبيقات العملية للتعايش التكافلي، يمكنه أن يكون سبيلاً للإنصات إلى الحوار الذي يشغل أو يعطل الجينات في عملية التنامي.

ليس التعاون في شكل التعايش التكافلي مجرد حدوث نادر لشيء شاذ في الطبيعة، بل هو قوة أساسية للبقاء والتكيف. يبين بحث التعايش التكافلي أن التنافس ليس هو القانون السائد في الطبيعة، على الرغم من أنه يلعب دوراً. والواقع، أن مجال التعايش التكافلي ذاته -وفقاً لديكشتاين- تعاوني بشكل خاص ربما لأن البحث ذاته يدور حول كائنات عضوية تعمل معاً.

8- الحدس: طريق آخر للمعرفة

إن الحدس – أي البصيرة، أو المعرفة المجتناة من دون تفكير عقلاني مثبت – يبدو غامضاً ولاعقلانياً، إذ ينكر بعض العلماء أن ثمة شيئاً من قبيل الحدس، قائلين إنه مجرد عدد كبير من الخطوات العقلانية الصغيرة التي تحدث بصورة أسرع من أن نلاحظها. ويستنكر رجل المنطق ضبابية الحدس ويسميه تفكيراً ضبابياً.

تصف عالمة النفس فرنسيس فوغهان، في كتابها "إيقاظ الحدس"، أربعة مستويات للوعي الحدسي:

الفيزيقي والعقلي والعاطفي والروحي.

وبينما يتضمن العلم في بعض الأحيان المستويين الفيزيقي والعقلي، كما يتمثلان في علماء من أمثال ألبرت آينشتاين، فنادراً ما يُعنى العلم بالمستويين العاطفي والروحي.

أما الذي وُسم على سبيل الازدراء بأنه "الحدس الأنثوي" فهو الحدس على المستوى العاطفي.

هذا المستوى من الحدس يمكن أن يساعد بحل مشاكل العلم، وإعادة طرح حلول لها. إن الفتيات في ثقافتنا لا يُدربن على كبت المشاعر، لهذا تتعلم المرأة الاستدلال على المعنى من مجال الإشارات المتبادلة بين الأشخاص، والذي غالباً ما يتجاهله الرجال.

وتشير دراسات تتناول حساسية البشر للتواصل غير المنطوق، إلى أن النساء يملن إلى الاعتناء أكثرَ بالتلميحات البصرية من قبيل تعبير الوجه وإيماءة الجسد ونبرة الصوت والطريقة التي ينظر بها الناس إلى بعضهم البعض.

بيد أن الحدس كما تراه شيفرد أكثر من ملاحظة نافذة، إنه وعي كُلي يتضمن حساسية منبثة في كلا العالمين الداخلي والخارجي، ويعلو في بعض الأحيان على المدخلات الآتية عن طريق الحواس.

يشدد العلم الحديث على أهمية المعطيات التجريبية والواقع الموضوعي (الإحساس) من ناحية، وعلى المنهج النسقي اللاشخصي (التفكير) من الناحية الأخرى. وبالتالي جرى الحط من شأن الشعور والحدس، إذ يسود الميل إلى تصورهما كأطروحة مناقضة لمفهوم العلم، و كسمات للتفكير مبهمة وفطرية وذاتية.

في وقت مبكر من القرن العشرين، كتب التجريبيون المناطقة عن العلم بوصفه نمطاً فائقاً من المعرفة، لأنه قابل للتحقيق التجريبي باستخدام المنهج الاستقرائي، إلا أن بناء العلم هكذا يتجاهل الحدس، أو الخيال، أو تلقي أفكار مستجدة .

على أية حال، يلقى الحدس تقديراً من بعض العلماء من حيث أنه يمكن أن يكون أداة مرموقة. فقد أحس واحد من علماء المناعة أن حدسه كان أساس نجاحه، لأنه يمنحه أفكاراً جيدة ، ويشد أزره لمواصلة بوادر يعرض عنها الآخرون، ويساعده لحل المشكلات سقيمة البنية يشيح عنها الآخرون .

بينما يُنكر بعض العلماء أنهم يستخدمون الحدس، فإنه ليس ملقياً في أعماق ظلال العلم المعتمة كشأن الشعور. إذ يعتمد علماء الرياضيات على البديهيات التي هي "مبرهنة بذاتها"أو "واضحة حدسياً" ، في بعض ميادين العلم، كتلك التي تتناول الجوانب النظرية للفلك أو الجيولوجيا ،والتي تجتذب ذوي الأنماط الحدسية أكثر من سواهم.

إن قدراً كبيراً من الحدس ينبث في أعطاف العالِم الكفء، ثمة تفكير تحت الوعي. الرجال العقلانيون من رأسهم إلى أخمص قدميهم لايخرج منهم عالم كفء، كما تقدر شيفرد.

- الحدس من حيث هو نمط سيكولوجي

الإحساس والحدس ضربان للإدراك. يُشير الحدس إلى ضرب لإدراك الأشياء بوصفها احتمالات. بينما يدرك الإحساس الأشياء بما هي عليه، في انعزال، وبالتفصيل، نجد الحدس يدرك الأشياء بما يمكن أن تكون عليه وككل، كما يذهب الغشتلطيون . فالحدس يرفع الإدراك اللاواعي إلى مستوى المعادلات التفاضلية، عن طريق إدراك حساس ومرهف.

ومثلما ندرب عيوننا على رؤية الظلال الدقيقة للألوان، نستطيع كذلك أن ندرب حدسنا على تبيان وتأويل مختلف أنواع المثيرات.

يصف يونج الحدس كالآتي :

إنه الوظيفة التي تتوسط المدركات بطريقة لاواعية ... في الحدس يعرض المحتوى ذاته **ككل ومكتملاً** ، من دون أن نكون قادرين على تفسير ذلك المحتوى أو اكتشاف كيفية مجيئه إلى الوجود. إن الحدس نوع من التقدير **الغريزي**، بغض النظر عما هو المحتوى .

إنه كالإحساس، **وظيفة لاعقلانية للإدراك**، محتوياته لها خاصية أن تكون "مُعطاة" في مقابل خاصية محتويات التفكير والشعور التي تكون "مُستدلا عليها" أو "مستنتجة".

تمتلك المعرفة الحدسية **يقيناً غريزياً وإقناعاً** مما مكن سبينوزا (وبرغسون) من التمسك بالعلم الحدسي بوصفه أرقى أشكال المعرفة.الحدس يتقاسم هذه الصفة مع الإحساس، الذي يرتكن يقينه على أساس فيزيقي. **أما الحدس فيرتكن يقينه بالمثل على حالة متعينة لـ"يقظة" النفس تكون الذات لا واعية بأصلها.**

إن نمط الإحساس، في العلم هو النمط التجريبي المسترشد بالوقائع، ويعنى بألا يتجاوز تقديره الاستقرائي إياها ، وفي حده الأقصى، يمكن أن يصبح من يضطلع بالإحساس مربوطاً بالوقائع، يظل دائماً يجمع الوقائع فقط، بدلاً من أن يغامر بتعميم يتجاوز حدود الوقائع .

وعلى العكس من هذا ، نجد فضيلة أصحاب نمط الحدس في أنهم **ينعمون النظر في الوقائع ثم يتجاوزونها بالفعل في تقديراتهم الاستقرائية، مستبصرين احتمالات المستقبل.**إذ تقفز وظيفة الحدس إلى المقدمة لتتساءل ، "ما الذي سأفعله بهذا؟ إلى أين سأذهب الآن، ماذا يعني هذا؟" **من يضطلع بالإحساس يدرك التفاصيل، بينما يبحث الحدسي عن النماذج.**

من دون الحدس ، يَجمع الباحثون المعطيات بمنتهى الكفاءة من أجل ملء الفراغات أو المزيد من الدقة وصولاً إلى كسر عشري أعلى، ولكن نادراً ما ينتجون أي شيء جديد.

سرعان ما يصوغ الحدس **رؤى شاملة وكاسحة للمشاكل** ويولّد عدداً كبيراً من الفروض الشيقة. ولكن **في الحد الأقصى، قد تكون الفروض خيالية وغير قائمة على معطيات إطلاقاً.**

البعض يرون الحدس مناوئاً للعقل، أو كنوع من الدجل. الحدس –القطع- له جانبه المظلم، مثله مثل أية خاصية تتطرف حتى حدها الأقصى. ولاشيء يشل الحركة أكثر من أن يكون ثمة عدد لامتناه من الاحتمالات.

يثب بنا الحدس إلى قلب المستقبل، ويهبنا أفكاراً آسرة، بيد أنه لا يجعلنا نصيب الهدف بطريقة سحرية.

- استمالة الحدس

يختلف الحدس عن العمل الأكثر جدية، أو التنظيم الأفضل، في أنه لا يمكن دفعه أو التحكم فيه، بل لابد من استمالته. حين نفعل ذلك، يهبنا المزيد من الخيارات، وبالتالي المزيد من الحرية. ولسوء الحظ نجد الضغوط السياسية والإدارية والاقتصادية للعلم الحديث تجعل من الصعب الترحيب بحالة **العقل المسترخي المتخفف** التي تعزز العملية الحدسية .

إن الحدس شأنه شأن سائر الخصائص المميزة للذكورية أو الأنثوية، هو إمكانية إنسانية يستطيع أي شخص أن يطورها. **ربما دخل الحدس في ذات الهوية مع الأنثوية لأنه يتطلب من العقل حالة التلقي.** وأولئك الذين درسوا العملية الحدسية لاحظوا أربعة أطوار للوصول إلى العملية الحدسية:

1- ضرب التأهب أو "الإدخال" حيث يوجه الشخص سؤالاً إلى اللاوعي، ويزوده بالمعلومات . هذه مرحلة من مراحل التفكير الواعي المكثف، والقراءة والبحث.

2- الاختمار أو ضرب "التشغيل" حيث تمور **المعلومات المتراكمة في اللاوعي.** توقفت كل المدخلات وحان وقت الاسترخاء؛ أحلام اليقظة أو التأمل أو النوم.

3- الإضاءة أو ضرب " المخرجات"حيث تنتج عملية غامضة حلاً للمشكلة في ومضة، يبدو آتياً من حيث لا أين؟.

4- ضرب التحقق، وهي المرحلة التي يتمايز فيها الخيالات عن الإلهام، ونفرق فيها بين الأوهام وبين الاستبصارات.

تميل ومضة الحدس إلى أن تبزغ خلال أوقات الاسترخاء – أثناء الاستحمام، أو أثناء الحلم أو حين السير في نزهة على الإقدام، أو حين يرنو البصر إلى النجوم عبر النافذة . إنها تفلت من سيطرة مقولات العقل الصارمة التي تنحو نحو الإنجاز. وكذلك نجد الصدمة والقلق والإجهاد تثبط من هذه العملية. إن العقل الحدسي يختنق في أجواء التوتر والقلق التي تخلقها الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالعلم العامة، إذ تبدو بالغة الخطورة والإلحاح.

كما يخبرنا القول المأثور "ما في الأعيان هو ما في الأذهان "، ومن ثم نميل إلى الثقة في المعلومات التي نتلقاها عن طريق حواسنا أكثر من أن نثق في ما هو آت عن طريق الحدس . على أية حال، يمكن في واقع الأمر أن يخدعنا هذان الضربان من الإدراك كلاهما. لا الإحساس ولا

الحدس وظيفة عقلية أو تقويمية. الإحساس يعطينا معلومات عن العالم . ويكشف الحدس عن إمكانيات ويزودنا ببصيرة تنفذ إلى طبائع الأشياء. لكن لا واحد منها يمكن أن يحل محل التقويم العقلي، أو الاعتبار الأخلاقي للمعلومات التي نتلقاها . وتماماً كما أن التفكير والشعور وظيفتان من وظائف الإدراك تحتاجان إلى تغذية استرجاعية، يحتاج الإحساس والحدس بالمثل إلى تقويمها بواسطة الوظيفتين العقليتين للتفكير والشعور.

- الحدس المجسد

يعطينا ألبرت آينشتاين مثالاً للعالم الحدسي:

كان من المعتاد أن ينسى مفاتيحه وقفازاته، وغالباً ما يفوته ارتداء سترة أو تمشيط شعره . في يوم من الأيام ، بينما كان يتنزه سيراً على الأقدام في الطرقات المحيطة بمنزله في برينستون، نسي أين يقع مكان إقامته . كانت اكتشافات آينشتاين العظمى المبكرة قائمة جميعها على حدس فيزيقي مباشر. وفي عامه الستين وصل إلى الفكرة التي أحدثت ثورة في الفيزياء . قال، "إنها" بصريات الحركة "أتتني بفعل حدسي . جعلني أبواي أدرس الكمان منذ أن كنت في السادسة من عمري. ويأتي اكتشافي الجديد نتيجة للمدركات الموسيقية .

انفصل آينشتاين عن الوضعيين المنطقيين بفعل تعبيره المتواتر عن اعتماده على الحدس: ليس ثمة طريق منطقي يفضي إلى اكتشاف هذه القوانين الأولية . ثمة فقط طريق الحدس" "الحدس بارتكانه على الفهم المتعاطف ، هو فقط الذي يستطيع أن يفضي إلى "هذه القوانين ....." التوق إلى رؤية الانسجام "الكوني" منبع صبر ومثابرة لا ينفذان . بدلاً من معالجة موضوعات فيزيائية، "أبصر" الرياضيات .

كتب يقول ؛ "لاتبدو الموضوعات التي تتعامل معها الهندسة من نمط مختلف عن نمط موضوعات الإدراك الحسي " التي يمكن رؤيتها أو لمسها" ،

وبينما كانت اكتشافات آينشتاين المبكرة جميعاً قائمة على الحدس، كانت نظرياته المتأخرة عن المجال الموحد، وفقاً لما يقوله فينمان، مجرد من المعادلات من دون معنى فيزيائي.

وبينما يشدد المنطق والتحليل على إمكانية التنبؤ، نجد عملية الحدس اللاعقلانية لا يمكن التنبؤ بها. حين تكون ثمة مشكلة للحيرة ؛ ونناضل لإيجاد حل لها، وتتكدس رؤوسنا بالمعلومات بفعل العمل في المختبر، يحدث أحيانا أن يومض الحدس بالحل . تماماً كما تنشأ النماذج عن الديناميكية اللاخطية في نظرية العماء، يبدو الحدس ناشئاً بشكل غامض عن اللاوعي ليزودنا بمعلومات جديدة . في المنظومة اللاخطية، لايمكن أن يفيدنا المنطق في التنبؤ. على أنه يهبنا الحدس مرونة وقدرة على الإستجابة التلقائية للتغير.

ينشأ الحدس تلقائياً عن الأمواه العميقة للاوعي، ويطرح منبعاً للتجدد. بينما يتحدث الفنانون بحرية عن عملية الإبداع، يميل العلماء أكثر إلى وصف عملهم، وكأنهم يكشفون ماهيته.

أجل يعرف بعض العلماء أن الاقتحامات العظمى حقاً تأتي عن طريق الحدس . وعلى الرغم من هذا نادراً ما يدرسون كيف يعمل الحدس. وليس يعني معظم العلماء بالحدس أكثر من أنه عملية ميكانيكية للمخ، حيث أنك إذا وضعت في المخ معلومات كافية وحفزتها بما يكفي، فسوف يتأتى توليفي جديد. أجل يصدق أن الاستبصارات تنشأ عن إعادة تنظيم المعلومات بطرق مختلفة، بيد هذا يشكل الإبداع . القفزة الإبداعية تتجاوز المعلومات الكائنة وتضيف إليها شيئاً ما مستجداً.

- الحدس بوصفه حداً للعلم

الحدس لا يمكن التنبؤ به وهو فردي، يأتي إجمالاً ومضة، لهذا لا يمكن لنا تحليله إلى الأجزاء المكونة له لكي نقوم بدراسته. وحتى الآن لانملك المفردات ولا القدرة لتبين عمل الحدس في الأنماط الأخرى من الظواهر النفسانية **psychic**من قبيل الأحلام والتخاطر والمعرفة المسبقة والرؤى عن بعد.

لابد من إيجاد مناهج جديدة لمعالجة إقرارات بخبرات ذاتية، وللتغلب على صعوبة تكرار الظواهر النفسانية، وللتعامل مع الخبرة الفردية الفريدة .

على مدى ما يربو على عقد من الزمان دعمت حكومة الولايات المتحدة بحوث الفعالية النفسانية في المجالات العسكرية، وغير العسكرية على السواء. وفي المعهد الذي عرف سابقاً باسم معهد ستانفورد للأبحاث، وأصبح الآن معهداً ضخماً لأبحاث التكنولوجيا المتقدمة، نفذ هذا المعهد برنامجاً تكلف بضعة ملايين من الدولارات واستكشف سبلاً لزيادة دقة ووثوق نمط من الإدراك يعرف باسم "الرؤية عن بعد"(القدرة على وصف مواقع أو أحداث أو أشياء لايمكن إدراكها بالحواس العادية بسبب من بعدها).

في جلسة الرؤية عن بعد، يجلس "الرائي" في غرفة مريحة . وثمة شخص ثان،هو مرشد يقوم بالإرشاد عن طريق الإشارات اللاسلكية والضوئية، يستخدم مولداً إلكترونياً لرقم عشوائي من أجل اختيار مظروف يحوي موضعاً محدداً من ضمن ستين احتمالاً للمواقع المستهدفة . المرشد لا يفتح المظروف ريثما يستقل السيارة. ويقود السيارة إلى الموضع المحدد، وفي وقت متفق عليه سلفاً يتفرس بإمعان الموضع لمدة خمسة عشرة دقيقة، وفي غضون هذا ، يحكي الرائي لمن يجري المقابلة، وهو الآخر لايعرف الموضع المستهدف، عن انطباعاته ومخطط تصوراته الذهنية . وفي

خاتمة سلسلة من محاولات الرؤية عن بعد، يزور محكم مستقل المواقع، ويتخير الموقع الذي يتناسب مع ذلك الوصف أكثر من سواه. وفي المحاولات التي أجريت في معهد الأبحاث المذكور، نجح ما يقرب من ثلثي أوصاف الرؤية عن بعد في أن تتناسب مع مايراه المحكم.

إن احتمال حدوث هذا بفعل المصادفة حوالي واحد في المئة، لقد أصدرت مختبرات في أنحاء العالم تقارير إحصائية عن معطيات ذات مغزى لثلاث وعشرين سلسلة من الفحوص تدعم الرؤية عن بعد.

اشتملت المحاولات الناجحة على الرؤية من مسافات شاسعة، من ديترويت إلى روما في إيطاليا، وأجريت التجارب في غرف شتى مزودة بحماية كهربائية، وعملت بعض المحاولات على حجب موجات الإشعاع ذات التردد المنخفض إلى الحد الأدنى، وذلك عن طريق وضع الرائي عن غواصة تغطس تحت الماء. ولاشيء من هذه الظروف قلل الفعالية النفسانية، وفي شكل مختلف من أشكال هذه التجربة، يرسم الرائي تخطيط لشكل الموقع قبل الاختيار العشوائي للمظروف. وأيضاً أعطت الرؤية المتلقاة قبلاً نتائج إيجابية، لقد استنتج الباحثون في معهد ستانفورد للأبحاث أن الرؤية عن بعد مهارة يمكن التدرب عليها، كامنة في كل منا. لقد وجدوا أن حدوث غرائب الفعالية النفسانية أقرب إلى أن يكون مألوفاً، على الرغم من أن تفهمنا له حتى الآن واهٍ و هزيل.

- الترابطية ورؤية الكل

تميل الأنثوية إلى رؤية كل جزء في سياقه، بوصفه جزءاً من صورة أوسع. ويمكن أن يهبنا حدسنا رؤية للكل.

مع "مبدأ الترابطية" تنبثق كل الخصائص الأنثوية عن مغزى للتواصل الداخلي. فالشعور والرعاية والتلقي والتعاون والحدس- جميعها قائمة على مغزى للاعتماد المتبادل ووعي حاد بالعلاقة مع الآخر، ومع الكل. وعلى العكس من ذلك، اقتفى العلم خطى الطريق الذكوري، طريق المنطق والتحليل القائم على الفصل والتجزئة إلى أقسام. هذا الطريق ذو قوة عظمى، ونجمت عنه معجزات التكنولوجيا الحديثة، ولكنه أدى إلى مشاكل من قبيل تلوث البيئة، ويمكن لمبدأ الترابطية في الأنثوية أن يهب العلم منظوراً أكثر كلانية.

علم نفس يونج يركز على الكلية **wholeness** فليست تنحصر مهمة على النفس في التكيف مع القواعد التي تخذها المجتمع، ولا في بلوغ حالة ثبوتية من الكمال.

وإذ يكون الهدف هو تحقيق كلية النفس، تتكون عملية التحليل عند يونج من فحص وقبول جوانب من نفوسنا كنا قد أنكرناها، واستعادة الاتصال والتدفق بين جوانب من حياتنا كنا قد جزأناها إلى أقسام محكمة الحدود. إن الكلية، باختلافها عن نزعة الكمال التي تتم

عن تفكير رجعي ضيق، إنما هي تفاعل دينامي بين المتقابلات يشبه الخفقان بين الين واليانج في الطاوية.

وفي مقابل العلم الحديث، الذي يتناول الأشياء منعزلة، ويحللها إلى ما لانهاية، جسدت هيلدجارد البنجية **Hildegard of Bingen** المقاربة الأنثوية. نظرت إلى التواصل الداخلي والاعتماد المتبادل بوصفهما صميم خامة الكون.

وبعد هذا بثمانمئة عام، يصف إدجار ميتشيل **E.Mitchell** شعوراً مماثلاً بالتواصل في الكون. لقد وقف، كرائد فضاء في رحلة أبوللو، على سطح القمر، وارتد ببصره إلى كوكبنا، وقال:

في طريق العودة وجهت انتباهي للنظر إلى الأرض والكون النظامي (الكوزموس) وعلى غير المتوقع، مر بخبرتي مغزى بهيج مفاده أنني والكون كيان واحد- أي أنه ليس إلا امتداد لذاتي، وأن كلاً من جزءاً مكملاً من الوجود عينه.

إن ميتشيل مؤسس معهد العلوم الفكرية، وهو يستشهد الموضوعية بوصفها إحدى زلتي العلم. الزلة الأخرى التي يراها هي الاختزالية، اختزال الطبيعة إلى أجزاء أصغر وأصغر كي نقوم بتحليلها.

على أية حال، لا يزال رهط من العلماء يتعلقون بنموذج السير إسحق نيوتن للكون الأبدي الميكانيكي الذي يعمل كما تعمل الساعة. وحتى آينشتين وهو على فراش الموت في خمسينيات القرن العشرين، كان عازفاً عن التخلي عن النموذج السكوني للكون الأبدي. ويظل الهدف النهائي للفيزياء هو تحديد الجسيمات الأساسية أو المجالات، وتفهم كيف تعمل معاً. يأمل هؤلاء الفيزيائيون في صياغة "نظرية كل شيء"، في تفسير الكون بصياغة بسيطة يمكن طبعها على ظهر قميص قطني.

لا أحد ينكر أهمية عزل وتقسيم أجزاء الطبيعة. لقد أدى هذا إلى اكتشافات مثيرة للعجب والإعجاب وإلى إحراز خطى تقدمية في معرفتنا بالطبيعة. لقد اكتشفنا الفيروسات والبكتيريا التي تسبب المرض، اصطنعنا مواداً جديدة، مثل اللدائن، ووضعنا الإنسان على سطح القمر.

إن المقاربة الميكانيكية وحدها لم تعد كافية، إذ كثير من مشكلات العلم باتت الواحدة منها لا تستجيب لهذه المقاربة: علاج السرطان، التنبؤ بالزلازل، توقعات الطقس طويلة المدى، وظيفة الجهاز العصبي المركزي، جوانب من سلوك الحيوان، البيولوجيا الارتقائية، تطور العقل والوعي.

ولعل أهم ما يمكن أن تسهم به الأنثوية في العلم هو رؤية الكلية. إن تفضيل الكلية مأخوذ من الترابطية، وهي مبدأ أساسي مميز للأنثوية. تعني الترابطية النظر إلى العلاقات بين الأشياء، رؤية الأشياء في سياقها، استبصار الروابط التي تربط الأشياء جميعاً معاً، الرجوع خطوة إلى الوراء من أجل رؤية الصورة الكبرة، بل أيضاً جدل العمل والحياة معاً. وإذ نفعل هذا، نجد الكل يهب المعنى للأجزاء، حيث يضطلع الكل بوظائف لا تطرحها الأجزاء. يعتقد الفيزيائي النظري بول ديفيز **P.Davies** أن الاختزالية تنكر حقيقة المستويات الأعلى من التنظيم من قبيل الكائن العضوي البيولوجي: "إذ تبلغ المادة والطاقة حالات أعلى وأكثر تعقيداً، تنبثق كيفيات جديدة، حتى أن وصف مستوى أدنى لا يمكن أبداً أن يستوعبها. كثيراً ما نستشهد على هذا بالحياة والوعي اللذين لا يعدوان أن يكونا لغواً يخلو من المعنى، مثلاً على مستوى الذات". الرؤية الأنثوية للكلية ترى أن كل من مستويات تطور المادة يجلب قوانينه الخاصة به والتي لا يمكن اختزالها إلى قوانين المستويات الأدنى. فالمنهج الاختزالي يتجاوز القوانين التنظيمية، من قبيل التعاون أو الخصائص الجمعية للمنظومات المعقدة، ما دامت هذه القوانين لا يمكن اشتقاقها من القوانين الفيزيائية الكامنة. ويمكن أن نتناول المقاربة الاختزالية التقليدية تناولاً معاصراً عن طريق المقاربة الكلانية.

أجل المقاربة الاختزالية في غاية القوة، بيد أنها تنفعنا أكثر إن هي تزاوجت مع المنظور الكلاني. إن المشكلة في أحادية الجانب. ولن يكون الطرف الأقصى الآخر- أي العلم من دون تحليل- أفضل حالاً. في هذه الحالة سوف تغمرنا شبكة من الاتصالات غير قابلة للاختراق.

علم البيئة يصوب انتباهنا إلى التواصل الداخلي في شبكة الحياة. حيث تتأثر المنظومة بأسرها حين استئصال نوع واحد من الأنواع الحية، بسبب من ذلك الاعتماد المتبادل بينها. تنحو المنظومات البيئية نحو النضج، أو الثبات ، وفي هذا تنتقل من حالة أقل تعقيداً إلى حالة أكثر تعقيداً.

أما أولئك فلن يستطيعوا من دون رؤية الكلية إلا إعطاء حلول جزئية لمشكلات البيئة، طالما يظلون منحصرين في تفكير التقسيم والتجزئة.

يتحدث علم الفوضى والعماه الجديد هو الآخر بمفهوم الكلية، إنه يهبنا طريق لرؤية النظام والأنموذج في مواضع لم يكن فيها سابقاً إلا العشوائية، لقد لوحظ ما هو شارد وغير قابل للتنبؤ. إن علم الفوضى والعماه مجال للأنظمة التعددية، شأنه في هذا شأن علم البيئة.

من على حدود الرياضيات، قصف علم الفوضى والعماه الجديد، مرة واحدة وإلى الأبد، الفكرة الاختزالية القائلة إن المنظومة تكون مفهومة عن طريق تجزئتها ودراسة كل جزء من

أجزائها. وبالوسائل الرياضية تثبت نظرية الفوضى والعماه أن سلوك المنظومة المعقد يمكن أن يتأتى كمحصلة لتفاعلات بسيطة ولا خطية فقط بين عدد بسيط من المكونات. يعطينا علم الفوضى والعماه إطار عمل تصورياً نصف داخله السلوك النوعي لمنظومات تختلف فيما بينها بقدر ما تختلف السحب عن التشويش الكهربائي، وعن نبضات القلب. التفاعل بين المكونات في مقياس نسبي واحد يمكن أن يؤدي إلى سلوك معقد شامل في مقياس نسبي أوسع، وبشكل عام لا يمكن استنباط هذا من معرفة المكونات المنفردة. إن الكل في المنظومة اللاخطية أكثر كثيراً من مجموع أجزائه، ولا يمكن اختزالة أو تحليله في حدود وحدات فرعية بسيطة تعمل معاً. فغالباً ما تكون الخصائص المتحصلة غير متوقعة ومعقدة ويصعب معالجتها رياضياً.

تقول نظرية الفوضى والعماه إن الكون لا خطي. عليك أن تدرسه من الزاوية الكلية. أعاننا الحاسب الآلي على هذا لأنه لا توجد معادلة يمكن أن تكتبها وتحصل على الإجابة. إنها محاولة وخطأ.

اكتشفنا في نظرية الفوضى والعماه أنك كلما تعمقت أكثر وأكثر في النظر إلى ما يسمى بالحركة العشوائية، كلما رأيت أن ثمة دائماً أنموذجاً على مستوى عميق. وهو ليس عشوائياً على الإطلاق. ثمة نظام داخل العشوائية.

يعرف الفيزيائيون كل المعدلات التي تصف السلوك العادي للأشياء من قبيل التيارات المتموجة والبندول المتأرجح والذبذبة الإلكترونية. وتبدو الميكانيكا مفهومة تماماً. إلا هذه المنظومات تبدو أعقد من أن تخضع للتحليل حين تنتقل على طريق الفوضى والعماه، مثلما يحدث حين يتحول التيار المتدفق بنعومة إلى سيل جارف. إن تفهم السلوك طويل المدى لمثل هذه الأنساق على مستوى كوكب الأرض يبدو مستحيلاً. هذا عالم الرياضيات ميتشل فايجنباوم **M.Feigenbaum** واحد من الرواد في عالم الفوضى والعماه، و عن طريق آلته الحاسبة أبان أن المعادلات المفهومة جيداً غير مطابقة لمقتضى الحال حين تقترب من المنظومات المتحولة إلى الفوضى والعماه.

حينما تتحرك المنظومة في اتجاه اللانظام، تبدأ بالانقسام إلى تيارين، على الطريقة التي يتصاعد بها الدخان من لفافة التبغ. ثم ينقسم كل من هذين التيارين مجدداً، لتتشكل أربعة تيارات. يستمر هذا الانقسام حتى يغدو شلالاً في عملية تدعى "ازدواج الدورة **period doubling**" وقد اكتشف فايجنباوم رقماً كونياً مفطوراً بهذه المنظومات في طريقها إلى اللانظام، إنه ثابت أساسي تماماً مثل الثابت الرياضي؟، ممثلاً النسبة في المقياس التناسب لنقاط الانتقال من خلال عملية الازدواج . هذا الثابت، وهو **4492016090، 4** ويتنبأ متى ستحدث

الانقسامات. ووجد أن المنظومة حين تبدأ بذاتها في الانقسام مرة وأخرى، فإنها، وبمنتهى الدقة، تكشف عن التغير في النقطة عينها على طول المقياس التناسبي. مرجعية مثل هذه المنظومات كامنة في ذاتها- أي أن السلوك على أحد المستويات، أو المقاييس التناسبية، يسترشد بالسلوك على مستوى، أو مقياس آخر مختف داخله. كان من الصعب على الفيزيائيين أن يتقبلوا هذه العمومية، حيث تسلك المنظومات المختلفة سلوكاً متطابقاً. ولكن الثابت **4492016090، 4** قد تم اكتشافه في منظومات متنوعة من قبيل تعداد الحيوانات ومجموعة الدارات الكهربائية، ودورات رأس المال في الأنشطة الاقتصادية. يومئ هذا إلى أن إدراكنا لبنيات المنظومات يتوقف على الطريقة التي تنظر بها إلى المنظومات. إذا نظرنا إليها بطريقة معينة، سوف نراها تكرر نفسها في المقاييس التناسبية المختلفة. بعض الخصائص تظل ثابتة، بينما تتغير كل الأشياء الأخرى.

"مثال الفراشة" في عالم الفوضى والعماه يصف لنا هو الآخر التواصل الداخلي بين الأشياء جميعاً، يقول هذا المثال إن رفرفة فراشة بجناحيها اليوم في طوكيو يمكن أن تتحول إلى منظومات لعاصفة تهب الشهر القادم في نيويورك*. وهذا الذي يمكن التعبير عنه بمصطلحات فنية أكثر هي " الحساسية للشروط الأولية"، إنما يصف التأثير الدرامي الذي يمكن أن تحدثه تغيرات طفيفة في منظومات كبيرة من خلال شبكة مباطنة من العلاقات.

اكتسب تأثير الفراشة اسمه في بواكير الستينيات من القرن العشرين، وذلك بفضل عالم أرصاد جوية في الولايات المتحدة الأميركية يدعى إدوارد لورينز **E.lorenz** كان يستخدم حاسباً آلياً من أجل حل معادلات خطية تحاكي نموذجاً مبسطاً لمنظومة طقس. أعاد أحد التنبؤات من أجل مراجعة بعض التفاصيل، وها هنا استخدم أرقاماً كانت تدور في ثلاث خانات عشرية بدلاً من ست، كما كانت الأرقام المستخدمة في المحاولة الأسبق. وذهل حين اكتشف أن التنبؤ الجدي يختلف اختلافاً كلياً. إن الاختلاف الطفيف بين أرقام الخانات العشرية الثلاث والخانات العشرية الست قد تضخم تضخماً هائلاً عن طريق التكرار، إعادة حل المعادلة نفسها، في كل مرة نستخدم الإجابات من الحسابات الأسبق- مثل الفائدة المركبة على وديعة في البنك.

حينما أدرك لورينز أن مثل هذه التغيرات الطفيفة في شروط درجة الحرارة والضغط الجوي الأولية يمكن أن ينجم عنها منظومات مختلفة، مثل هذا الاختلاف البائن، استنتج أن

---

* أول من طرح مثال الفراشة " **The Butterfly Effect** "، وذلك كنموذج توضيحي للفكرة الأساسية لنظرية الفوضى والعماه، هو العالم إدوارد لورنزو، وكان ذلك في شهر كانون الأول/ ديسمبر من العام **1972**، أمام اجتماع للجمعية الأميركية لتقدم العلوم في مدينة واشنطن.

"رفرفة جناح الفراشة يمكن أن يغير الطقس". الطبيعة التكرارية للمعادلات اللاخطية تمثل الطبيعة المتواصلة داخلياً للمنظومات الديناميكية . في مثل هذه المنظومات لن تساعدنا أية تفاصيل إضافية في الوصول إلى تنبؤ دقيق. هذه المنظومات حساسة لدرجة أن أضأل التفاصيل يمكن أن يؤثر فيها. تتجسد فيها الحساسية الفائقة في شكل عدم القابلية للتنبؤ ، الفوضى والعماه. وحيثما يحاول العلماء عزل وقياس منظومات ديناميكية، كما لو كانت مكونة من أجزاء، فلا مندوحة لهم عن تدوير المعطيات في نقطة ما. وطالما سيكون ثمة دائما "معلومات مفتقدة" فلن تكون المنظومات الديناميكية، مثل الطقس، قابلة أبداً للتنبؤ جملة وتفصيلاً،

هكذا قصفت نظرية الفوضى والعماه النظرة الحتمية للعالم، عن طريق الإثبات الرياضي للتواصل الداخلي في المنظومات الطبيعية ، والإبانة عن أسلوب هذه المنظومات اللاخطية في تضخيم التغيرات الطفيفة. إنها تقول أن ثمة إرادة حرة. ما يفعله شخص واحد في العالم يمكن أن يحدث تغييراً.

يظل معنى نظرية الكوانتم غامضاً، على الرغم من أنها ذات قيمة تنبؤية عظمى. وفي مقابل عالم نيوتن الصلود، يوصف عالم الكوانتم الغائم بواسطة تلك المفاهيم المقلقة، مثل التعقد واللايقين الملاحظ. تشبه نظرية الكوانتم، من بعض النواحي، الطفل المعتوه الملقى به في سقيفة على سطح المنزل ليتجاهله كل شخص بشكل ما. لقد بذلت بضعة محاولات لربط هذه المفاهيم بعالم الحياة اليومية، جزئياً لأن فيزيائيي الكوانتم يتعاملون مع نظرية الكوانتم تعاملاً رياضياً فحسب، ومع هذا وجد بوم أن نظرية الكوانتم تزودنا بأسس نظرية لـ"التواصل الداخلي بين الأشياء جميعاً".

إن دراساته لتضمنات نظرية الكوانتم على مدار الخمسين عاماً الماضية قد تأدت به إلى استنتاج مفاده أن عامل الذرة عالم محبوك من دون خطوط وصل، ولا ينبغي النظر إليه بوصفه مكوناً من مجموع أجزاء غير مترابطة. ارتأى النظام المخبوء يعمل تحت سطح ما يبدو من الفوضى والعماه، وعدم اتصال بين جسيمات المادة الفرادى التي تصفها ميكانيكا الكوانتم. ووضع لهذا البعد الخبيء مصطلحاً هو" النظام المتضمن"، وهو منبع جماع المادة المرئية (السافرة) في كوننا الزمني المكاني. وبينما تحاول الفيزياء الحديثة تفهم الكل فهماً اختزالياً عن طريق البدء بأكثر الأجزاء أولية، يقترح بوم فيزياء ما بعد الفيزياء الحديثة التي تبدأ بالكل.

وكون بوم هو مسار من الحركة، انبساط واشتمال دائم لكل بلا خطوط وصل.

تقول الفيزياء الكلاسيكية أن الواقع في حقيقته جسيمات ضئيلة تقسم العلم إلى عناصر المستقلة. وهو يقترح العكس، وهو أن الواقع الأساسي اشتمال وانبساط، وتلك الجسيمات

تجريدات من هذا. إننا نستطيع أن نرسم صورة للإلكترون ليس بوصفه جسيماً يوجد بصفة دائمة، بل بوصفه شيئاً يدخل ويخرج ثم يجيء مجدداً . إذا وضعنا هذه الاعتبارات الشتى معاً، فإنها تداني المسار . الإلكترون في حد ذاته لا يمكن أن ينفصل عن الحيز ككل، الذي هو خلفيته.

يرتئي بوم أن إدخال التنوع يثري الكل، تثريه المناحي المختلفة للأجزاء الفرادى المختلفة، وإحراز "وحدة التنوع". بالنسبة له، الموسيقى الحقيقة في الكون هي وحدة الوحدة والتنوع، أو كلية الكل والأجزاء.

بينما تعتبر الصورة الميكانيكية الأشياء المفصلة هي الواقع الأولي، وأن اشتمال وانبساط الكائنات العضوية بمثابة ظواهر ثانوية، يرتئي أن الحركة الجامعة **holomovement** ، الحركة الغير قابلة للفصم، هي الواقع الأولي. ثمة جانب جوهري لما يرتئيه، وهو أن الكون ككل هو اشتمال فعال بدرجة أو بأخرى في كل جزء من الأجزاء. وبينما ترتبط الأجزاء في النظرة الميكانيكية ببعضها البعض فقط من الخارج، فإن تأويل بوم هو تأويل للترابطية الجوانية. ويبين في كتاباته المتخصصة كيف يمكن فهم القوانين الرياضية لنظرية الكوانتم من حيث هي وصف للحركة الجامعة، حيث ينبسط الكل في كل قطاع من قطاعاته، والكل يشتمل على القطاع.

دعا بوم إلى علم ما بعد العلم الحديث، علم لا يفصل بين المادة والوعي، حتى أن الوقائع والمعنى والقيمة، جميعها تقوم سواسية بتبصير العلم. حينئذ سوف يمتلك العلم أخلاقياته المتأصلة،ولن ينفصل عن الحقيقة والفضيلة مثلما ينفصل عنهما في الواقع الراهن. إن إقتراح بوم يسبح عكس تيار النظرة السائدة التي تقول إن العلم ينبغي أن يكون طريقة محايدة أخلاقياً لمعالجة الطبيعة، محايدة بإزاء الخير أو بإزاء الشر، تبعاً لخيارات أولئك الذين يقومون بتطبيقه.

قواعد نشر البحوث

في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث، وعبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب، وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2- أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.
3- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.
4- أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.
5- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6- كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر، والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.
7- إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8- السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتّاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1- كتابة عنوان البحث، واسم الباحث ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2- يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:
3- تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.
4- تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السرى، وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
5- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.
6- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
7- تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
8- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

إصدارات
مركز الدراسات النفسية